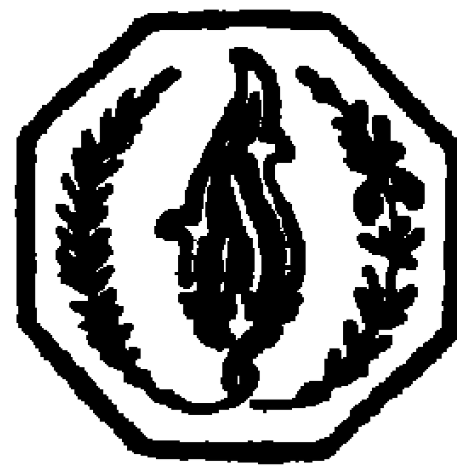
الجزء الثالث		المجلد التاسع والستون

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



المحرم ١٤١٥هـ
تموز (يوليو) ١٩٩٤م

مطبعة الصباح

دمشق - هاتف ٢٣٢١٥١٠

كتب الأنساب العربية
— ٩ —

الدكتور إحسان النص

* * *

كتاب
التبيين في أنساب القرشيين

لابن قدامة المقدسي
(٥٤١ — ٦٢٢هـ)

المؤلف*

هو موفّق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قُدامة الجماعيلي المقدسي . ولد بجماعيل — من قرى نابلس بفلسطين — وفي سنة ٥٥١هـ ارتحل أهله وهو معهم إلى دمشق بعد استيلاء الفرنجة على بيت

(*) من مصادر ترجمته :
مرآة الزمان في تاريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي ٦٢٧/٨ ؛ فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ٤٠٣/١ ؛ البداية والنهاية لابن كثير ٢٩٩/١٣ ؛ الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ١٣٣/٢ ؛ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٢٥٦/٦ ؛ شذرات الذهب لابن العماد ٨٨/٥ .

المقدس وما حوله ، فنزلوا بادئ الأمر بمسجد أبي صالح ظاهر الباب الشرقي ، ثم انتقلوا إلى جبل قاسيون (المهاجرين) .

انصرف المقدسي بعد استقراره بدمشق إلى طلب العلم ، فأخذ الفقه وعلوم القرآن عن والده وعن غيره ، ثم ارتحل إلى بغداد سنة ٥٦١هـ فأخذ العلم هناك عن طائفة من مشايخها ، ولازم الشيخ عبد القادر الجيلي مدة يسيرة وبعد وفاته لزم أبا الفتح بن المنّي فأخذ عنه أصول الفقه حتى برع فيها ، وقد دامت رحلته إلى بغداد أربع سنوات عاد بعدها إلى دمشق ، ثم عاد إلى بغداد مرة أخرى سنة ٥٦٧هـ ، وربما كانت له رحلة ثالثة إليها ، وأقام مدة بمكة ثم عاد آخر الأمر الى دمشق وبها توفي سنة ٦٢٢هـ .

أخذ ابن قدامة عن شيوخ كثيرين في دمشق وبغداد ومكة منهم الشيخ عبد القادر الجيلي وأبو الفتح بن المنّي وأبو زرعة وابن شافع ، وتفقّه في بغداد على مذهب الإمام أحمد بن حنبل حتى غدا إماماً في أصول الفقه وعلم الفرائض والخلاف والتفسير والحديث فضلاً عن الحساب وعلم النجوم السيّارة والمنازل ، وتصدّر للتدريس فأخذ عنه خلق كثير .

عرف ابن قدامة بدماثة الخلق والتواضع والحياء الجمّ ولين الجانب والعزوف عن الدنيا . وكان موضع اعجاب كثير من العلماء الذين أثنوا على سعة علمه ودماثة خلقه وتديّنه ، قال فيه معاصره ابن تيمية (ت ٦٢٢هـ) : « ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الشيخ الموفّق[1] » ، وقال فيه سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ) : «من رآه كأنما رأى بعض الصحابة، وكأن النور يخرج من وجهه، كثير العبادة يقرأ كل يوم وليلة سبعاً من القرآن ترتيلا .. »[2] ، وقال فيه ضياء الدين محمد بن عبد الواحد

(١) ذيل طبقات الحنابلة ١٣٤/٢ .
(٢) شذرات الذهب ٨٩/٥ .

المقدسي (ت ٦٣٤هـ): «كان – رحمه الله تعالى – إماماً في التفسير، إماماً في علم الحديث ومشكلاته ، إماماً في الفقه بل أوحد زمانه فيه ، إماماً في علم الخلاف ، أوحد زمانه في الفرائض ، إماماً في أصول الفقه ، إماماً في النحو ، إماماً في الحساب ، إماماً في النجوم السيّارة والمنازل . »[٣]

مصنفاته

مصنفات ابن قدامة تربي على الثلاثين في الفقه وعلوم القرآن والحديث والأنساب منها :

١ – المقنع في فقه الحنابلة (طبع بمطبعة المنار بمصر سنة ١٣٢٢هـ) ، وقد اختصره طائفة من العلماء .

٢ – الكافي في فقه الحنابلة ، ٤ مجلدات (نشره المكتب الإسلامي بدمشق) .

٣ – المغني في شرح الخرقي في الفقه ، عشر مجلدات .

٤ – روضة الناظر في أصول الفقه (طبع بالمطبعة السلفية بمصر عام ١٣٤٢هـ) .

٥ – مختصر علل الحديث ، وهو اختصار لكتاب علل الحديث لأبي بكر أحمد بن محمد الخلاّل (ت ٣١١هـ) .

٦ – قنعة الأريب في الغريب .

٧ – البرهان في مسألة القرآن .

٨ – كتاب القدر .

٩ – فضائل الصحابة .

١٠ – كتاب المتحابين في الله .

---

(٣) ذيل طبقات الحنابلة ١٣٤/٢ ، شذرات الذهب ٩٠/٥ .

١١ – مناسك الحج .

١٢ – رسالة إلى ابن تيمية في تخليد أهل البدع في النار .

١٣ – تحريم النظر في كتب أهل الكلام .

١٤ – لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبل الرشاد . (طبع أكثر من مرة) .

١٥ – التبيين في أنساب القرشيين . وهو الكتاب الذي أتحدث عنه .

١٦ – الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار . طبع بدار الفكر في بيروت ، سأتحدث عنه بعد حديثي عن كتاب التبيين .

وسائر مصنفاته ذكرها الأستاذ محمد نايف الدليمي في مقدمة تحقيقه لكتاب التبيين بالإضافة إلى المصنفات المذكورة هنا .

الكتاب

يبدأ الكتاب بمقدمة وضّح فيها المؤلف نهجه في تأليف الكتاب ، يقول فيها : « هذا كتاب ذكرت فيه نسب رسول الله ﷺ وأصحابه من أقاربه . وذكرت لكل امرئ منهم شيئاً من أخباره وفضائله وبعض من اشتهر من أولاده وأولاد أولاده ، ليعرف الواقف عليه محلّه من الدين ، وموضعه من الفضل ، ولم أطل خشية الإملال . بدأت بذكر رسول الله ﷺ ثم بولده ، وأزواجه ثم بمن يليه من أهله الأدنى فالأدنى ، حتى أتيت على آخر قريش ، مقتصراً عليهم .. »[٤] . ثم ذكر أنه اختصّ الصحابة من قريش بالذكر لمكانهم من رسول الله ﷺ .

فكذلك نرى أن النهج الذي اتبعه المؤلف يخالف نهج سابقيه من علماء

(٤) الكتاب ص ٣٣ .

النسب . فقد جعل مدار حديثه على الرسول عليه السلام وآله وصحبه .

بدأ أولاً بذكر نسب الرسول ﷺ ورفعه الى عدنان . وهذا النسب هو عنده ما اتفق عليه النسّابون جميعاً وقد اختلفوا فيما بين عدنان وإسماعيل ، وفيما بين إبراهيم وسام بن نوح .

وانتقل بعدئذ إلى شيء من التفصيل في سيرته عليه السلام منذ ولادته إلى أن بعثه الله نبيّاً وما لقيه من أذى قريش ثم هجرته وغزواته حتى وفاته . وكان حديثه عن هذه الجوانب غاية في الإيجاز .

وانتقل بعدئذ إلى الحديث عن أزواج الرسول ﷺ(٥) فأورد نبذة من أخبار كل منهن بادئاً بالسيدة خديجة فعائشة فسَودة بنت زَمْعة فحفصة بنت عمر بن الخطاب ، فزينب بنت خُزيمة الهلالية ، فأم سلمة هند بنت أبي أمية ، فزينب بنت جحش ، فجُويرية بنت الحارث ، فأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ، فصفية بنت حُيَي بن أخطب ، فميمونة بنت الحارث الهلالية ، وعدّتهن إحدى عشرة . وقد حرص المؤلف على تعيين زمن زواج الرسول بكلّ منهنّ وتاريخ وفاتها ، ولم يتحدث عن سائر زوجاته اللاتي اختلف فيهنّ .

ثم تحدّث عن مارية بنت شمعون القبطية التي تسرّى بها رسول الله .

وانتقل بعد إلى أولاد الرسول(٦) الذكور والإناث ، والذكور عنده ثلاثة : القاسم وابراهيم والطيب عبد الله (وهم عند الطبري أربعة(٧)) والإناث أربع لا خلاف فيهن : زينب ، ورقيّة ، وأم كلثوم ، وفاطمة .

---

(٥) الكتاب ص ٥١ .

(٦) الكتاب ص ٦٧ .

(٧) الطبري ١٦١/٣ وعنده : الطيب وعبد الله .

وذكر نبذة من أخبار ولده .[٨]

ثم أفرد المؤلف فصلاً لكُتّاب الرسول ، وانتقل بعدُ إلى ذكر أعمام الرسول ، – وقد اختلف في عددهم بين تسعة واثني عشر – والصحابة من أولادهم ، فوقف أولاً عند الحارث بن عبد المطلب وولده الذكور والإناث ، فأبي طالب بن عبد المطلب وولده ، ثم الزبير بن عبد المطلب وولده ، ثم ولد أبي لهب بن عبد المطلب ، ثم حمزة بن عبد المطلب وولده ، ثم العباس بن عبد المطلب وولده .

ولّما فرغ من أعمام الرسول وولدهم انتقل إلى عمّاته : صفيّة ، وعاتكة ، وأروى ، وبَرّة ، وأميمة ، وأم حكيم ، بنات عبد المطلب بن هاشم .

ثم أفرد فصلاً لسائر الصحابة من ولد هاشم ، ثم لسائر ولد عبد مناف : هاشم ، وعبد شمس ، والمطلب . فكذلك نرى أن النهج الذي سار عليه المؤلف هو الانتقال من الأدنى إلى الأبعد نسباً من رسول الله ﷺ . فبعد أن ذكر أبناء هاشم بن عبد مناف انتقل إلى بني عبد شمس بن عبد مناف ، ومنهم بنو أمية ، مازجاً الأنساب بالأخبار . وقد شغل هذا الجانب حيزاً كبيراً من الكتاب . وبعد أن فرغ من بني عبد شمس انتقل إلى المطلب بن عبد مناف ، ثم إلى نوفل بن عبد مناف .

ولّما فرغ من ذكر بني عبد مناف صار إلى سائر ولد قصي بن كلاب : عبد الدار ، وعبد العزّى ، فذكر أنسابهم وولدهم وطرفاً من أخبارهم . وقد وقف وقفة طويلة عند بني أسد بن عبد العزّى آل الزبير بن

(٨) الكتاب ص ٦٨ .

العوّام بن خُويلد بن أسد ، ثم استوفى الكلام على بني كلاب بن مُرة بن لُؤي : قصي بن كلاب ، وزُهرة بن كلاب . فكذلك نجد أن النهج الذي التزمه جعله يرتقي من الفروع الى الأصول ، مخالفاً بذلك نهج علماء النسب الأخرين .

فلما انقضى ذكر بني كلاب بن مرة انتقل الى بني تيم بن مُرة . ومن رجالهم المشهورين أبو بكر الصدّيق ، وطلحة بن عبيد الله ، وعبد الله بن جدعان .

ثم انتقل الى بني مخزوم بن يقظة بن مُرّة متبعاً النهج الذي اتبعه في الحديث عن الصحابة وحدهم فلم يذكر المشهورين من بني مخزوم كالوليد بن المغيرة وانما ذكر الصحابة ومنهم خالد بن الوليد وبنو هشام بن المغيرة ومنهم عكرمة بن أبي جهل بن هشام .

وبعد أن فرغ من بني مخزوم انتقل الى سائر بني كعب بن لؤي بفروعهم الثلاثة : بني مرة ، وبني عدي ، وبني هصيص .

بدأ ببني كعب بن عدي فذكر ولدهم والمشهورين من رجالهم وساق طائفة من أخبارهم ، فوقف عند عمر بن الخطاب وأورد طرفاً من أخباره ثم ذكر ولده وأخاه زيداً وولده وأختيه فاطمة وصفية ثم سائر بني كعب بن عدي .

ثم ذكر بني هصيص والمشهورين من رجالهم ومنهم عثمان بن مظعون وعمرو بن العاص . ثم انتقل إلى بني عامر بن لؤي بن غالب فذكر أشهر رجال هذا البطن من الصحابة ومنهم سُهيل بن عمرو بن عبد شمس وولده وأبو سَبْرة بن أبي رُهم بن عبد العُزّى وعبد الله بن مَخرمة وعبد الله بن سعد بن أبي سَرْح والعلاء بن وهب وبُسر بن أرطأة .

ثم انتقـل إلى بني الحارث بن فهر والمشهورين منهم ومنهم أبو عبيدة بن الجرّاح وعِياض بن غَنْم وعُقبة بن نافع ، ثم ذكر بني محارب بن فهر ومنهم ضرار بن الخطّاب شاعر قريش ، ومَسلمة بن مالك ، والضحّاك بن قيس الفهري رأس الزبيرية يوم المرج .

وقد ألحق المؤلف بالقرشيين من كان من الصحابة من بني أسد بن خزيمة لأن منهم بني عمة الرسول ﷺ ولأنهم حلفاء بني عبد شمس ولأنهم من السابقين الأولين الى اعتناق الإسلام وإلى الهجرة إلى المدينة ، فذكر مشهوريهم ومنهم عُكّاشة بن مُحصَن وعبد الله بن جحش وولده وضرار بن الأزور وعمرو بن شَأس وطليحة بن خويلد الذي تنبأ بعد وفاة الرسول ثم فاء الى الإسلام ، وخريم بن فاتك وابنه أيمن بن خُريم وسِماك بن مخرمة وعبد الله بن الزَبير الشاعر .

وبذلك تمّ الكتاب .

نهج الكتاب ومصادره وقيمته

وضّح المؤلف في مقدمة كتابه النهج الذي اتبعه في تأليف كتّابه ، فقد بدأ بنسب الرسول عليه السلام ثم ذكر أزواجه وأولاده وكُتّابه وأعمامه وأولادهم ، ثم ذكر من اعتنق الإسلام من بني هاشم ثم من بني عبد شمس ، بادئاً بالأدنى فالأدنى نسباً من رسول الله ﷺ فانتقل الى بني المطلب بن عبد مناف فبني عبد الدار فبني أسد بن عبد العُزّى فبني زهرة بن كلاب فبني تَيْم بن مُرَة فبني مخزوم بن يقظة ، وهكذا حتى فرغ من نسب قريش ، وألحق بقريش من اعتنق الإسلام من السابقين الأولين من بني أسد بن خزيمة للأسباب التي ذكرها .

فكذلك نرى أن النهج الذي اتّبعه المؤلف يخالف نهج علماء النسب

السابقين ، لأن غاية المؤلف ذكر نسب الرسول ﷺ وأصحابه من قريش وليس استيفاء أنساب القرشيين ، وهو لم يتبع طريقة النسابين الآخرين من حيث البدء بالأصول والانتقال منها الى الفروع وكذلك لم يفصّل في بيان الأنساب وإنما بدأ برسول الله ﷺ ثم ذكر الأنساب الأدنى فالأدنى من نسبه عليه السلام واقتصر على ذكر الصحابة المشهورين في كل بطن من بطون قريش .

وقد ضمّن كتابه طائفة من الأخبار المتصلة بالرجال الذين ذكرهم كما ذكر طرفاً من أشعار شعرائهم .

لم يذكر المؤلف في مقدمة كتابه المصادر التي اعتمدها فيه ، وهو من رجال القرن السابع الهجري ، وقد ألفت قبله كثير من كتب الأنساب ، ومن المحقق أنه استفاد منها . وعلى أنه لم يعن بذكر الأسانيد المفصلة للأنساب التي ساقها والأخبار التي أوردها فإننا نجده أحياناً يذكر اسم العالم الذي نقل من كتابه دون ذكر اسم الكتاب . وممّن استمّد منهم مادة كتابه ابن اسحاق في السيرة ، والزبير بن بكّار والزُهري والمصعب الزبيري ، على أنه في أغلب الأحيان يورد الأخبار والأنساب غير مسندة إلى رواتها. ويذكر محقق الكتاب أنه لم يجد مانسب إلى الزبير بن بكّار من أخبار في هذا الكتاب في كتابي الزبير المطبوعين وهما جمهرة نسب قريش والموفّقيات، وقد وجد المحقق كذلك أن في كتاب التبيين أخباراً منسوبة إلى المصعب الزبيري وهي ليست في كتابة المطبوع ويستظهر لذلك أن في كتاب نسب قريش المطبوع للمصعب نقصاً .

وقيمة الكتاب ترجع إلى تمييزه من أسلم من قريش من سائر قريش ، وهو معنيّ بالصحابة دون غيرهم على ما ذكرت ، وقد صحح المؤلف

أنساب طائفة من القرشيين وأورد أشعاراً لا نجدها في مصادر أخرى .

حقَق الكتاب الأستاذ محمد نايف الدُليمي وقدّم له بمقدمة موجزة وضَح فيها نهجه في تحقيق الكتاب وترجم للمؤلف وذكر أقوال العلماء فيه ثم أحصى مصنفاته . وتحدث بعدُ عن النسخ التي اعتمدها في التحقيق ، وقد اعتمد نسختين وجدهما في مكتبة الحاج زكر في الموصل التي ضُمّت إلى مكتبة الأوقاف العامة بالموصل . ورقم المخطوطتين ١٥/٢ و١٥/٣ وإحداهما جعلها الأم ورمز إليها بالحرف (أ) وقد نسخها محمد بن إبراهيم بن خفاجة وفرغ من نسخها سنة ثمانمئة وسبعين للهجرة ورجح المحقق أنها منقولة من نسخة المؤلف ، والثانية منقولة عن النسخة السابقة ورمز إليها بحرف (ب) ولكن بين النسختين بعض الاختلاف . وقد ذيل الكتاب بذكر المراجع والمصادر التي استعان بها وبفهارس للحديث النبوي والأشعار والأمم والقبائل والمواضع والأعلام والموضوعات . ووضع حواشي للكتاب أثبت فيها ما وجده من اختلاف بين المخطوطتين وخرّج أبيات الشعر الواردة في الكتاب وأضاف بعض التعليقات المفيدة .

ويحسن أن أشير هنا إلى ما وقع من الخطأ في إثبات اسم هذا الكتاب على غلاف المخطوطة المحفوظة بمكتبة راغب باشا بمدينة اسطنبول ذات الرقم ٩٩٩ ، في حين أن تلك المخطوطة لا تحوي كتاب التبيين لابن قدامة وانما هي مخطوطة كتاب « مختصر جمهرة النسب » ، وقد تحدثت عن هذا الكتاب وعما وقع من الخطأ في عنوانه في الجزء الثالث من المجلد الخامس والستين من مجلة المجمع .

الكتاب من منشورات المجمع العلمي العراقي سنة ١٤٠٢هـ ، الموافقة لسنة ١٩٨٢ ميلادية . ومما يؤسف له أن في الكتاب المطبوع

أخطاءً طباعية لا تحصى لكثرتها ونقصاً في بعض المواضع (انظر مثلاً ص٣٨) ، وبعض الأخطاء في الضبط بالشكل ، من ذلك مثلاً (ص٣٧) : *ضبط اسم عدي بن النجار بضم العين والصواب بفتحها* ، وضبط فعل انتقع لونه (ص٤٠) بفتح التاء على البناء للمعلوم والصواب بضمها على البناء للمجهول وفي ص٤٨ أثبت العدد احدى عشرة بتذكير لفظ (عشر) والصواب تأنيثه ، ونحوها من الأخطاء التي لم أستقصها . والأمل أن يتلافى المحقق هذه الأخطاء لدى إعادة طبع الكتاب .

كتاب
الاستبصار في
نسب الصحابة من الأنصار

لابن قدامة المقدسي

* *

المؤلف

سبقت ترجمته لدى الحديث عن كتاب « التبيين في أنساب القرشيين » .

الكتاب

اتبع ابن قدامة في كتابه هذا النهج الذي اتبعه في كتاب « التبيين في أنساب القرشيين » فقد تناول أنساب الصحابة من الأنصار فقط ، ولم يتناول أنساب الأوس والخزرج عامة . فبعد حديثه عن الصحابة من قريش

رأى لزاماً عليه أن يتحدث عمّن نصر رسول الله ﷺ من الخزرج والأوس ، وهم الذين نهضوا بالعبء الأكبر في نصرة الرسول وتأييد رسالته ومجاهدة أعدائه وفي تثبيت دعائم الدولة الإسلامية الناشئة .

وقد وضح المؤلف دواعي تأليف كتابه ونهجه فيه في مقدمته فقال : « هذا كتاب ذكرت فيه أنساب الصحابة من الأنصار وطرفاً من أخبارهم على سبيل الاختصار ، ليعرف به منزلتهم من الإسلام وتأسيسهم للدين وماخصّهم الله تعالى (به) من نصره واظهار دينه وإيواء رسوله وصحابته وسبقهم إلى إجابة دعوته وبذلهم المهج في طاعة ربهم وطاعته ، ليعظم في القلوب محلهم ، ويكثر بالترحّم عليهم فضلهم ، ويزداد الإيمان بمحبتهم . »(٩)

ثم بيّن نهجه فيه فقال : « وقدّمنا ذكر الخزرج لأنهم أخوال رسول الله ﷺ ... »(١٠)

بدأ المؤلف حديثه عن الأنصار بذكر مكانهم عند رسول الله ﷺ وما روي من الأحاديث في بيان فضلهم ومنزلتهم ، ثم تحدّث عن بدء اتصال الرسول بالأوس والخزرج وشهودهم العقبة ومبايعتهم إياه .

وانتقل بعدئذ مباشرة الى الحديث عن بطون الخزرج بادئاً ببني النجّار لأن منهم أخوال الرسول عليه السلام ، وبدأ بأدنى أخوال عبد المطلب إليه نسباً وهم بنو عامر بن غنم بن عديّ بن النجّار ، ثم انتقل الى سائر بطون بني النجار ، ثم إلى بطون الخزرج الأخرى . ولما فرغ من الخزرج انتقل الى الأوس فعدّد بطونها ورجالها المشهورين ، ووقف خاصة

(٩) الكتاب ص ٢٣ .

(١٠) الكتاب ص ٣٠ .

عند أحيحة بن الجلاح ، شاعر الأوس وسيدهم وفارسهم ، ففصّل القول في أخباره وأشعاره[١١] .

ولما فرغ من أنساب الأوس ورجالهم وقف جانباً من كتابه على رجال من الأنصار لم تعرف القبائل التي ينتمون إليها . ومنهم أبو بردة الأنصاري وأبو بشير الأنصاري .

نهج الكتاب ومصادره وقيمته

وضّح المؤلف – على ما قدمت – منهجه في تأليف الكتاب من حيث قصره على الصحابة من الأنصار . وقد جعل المؤلف عنوان كتابه : « الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار » ولكننا في واقع الأمر لا نجد في الكتاب أنساباً على النحو الذي نجده في كتب الأنساب الأخرى ، فليس فيه ذكر لأصول أنساب الأوس والخزرج ولا بيان لتفرّع الفروع من الأصول ، ذلك أن المؤلف لم يكن غرضه بيان الأنساب وتسلسلها وتفرعها وإنما كان غرضه ذكر من اشتهر من الصحابة في كل بطن من بطون الأنصار . وهكذا نجده يضع عنواناً لكل بطن ويذكر تحته أسماء الصحابة المشهورين فيه ، ويورد طرفاً من أخبارهم على وجه الاختصار .

لا يذكر المؤلف أسماء المصادر التي استمدّ منها مادة كتابه – شأنه في كتابه الآنف الذكر – ولكنه يذكر أسماء المؤلفين الذين نقل عنهم . ومنهم : محمد بن إسحاق (ت ١٥١هـ) وقد أخذ الكثير من سيرته . والواقدي محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ) ، في كتابه « المغازي النبوية » ، ومحمد بن سعد الزُّهري . مولى بني زُهرة (ت ٢٣٠هـ) كاتب الواقدي في كتابه « طبقات الصحابة » المعروف بطبقات ابن سعد ، وابن عبد البر

(١١) انظر ص ٣٠٧ من الكتاب وما بعدها .

النمريّ (ت ٤٦٣هـ) مؤلف كتاب « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » ، وهو من مصادره الرئيسة . ومن كتب الأنساب التي استقى منها كتاب « جمهرة النسب » لابن الكلبي ، واستمد طائفة من الأخبار التي أوردها من تاريخ ابن جرير الطبري .

وهو يسوق الأخبار مسندة إلى رواتها أحياناً وغير مسندة أحياناً أخرى ، وقد يبدأ الخبر بعبارة : « وروي عن فلان » ، أو « روي أن » ، وكثير من أخباره مروي عن أنس بن مالك الخزرجي خادم رسول الله مع إغفال ذكر السند والمصدر الذي أخذ عنه .

ومن الرواة الذين ورد ذكرهم في كتابه محمد بن سيرين (ت ١١٠هـ) مولى أنس بن مالك ومنهم أيضاً حُميد بن مهران (ت ١٤٣هـ) ، مولى طلحة بن عبد الله الخُزاعي الذي سمع أنس بن مالك وروى عنه . ومنهم علي بن المُدينيّ (ت ٢٣٣هـ) من علماء الحديث الأعلام ، أخذ عنه البخاري وأبو داود .

وقيمة الكتاب تعود إلى إفراده الصحابة من الأنصار بالحديث ، فهو من أفضل الكتب في أنساب الأنصار ، وقد حقق أنساب طائفة منهم ، ومن لم يعرف نسبه أفرده بالذكر في نهاية كتابه . وللكتاب ميزة أخرى هي ايراده أخباراً كثيرة حول رجال الأنصار لا نجدها في مراجع أخرى ، فكتابه يجمع إلى الأنساب الأخبار والأحاديث والأشعار .

حقّق الكتاب الأستاذ علي نويهض وقدّم له بمقدمة تحدث فيها عن علم النسب وعرّف فيها بالمؤلف وكتابه وحقق نسبة الكتاب إلى ابن قدامة .

وقد اعتمد في تحقيقه على ثلاثة مخطوطات : أحدها محفوظ في مكتبة

شيخ الاسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة ، والثاني في مكتبة أحمد تيمور باشا ، وقد نقل إلى المكتبة الخديوية ، والثالث في دار الكتب المصرية . وقد قابل المحقق بين هذه المخطوطات الثلاثة وبيّن ما وجده من اختلاف بينها .

وأضاف إلى الكتاب تراجم لمن ورد ذكرهم من الصحابة والتابعين والمحدّثين من غير الأنصار وشرح في الهوامش الغامض من الألفاظ التي وردت في أبيات الشعر ووضع شجرة لأنساب كل من الخزرج والأوس .

نشرت الكتاب دار الفكر ببيروت سنة ١٩٧٢م .

الحيوانُ في صوره الإنسانية

« محاولة التسلّل إلى باطن الحيوان لتحليل
نفسيته وتحديد ذكائه وتفسير طباعه »

الدكتور صالح الأشتر

— ١ —

كان العقاد من الأدباء العلماء المُولعين بمراقبة السلوك الإنساني والسلوك الحيواني والمقارنة بينهما ، وهو يؤكّد أن الإنسان حيوان ، عاقلٌ ناطق فصيح ، ولكنه تعلّم أن يُخفي مشاعره ، وأن الحيوان إنسانٌ بلا عقل ولا نُطق (أعجم) ، ولكنه لا يقدر على إخفاء رغباته فتظهر في سلوكه ، وتتحكّم في طبائعه ، ويدل تأقلمه مع محيطه على مقدار ذكائه (في صالون العقاد لأنيس منصور : ١١٥ و١٥٩) كما تدل محاولاته أحياناً للسيطرة على ميوله ونوازعه ورغباته وأهوائه على حسن تصرّفه لكسب رضا من حوله ، وتآلفه مع الظروف المحيطة به ، ولكن الغريزة غلاّبة ، والطباع الأصيلة لا يمكن إخفاؤها طويلاً ، فيتبدى السلوك الحيواني على علاّته دون أقنعة لأعين المراقبين والدارسين ، وقد حاول الإنسان منذ بعيد أن يتسلّل إلى داخل الحيوان ليحلّل نفسيته ويدرك الدوافع الباطنية التي تُحرّك نوازعه وتحكم طباعه وتُملي عليه تصرّفاته ، وكتاب (الحيوان) لأرسطو يرصد فيه المعلم الأول كثيراً من طبائع الحيوان عن مشاهدة ومعاينة ، وكتاب (الحيوان) للجاحظ يُظهرنا على مراقبته الطويلة بنفسه لأصناف من الحيوان ، لمعرفة طبائعها واكتشاف ميولها وتحليل غرائزها وتصوير

أخلاقها .. وسندع الجاحظ الآن وملاحظاته التي اكتسبها من خبرته العيانية ، وتحقيقاته عن الحيوان ، ورصده لطباعه وعاداته ، لنقدّم عرضاً مُتسلسلاً لما في الأدب العربي في عصوره المتوالية من الجاهلية إلى اليوم ، من محاولات الإنسان العربي لوصف الحيوان من الداخل ، وسنعود إلى الجاحظ وما كتبه عن أخلاق عدد من الحيوانات وطباعها : كالجرذان والبغال والسنانير (القطط) والكلاب والخيول ، لنُفيد مما يقوله عنها في تعليقاتنا على ما كتبه الروائي الأميركي وليم فولكنر (١٨٩٧ – ١٩٦٢) عن ذكاء هذه الحيوانات ذاتها في صفحات ثلاث من روايته (اللصوص) التي نُشرت بعد وفاته !

– ٢ –

في أدبنا القديم بعض المشاهد التي حاولت وصف الحيوان وصفاً داخلياً ، وفيها نرى الإنسان يخلع على الحيوان مشاعره ويُعيره عواطفه ويكاد يدفعه إلى التعبير عن أعماقه ، فيُنطقه بما في طوايا نفسه ، لو كان الحيوان الأعجم قادراً على النطق ، وفي معلقة عنترة العبسي أبيات عجيبة نابضة بالتآلف الوجداني بين الفارس العربي وفرسه ، وهو يخوض به معركة طاحنة ، وقد تكاثر عليه الأعداء ، وأثخنوا جبهة الفرس وصدره بالجراح « حتى تسربل بالدم » فراح يصهل صهيلاً متقطّعاً ، ويُحمحم حمحمةً تضج بالشكوى ، والعبرات تسيل على خديه ، ولو كان الفرس قادراً على النطق والكلام لحاور فارسه ولناشَدَه الكفَّ عن مواصلة الكرّ والإقدام ، والانصراف عن مواجهة الموت ، إبقاءً على حياتهما ، ولكن عنترة لا يعرف الفرَّ والإحجام ، ولا يلوي وجه فرسه في ميدان القتال إلا بعد أن يحقّق النصر ويقضي على أعدائه :

لَمّـا رأيتُ القـومَ أقبـلَ جَمعُهُـمْ يتــذامـرونَ كَرَرْتُ غـير مُذَمَّـمِ
مـا زلتُ أرميهـم بِغُرَّةِ وجهِـهِ ولَبَــانــه حتى تسـربـل بـالدَّمِ
وازورَّ من وقع القنـا بِـلبـانـه وشـكـا إليَّ بعـبرةٍ وتَحَمْحُـمِ
لو كان يدري ما المُحاورةُ اشتكى أو كان لو علمَ الكـلامَ مُكـلِّمي

(شرح القصائد السبع الطوال : ٣٥٨ - ٣٦١)

ففي هذه الأبيات يخلع الفارس على فرسه جانباً من إنسانيته ، ويُعير الحيوان بعض خوالج نفسه ، وهواجس وجدانه ، والمعركة الدائرة شديدة الهول ، وقد كشّر الموت عن أنيابه الدامية فيها ليكف عن القتال من يريد الابقاء على حياته ، وهذا الحوار الشـاكي الباكي بين عنترة وفرسه يمثل أهوال الحرب وإحساس عنترة نفسه بالخطر المحدق به شخصياً بعد أن تسربل فرسه بالدم وأصبح يزورُّ عن وقع الرماح المسدّدة إليه ، ويحاول أن يتحامى مواجهة نصالها بصدره : فالإنسان والحيوان هنا - وإن يكن عاجزاً عن الحوار والكلام - يمثل كلٌّ منهما طرفاً من شخصية عنترة ونفسيته ، وهما طرفان متناقضـان ، ولكن النفس الإنسانية عامرة بالتناقضات ، وقد انتهت المعركة بإصدار عنترة على مصارعة الموت حتى صرعه ، وخرج بفرسه المُثخن بالجراح مُكلّلاً بغار النصر والمجد .

- ٣ -

وفي فجر الإسلام يُطالعنا القرآن الكريم بمثال نادر عن الحيوان ناطقاً كالإنسـان بلغة عربيـة فصيحـة مبينة ، فقد أعطى القرآن للنملة أبعاداً إنسـانيـة ، فهي إلى جانب نطقها في تحذير صويحباتها من الخطر الذي يتعرّض له وادي النمل بوصول سليمان وجنوده إليه ، تبدو كائناً بعيد الغور حسنَ المعرفة والتمييز بين القائد وجنوده ، على قسط وافر من الذكاء وسداد

النظرة وثقوب الفطنة وإصابة الحكم بتعقّل وتفكّر وموضوعية ، فهي في حزمها ومطالبتها للنمل بالحذر والدخول في جحورها تلتمس العذر لسليمان وجنوده إذا سحقوا النمل بأقدامهم ، لأنهم لا يشعرون :

قال تعالى : ﴿ حتى إذا أَتَوْا على وادي النملِ قالت نملةٌ يا أيُّها النملُ ادخلُوا مساكنَكم ، لا يحطمنَّكم سليمانُ وجنودُه وهم لا يشعرون * فتبسّم ضاحكاً من قولها وقال رَبِّ أَوْزِعْني أن أشكر نعمتَك التي أنعمتَ عليَّ وعلى والديَّ وأن أعملَ صالحاً ترضاهُ وأدخلني برحمتكَ في عبادكَ الصالحين ﴾ [النمل : ١٨ – ١٩] . فدلّ القرآن – كما يقول الجاحظ : (الحيوان ٤/٩) – على أنَّ للنملة بياناً وقولاً ومنطقاً يفصل بين المعاني التي هي بسبيلها ، وقد وعى سليمان – وهو الذي أعطاه الله فهم لغة الحيوان ، من بين أنبيائه جميعاً – قولَ النملة في تحذير صويحباتها وأمرَها لهن بما هو أحزم وأسلم ، « فابتسم سليمان ضاحكاً من قولها ، لما رأى من بُعد غورها وتسديدها ومعرفتها » (الحيوان ٤/١٦) وأعجبه فرط ذكائها وفطنتها واحتراسها فسأل الله أن يعينه على شكر النعم الجزيلة التي غمره بها ليكون من الصالحين .

وهكذا يتبدى لنا الحيوان هنا – من خلال نملة سليمان – في صورة إنسانية ناطقة بكل ما يتطلبه العقل والحزم والسّداد والذكاء وحسن التصرف والتدبير ، وقد سمّى القرآن الكريم جحور النمل مساكن لها ، وجعل من (وادي النمل) موطناً لها ، ليتمّ التقارب بين الصورتين الإنسانية والحيوانية ، في عُرف النبوّة والمعجزة التي اختص الله بها النبيَّ سليمان عليه السلام من فهم لغة الحيوان ، كهذه النملة الحكيمة ، وذلك الهدهد الذي عاد من رحلته إلى اليمن ليُخبره بقوله : إني ﴿ أحطتُ بما لم تُحِطْ به ، وجئتُك من سبأ بنبأ يقين ﴾ [النمل : ٢٢] .

— ٤ —

وفي صدر الإسلام يسترعي انتباهنا شاعران مُخضرمان أدركا الجاهلية والإسلام ، وهما لبيد العامري والشمّاخ الغطفاني ، ففي تصويرهما للحيوان لمسات من الحس الإنساني الذي يخلعه الشاعر من ذات نفسه عليه ، ويعيره ألواناً من مشاعره . ومثل هذه اللمسات الوجدانية في الشعر القديم قليلة ونادرة .

ففي معلقة لبيد أوصاف مسهبة لأصناف من الحيوان : الناقة والبقرة الوحشية وولدها والظباء والذئاب والكلاب والفرس ، ولكن وصف الشاعر للبقرة الوحشية التي افترس السبع ولدها ينفرد بتلك اللمسات المؤثرة ، ويُبرز صورة حية من المعاناة الإنسانية في شعور تلك البقرة الأم الثكلى بالوحشة وقسوة القدر عليها ، وهي تبحث عن ولدها مستهينة بالأخطار المحدقة بها ، ومتعرضةً لنبال الصائدين وكلابهم الضارية التي تُلاحقها :

وتَسَمَّعَتْ رزَّ الأنيس فراعَها عن ظهر غيبٍ والأنيسُ سَقَامُها
فَغَدَتْ كلا الفرجَيْن تَحسِبُ أنّه مولى المَخَافَةِ خلفُها وأمامُها

(شرح القصائد السبع الطوال : ٥٦٥)

فهي تسمع صوت الإنسان الذي يحاول تطويقها ليصيدها بنباله وكلابه ، وهي تعدو لذلك مذعورة لا تعرف الطريق إلى نجاتها ، وتحسب الهلاك محيطاً بها من كل جانب ، من أمامها ومن خلفها : وهنا يبدأ الصراع المستميت بين البقرة الوحشية وكلاب الصائدين في مشهد يموج بالحياة والحركة والمعاناة ، فالبقرة أم ثكلى ، وفي تصوير استبسالها في الدفاع عن نفسها ومقاومة الكلاب المهاجمة مشاركة وجدانية تشف عن عاطفة الشاعر وإشفاقه عليها ، فقد أحاط تلك الصورة الرمزية للأمومة الثكلى في تصدّيها

للأهوال والموت في مواجهة أعدائها ، بإطار وجداني من مشاعره الذاتية ، إذ هيّأ للبقرة المحاصرة سبيل النجاة ، وجعلها توقن بأنها هالكة لا محالة إذا لم تدافع بضراوة عن نفسها ، فراحت تبقر بقرونها الحادة بطون الكلاب التي تهاجمها حتى أردتها وتركتها صرعى مضرجة بدمائها ، وانتهى الصراع الدموي بفوزها ونجاتها .

أمّا الشمّاخ الغطفاني فقد كان أوصف النأس للحُمُر الوحشية ، وكان الحطيئة لذلك يعدّه أشعرَ غطفان وأشعر العرب (الأغاني دار : ١٩٦/٢) وينقل أبو الفرج عن ابن الكلبي قوله : « أُنشد الوليدُ بن عبد الملك شيئاً من شعر الشمّاخ في صفة الحمير فقال : ما أوصفه لها ! إني لأحسب أن أحد أبويه كان حمّاراً ![1] » (الأغاني : ١٦١/٩) .

وقول الوليد بن عبد الملك هذا يُشبه قول تورغنيف الأديب الروسي الكبير لصديقه تولستوي : فقد وقع نظر تولستوي وهو في صحبة تورغنيف على حصان كبير يرعى في أحد المروج ، فراح يصف لصديقه ما عسى أن يكون شعور الحصان ساعتئذ ، وأفاض تولستوي في الوصف إلى درجة رفعت تورغنيف ليقول له مُتعجباً : « إني لعلى يقين ياليونيكولافتش أنك أنت نفسك لا بُدَّ كنت ذات يوم حصاناً ! » .

فالشمّاخ في وصفه للحمر الوحشية ، وتولستوي في وصفه للحصان ، استطاعا أن يتقمّصا شخصية الحيوان ، وأجادا التعبير عن دخائل نفسه ، فأثارا الدهشة والإعجاب ، حتى ظن الوليد أن الشماخ نشأ في كنف أب كان حمّاراً ، فشب على الإلف بهذا الحيوان ومعرفة طبائعه

---

(١) وقرأ الرافعي ، « كان حِماراً » فورث الشمّاخ عنه دقة معرفته بطباع الحمار وصفاته (تاريخ آداب العرب : ١٢٥/٣) .

وعاداته ، فكان وصفه للحُمر عن خبرة ومعاينة وتجربة طويلة موروثة ، وحتى حكم تورغنيف بأن قدرة تولستوي على تصوير أعماق الحصان ، من داخله ، تدل يقيناً على أن الأديب الروسي العظيم كان ذات يوم حصاناً ، لكي يستطيع وصف نفسية الحصان بتلك المعاناة الدقيقة التي أذهلت صديقه وجعلته يجمع بين الإنسان والحيوان في واحد !.

ـ ٥ ـ

وفي العصر الأموي يُطالعنا ذو الرمة شاعر الصحراء في عصره ، بل أكبر شاعر يتغنى بالصحراء العربية ، وكأنه يعشق كل ما فيها ، حتى حيوانها الأليف والوحشي ، وهو مغرم بوصف حيوانات الصحراء ذلك الوصف النفسي الداخلي ، ولا يكتفي برسمها رسماً ظاهرياً يقف فيه عند وصف جسمها وحركاتها ، وهو يبث فيها مشاعر الإنسان وما يعتريه من وساوس وهواجس ، وفي وصفه للثور الوحشي الذي داهمته كلاب الصيّادين وأحدقت به من كل جانب أحس الحيوان المحاصر بالخطر واشتد اضطرابه وقلقه ، وراح يعدو بكل قواه لِيُفلت من طوق محاصريه ، وينجو بالهرب منهم ، لو لم يراجعه شعور بعزته وكبريائه ويدفعه إلى الثبات والصمود :

حتى إذا دوّمت في الأرض راجَعَهُ كِبْرٌ ولو شاء نَجّى نفسَهُ الهربُ

فصمد يقاوم الكلاب ويُصارعها حتى صرعها جميعاً وترك أشلاءها الدامية فوق أرض المعركة !

لقد أثار ذو الرمة في نفس الثور الوحشي إحساسه بالكرامة وأنفته من الهزيمة وخوفه من الهرب وعاره ، والشاعر يخلع بذلك على الحيوان أحاسيسه الذاتية ومشاعره ووساوس نفسه ، حتى غدا الثور الوحشي في شعوره بالعزة والكرامة رمزاً للبدوي وكبريائه وأنفته من العار ، وإيثاره

مواجهة الموت على الهرب من المعركة ، وأصبح الحيوان الذي أعاره الشاعر عواطف الإنسان ومشاعره وأحاسيسه يمثل جزءاً من ذي الرمة نفسه ، وهذا يفسّر سرّ إبداعه في وصفه له وقال الدارسون لوصف الحيوان في ديوانه : « إنه حديث نفس قبل أن يكون حديث حس » (التطور والتجديد في الشعر الأموي شوقي ضيف : ٢٧٩) فقد شملت أوصافه لحمار الوحش تلك المشاركة الوجدانية بينه وبين الحيوان التي تركت في شعره تلك اللمسات الإنسانية التي تميّز بها ، والتي أمدّه بها إحساسه العميق بالحيوان وحبه للصحراء وكل ما فيها .

— ٦ —

ومع نهاية العصر الأموي وقيام الدولة العباسية سادت موجةٌ من الارهاب للقضاء على الأمويين وأنصارهم ، وعمد العباسيون إلى تصفية الأمويين في مجازر دموية لتوطيد دعائم ملكهم ، وبالغوا في القسوة والبطش لسحق الحركات المناوئة لهم ، وبسط سطوة الدولة الجديدة وتعميم هيبتها واحترامها ، وفي أمثال هذه الفترات من الاستبداد والكبت يحذر الإنسان من فلتات اللسان ، ويختفي وراء الحيوان ، ويُنطقه بما يخشى أن يُصرّح به ، وهنا يصبح الحيوان رمزاً للشخصية الإنسانية التي تتخذ منه قناعاً ، تخلُّصاً من المسؤولية والملاحقة ، وإيثاراً للسلامة والعافية ، وكتاب (كليلة ودمنة) برموزه الحيوانية العاقلة الناطقة شاهدٌ على ذلك ، فهو يقرّر الحقائق بألسنة الحيوان ، وقد نقله ابن المقفع إلى العربية خلال فترة الانقلاب السياسي والفكري والاجتماعي التي شهدت انهيار الحكم الأموي وقيام الحكم العباسي ، وفي الكتاب تعريضٌ بالسلطان وحملة على بطانته من الفاسدين والمنافقين وتصوير لعيوب المجتمع ، في تلك الفترة العصيبة من حكم المنصور ، الذي « كان لا يُبالي أن يحرس ملكه بهلاك غيره » كما

يقول المسعودي (التنبيه والإشراف : ٢٩٥ - ٢٩٦) وعندما كتب ابن المقفع كتاب الأمان لعمّ المنصور الثائر عليه ، عبد الله بن علي ، امتلأ المنصور غيظاً ، واستشعر الخطر من كتابات ابن المقفع ، فأوعز بقتله !

ويُعد كتاب كليلة ودمنة من أروع ما خلّفه الأدب الإنساني من قصص تشخّص عالم الإنسان بمنطق الحيوان لأسباب كثيرة ، منها ما أشرنا إليه قبل حين من اللجوء إلى الرمز في عهود الجور ، خوفاً وتقيّةً ، ومنها أسباب فنية خالصة لصياغة الأفكار بأسلوب الحكاية والتمثيل ، ومنها أسباب تعليمية لتقديم الحكم في حكايات مُشوّقة للناشئة ، ليستظهروها ويستفيدوا من عِبَرها ومغازيها ، وفي الأدب العربي قبل كليلة ودمنة شذرات من أحاديث وحكايات على ألسنة بعض الحيوانات ، وفي أمثال العرب نماذج منها ، وفي الشعر الجاهلي نماذج أخرى ، مثل ما نجده عند النابغة من حكاية ذات الصفا (يعني الحية) في رسالة الغفران (ص٢٨٨) أو ما نجده عند أمية بن أبي الصلت في ديوانه من حكاية (الغراب الذي خان صديقه الديك) وخَلّفه رهينة في حانة خمّار ، ومثل ما نقع عليه في الشعر القديم من مشاهدة حوارية ، بين الشعراء والحيوانات التي يصفونها ، كهذا الحوار الذي يدور بين النجاشي الشاعر وذئب عرض له في سفرٍ له ، فدعاه إلى مؤاكلته ، فقال الذئب : هداك الله ، لقد دعوتني إلى شيء ولم تفعله السباعُ قبلي من مؤاكلة بني آدم ، وهو شيء لا يمكنني قبوله ، ولا أستطيع أن أفعله ، ولكن إن كان في مائك فضلٌ عما تحتاج إليه فاسقني ، فدلّه على ما بقي في دلوه من ماء ، فشرب الذئب منه ثم راح يعوي والذئاب الكثيرة الأخرى القريبة تجاوبه بعوائها ..

وماءٍ كَلَوْن الغِسْلِ قد عاد آجناً قليلٌ به الأصواتُ في بَلَدٍ مَحْلِ
وجدتُ عليه الذئب يعوي كأنه خليعٌ خلا من كُلّ مالٍ ومن أهْلِ

فقلتُ له : يا ذئبُ هل لك في فتى ... يُواسِي بلا مَنٍّ عليكَ ولا بُخْلِ
فقال : هداكَ اللّهُ للرُشد ! إنّما ... دعوتَ لِما لم يأته سَبُعٌ قبلي
فلستُ بآتيهِ ولا أستطيعُه ... ولاكِ اسقني إن كان ماؤكَ ذا فضلِ
فقلتُ : عليك الحوض إني تركتُه ... وفي صفْوِه فضلُ القلوص من السَّجْلِ
فطرَّب يستعوي ذئاباً كثيرةً ... وعدَّيتُ ، كُلٌّ مِن هواهُ على شُغْلِ

(أمالي المرتضى : ٢١١/٢)

فمنطق الحيوان عرفه العرب قبل أن يقرؤوا كليلة ودمنة ، كما تقول بحق الدكتورة بنت الشاطئ في تقديمها لرسالة الصاهل والشاحج للمعري (ص٣٩) الذي عمد فيها إلى تشخيص فني لعالم الإنسان في منطق الحيوان (ص٤٢) والحوار في هذه الرسالة العلائية الفريدة لا يقتصر على الصاهل (الفرس) والشاحج (البغل) بل هناك حيوانات أخرى تتدخل في الحوار الدائر ، فُرادى وجماعات ، كالضبع والفاختة والجمل والثعلب ، « وعلى هذا يعتبر الكتاب – كما يقول الدكتور أمجد الطرابلسي في تعريفه برسالة الصاهل والشاحج : فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : ص١٠ – حلقة في سلسلة ما صُنّف في الأدب العربي نثراً وشعراً على ألسن الحيوان » .

غير أن منطق الحيوان الذي تُقدمه لنا بعض الأمثال والحكايات ومشاهد الحوار التي أشرنا هنا إليها ، والذي نجده في سلسلة الكتب المصنفة على ألسن الحيوان ، والتي تبتدئ بكتاب كليلة ودمنة وما تلاه ، لا تصف لنا الحيوان وصفاً داخلياً باطنياً ، وتكتفي من (أنسنة) الحيوان بجعله ينطق بكلام واهي الصلة بنفسيته وطباعه وميوله ، فيجيء الحوار الدائر بين الإنسان والحيوان ، وكانه حوار بين الإنسان ونفسه ، أو كأنه لو من المناجاة

لا دخل للحيوان فيها ، فكيف يكون مثل هذا الحوار وسيلة لتحليل نفسية الحيوان وتحديد ذكائه وتفسير طباعه ، وكيف يمكننا أن نجد فيه لوناً من المشاركة الوجدانية بين الإنسان والحيوان !.

هذا ما نبحث عنه في مقالتنا الحيوان في صوره الإنسانية وقد قدّمنا من قبل ما وجدناه منه ، وهو ما نجده أيضاً في قول ابن هرمة (ت ١٧٠هـ) في مدح قوم كرام ، تعوّد كلبهم رؤية الضيفان الوافدين عليهم ، فلا ينبحهم ، بل هو يرحب بهم ويحبهم ، ويكاد من حبه إياهم أن ينطق بترحيبه ، لو لم يكن حيواناً أعجم :

يكادُ إذا ما أبصرَ الضيفَ مُقبلاً يُكلّمه من حُبِّه وهو أعجمُ

(حماسة أبي تمام : ١٥٨١/٤)

فهنا يتسلّل الشاعر إلى داخل الحيوان ، ويصف عواطفه ومشاعره نحو الضيف ، ويصف فرحه باستقباله ، ويصوّر ترحيبه به ، ويكاد يُنطقه بكلمات التأهيل والترحيب تعبيراً عن حبه ، كالإنسان الناطق لولا أنه حيوانٌ أعجم !

— ٧ —

وعندما يصبح الحيوان صورة رمزية للإنسان ، أو (معادلاً موضوعياً) له تنزاح الفروق بين الحيوان والإنسان ، ويغدو الحيوان إنساناً والإنسان حيواناً ، على النحو الذي نجده عند البحتري في وصفه للذئب عندما تصدى له في بعض أسفاره في الصحراء ، في المراحل الأولى من حياته : فقد كان الذئب الذي أنهكه الجوع ولم يُبق فيه غير العظم والجلد ، صورة للشاعر في وحشته وجوعه وبحثه الدائب عن لُقمة العيش ، وتشبثه بالحياة وحب البقاء ، وكان الشاعر ذئباً به من شدة الجوع ما بالذئب الذي

هاجمه ، وكان الجوع لدى الذئبين يزيد في ضراوتهما وصراعهما المستميت على الحياة :

طواهُ الطوى حتى استمرَّ مَريرُهُ فما فيه إلا العظم والروحُ والجلدُ
سما لي وبي من شدة الجوع ما به ببيداء لم تُعرَفْ بها عيشةٌ رَغْدُ
كلانا بها ذئب يُحَدِّثُ نفسَه بصاحبه والجَدُّ يتعسُهُ الجَدُّ

(ديوان البحتري : ٧٤٣/٢)

فهو إذاً صراعٌ مستميت بين ذئبين جائعين ، في بيداء قاحلة جرداء ، وقد حدّث كل منهما نفسه بأن يفتك بصاحبه ليتبلّغ بِمُضغة من لحمه تهدهد سَوْرة جوعه ، وجَدَّ كل منهما في مواجهة خصمه للفوز بما يُحقق أُمنيته ، ولكنّ الجِد إذا لم يواكبه الحظ أتعس الجادَّ ولم يُجْده نفعاً ، هذا ما كان يدور في داخل كل ذئب منهما : وهذا (المونولوج) الداخلي – أو المناجاة النفسية في باطن كل منهما – يكشف لنا كيف تسلّل الشاعر إلى داخل الحيوان لينقل لنا حديثه مع نفسه ، وهو صورة مماثلة من حديث البحتري مع نفسه أيضاً في تلك الليلة العصيبة التي انتهت بمصرع الذئب ونجاة الشاعر في معركته الضارية مع الحيوان الجائع المستميت في البحث عن فريسة يلتهمها ليسدّ جوعه ويسكّن قَرَمَه ويضمن بقاءه .

وللحديث عن الإنسان والحيوان في البادية وجهٌ آخر ، يناقض ما شهدنا من العداوة والاقتتال بينهما حتى يقضي أحدهما على الآخر ، وهو وجه يحدّثنا عن علاقات الأُلفة والحب المتبادل بين الإنسان والحيوان في البوادي ، إذ تقوم بين البدوي وجمله في الصحراء علاقة إنسانية حميمة ، تحدّث عنها بإعجاب واحدٌ من الأطباء الفرنسيين الذين كانوا في جيش محمد علي المُرسل إلى جيزان ، واسمه تاميزيه ، فقد اتضح له أن شبه جزيرة

العرب من بلدان العالم التي تقوم فيها بين الإنسان والحيوان تلك العلاقات الأليفة :

« فالجمل هناك يلقى معاملة الصديق الحقيقي ، يتحدّث إليه البدوي في الطريق عن أجداده ، ويقطع له عهوداً ، ويُنشد له أناشيد الحب والقتال ، والجمل يُصغي إليه بانتباه كُلّي ، وللتعبير عن اللذة التي يشعر بها يضغط على شدقيه ، ويصرُّ أسنانه ، ويُدير رأسه نحو الحادي ليعيره انتباهاً أكثر ، ثم يبدو – وقد أُخذ بهذه الألحان البدوية – أنه قد نسي حِمْلَهُ [الثقيل] ، فيجتاز مسافات لا يُصدقها العقل ، ينقل أخبارَها السلفُ للخلف » .

(اكتشاف جزيرة العرب : لجاكلين بيرين – ترجمة قدري القلعجي : ٢٥٩)

– ٨ –

وقبل أن نغادر الكلام على الحيوان في العصر العباسي لا بد من وقفة لتفسير تلك الظاهرة التي استفاضت في القرن الهجري الرابع ، والتي تتمثل في اهتمام الشعراء فيه بتأبين الحيوان ورثائه ، وتعددت محاولات الباحثين لتعليل هذه الظاهرة ، وقد هالهم أن ينفق حمار بأصبهان لأبي عيسى المنجم ، فيوعز الوزير الصاحب بن عباد إلى الشعراء أن يتباروا في رثائه وتعزية صاحبه المنكوب بموته ، وقد حفظت لنا اليتيمة (٢١٤/٣ – ٢٢٩) عدداً من تلك البرذونيات التي أقام فيها الشعراء الحداد والمناحات على برذون أبي عيسى ، كقول أبي القاسم بن أبي العلاء (اليتيمة : ٢١٨/٣) :

ففي كل إصطبل أنينٌ وزفرة ... تَرَدَّدُ فيه بُكرةً وأصيلاً
ولو وَفَتِ الجُرْدُ العتاقُ حقوقَهُ ... لَما رَجُعَتْ حتى الممات صهيلا
ولو أنصفتهُ الخيلُ ما ذُقنَ بعدَهُ ... شعيراً ولا تبناً ومتنَ غليلا

فقدتَ أبا عيسى بِطِرْفكَ مركباً　　جليلاً وخِلاً ما علمت نبيلا

وكقول أبي دلف الخَزرجي من أرجوزة طويلة (اليتيمة : ٣/٢٢٤) تحدّث فيها عن أخلاق الفقيد الرضيّة وطباعه وتهذيبه :

قد كملت في طبعه الآدابُ　　وهُذِّبتْ أخلاقُه العذَابُ
ذو نَسَبٍ تحسده الأنسابُ　　ومَيْعَة ينزو بها الشَبابُ
كأنّما غُرّتُه شهابُ　　وقد غدا الاصطبل والجنابُ
يبكيكَ السائسُ والبّوابُ　　والسَّرْج واللجامُ والرِّكابُ

وفي هذه المراثي الحيوانية لمسات إنسانية تجعل من البرذون صديقاً (خِلاً) لصاحبه في حياته ، وتصف طباعه المهذّبة وأخلاقه العذبة التي كان يتصف بها ، وتتحدث عن عراقة نسبه ونشاط شبابه وإشراق غرته ، ولكن الشعراء قد غلّفوا تلك اللمسات الإنسانية المؤثرة بروح من السخر والدعابة تفضح غايتهم من رثائهم ، فهم يهزلون ويتماجنون ، ومن هنا فُسّرت الظاهرة كلها تفسيراً يربط بين تيار المجون في العصر العباسي – التيّار الفكاهي الهازل – وهذا اللون من الرثاء ، أما الدكتور طه حسين فيعد البرذونيات من قبيل استفاضة الشعر في ذلك العصر ، وكثرته وانحداره وقوله في كل غرض . (تجديد ذكرى أبي العلاء – المقدمة) . وقد شُهر القاسم بن يوسف بأشعاره في رثاء الحيوان ، فله قصيدة في (٤٧ بيتاً) في رثاء عنزٍ له سوداء ويعدّه الصولي أشعر المحدثين في هذا اللون من الرثاء ويقول إنه « أشعر في فنّه الذي أعجبه من مراثي البهائم من جميع المحدثين ، حتى إنه لرأسٌ فيه مُتقدِّمٌ جميع من نحاه » (الأوراق : أخبار الشعراء : ١٦٤ – ١٦٦) ويروي له القصائد الطويلة في رثاء الهرة (ثلاثون بيتاً : ص١٧٢ – ١٧٣) ورثاء الشاه رُخ (وهو جنس طير ، في ثمانية وثلاثين

بيتاً : ص١٧٦ - ١٧٨) ورثاء القُمْري (في تسعة وثلاثين بيتاً : ص١٩٣ - ١٩٥) . ولأبي الفرج الأصبهاني - صاحب الأغاني - قصيدة مشهورة في رثاء ديك ، تُعد من أجمل ما قيل في مراثي الحيوان (نجدها في نهاية الأرب : ١٠/٢٣٠ - ٢٣١) وصف فيها فجيعته بديك كان يألف قُربه ، ويُعجب بشمائله وجمال مظهره وكمال حسنه وبديع وشيه ونعومة صوته ونغمة موسيقاه :

لهفي عليكَ أبا النذير لو أنَّهُ ... دفعَ المنايا عنكَ لَهْفُ شفيقِ
وعلى شمائِلكَ اللواتي ما نَمَتْ ... حتى ذَوَتْ من بعدِ حُسْنِ سُمُوقِ

.....

وكُسيتَ كالطاووسِ ريشاً لامعاً ... مُتلألئاً ذا رونق وبَريقِ
وخَطَرْت مُلتحفاً بِبُرْدٍ حبَّرَتْ ... منه بديعَ الوشْيِ كفُّ أنيقِ
وكأنَّ سالِفَتَيْكَ تِبْرٌ سائلٌ ... وعلى المفارِقِ منكَ تاجُ عقيقِ
وكأنّ مجرى الصوتِ منك إذا نَبَتْ ... وجَفَتْ عن الأسماعِ بَحُّ حُلُوقِ
نايٌ دقيقٌ ناعمٌ قُرِنَتْ بهِ ... نَغَمٌ مؤلَّفةٌ من الموسيقي
أبكي إذا أبصرتُ رَبْعَك مُوحِشاً ... بِتَحَنُّنٍ وتأسُّف وشهيقِ

وفي حزن أبي الفرج على ديكه وحسن شمائله وبُكائه من وحشته إليه وحنينه إلى ذكراه وأسفه على فقده لمسات إنسانية ووجدانية تشف عن صدق العاطفة والمشاعر التي كان أبو الفرج يكنها في نفسه للديك الراحل .

ويمكننا أن نعدَّ قصيدة أبي بكر بن العلاف (٢١٨ - ٣١٨هـ) الدالية في رثاء الهر أشهر وأطول قصيدة في رثاء الحيوان وصلت إلينا من العصر العباسي ، وقد أوردها صاعد البغدادي في كتاب الفصوص في (٧٣ بيتاً) وقال ابن خلّكان « هي من أحسن الشعر وأبدعه ، وعددها (٦٥

بيتاً) وطولها يمنع من الاتيان بجميعها ، فنأتي بمحاسنها – واختار منها (٤٣) بيتاً عدها زبدة القصيدة – » وهي الأبيات التي نجدها عند الدميري (حياة الحيوان : ٣٨٦/٢) أما النويري فيورد منها (٥٢ بيتاً) (نهاية الأرب : ٢٩٣/٩) ويورد الصفدي (٤٢ بيتاً) (نكت الهميان : ١٣٩ – ١٤٢) ويُقَدّم لها بقوله :

« كان لأبي بكر هرّ يألفُ به ، وكان يدخل أبراج الحمام التي لجيرانه ويأكل فراخها ، وكثر ذلك منه ، فأمسكوه وذبحوه ، فرثاه بالقصيدة التي اشتهرت ! وقد قيل إنه رثى بها عبد الله بن المعتز ، وخشي من الإمام المقتدر أن يتظاهر بها ، لأنه هو الذي قتله ، فنسبها إلى الهر ، وعرّض به في أبيات منها لِصُحبة كانت بينهما؛ وقيل إنما كنى بالهر عن المُحسّن بن الفرات أيام محنته ، لأنه لم يجسر أن يذكره ويرثيه ؛ وقيل إن جارية لعلي بن عيسى هويت غلاماً لأبي بكر ففطن بهما فقتلا جميعاً ، وسُلخا وحُشيت جلودهما تبناً ، فقال مولاه أبو بكر يرثيه :

يا هرُّ فارقتنا ولم تَعُدِ وكنتَ فينا بمنزلِ الولدِ إلخ... »

وهكذا نقع على تفسير جديد لظاهرة رثاء الحيوان في العصر العباسي ، وهو تفسير رمزي تُقدّمه دالية ابن العلاف هذه التي أمعن الشاعر في إخفاء رمزه حتى غُمّ على القُراء أمرُه ، وقال الصفدي بعد أن أورد من القصيدة ما أورد : « قلتُ : وأنا شديد التعجب مّمن يزعم أن هذه القصيدة رثى بها غير هرّ ! » وفي مقالة للدكتور عبد الكريم اليافي عن (الرمز في الشعر العربي) تصدى فيها لدالية ابن العلاف ورأى أنه يصعب القطع في صفتها الرمزية ، إذ « لا يظهر فيها إلا أوصاف الهر » (دراسات فنية في الأدب العربي : ٢٥١ – ٢٥٢) .

والحقّ أننا لا نُحس في الدالية بذلك الحزن العميق الصادق على هر كان للشاعر بمنزلة ولده ، وقد رأى جيرانه يمسكون به ليخنقوه ويذبحوه ويحشوا جلده تبناً ، انتقاماً لفراخهم التي كان الهر يُغير عليها في بُرجهم ويلتهمها ، وقد غطى الشاعر جفاف عاطفته وفقر مشاعره بإيراد حكم كثيرة كلها لومٌ وتأنيب للهرّ على بغيه وعدوانه وشرهه الذي أودى بحياته :

أَلم تخف وثبــةَ الزمــانِ كما ... وثبتَ في البُـرج وثبـةَ الأسـدِ
عــاقبــةُ البغي لا تنـام وإنْ ... تــأخـرت مُـدةً من المُـدَدِ
أردتَ أن تــأكل الفــراخ ولا ... يـأكُلك الدهرُ أكلَ مُضطهدِ
لا بـارك اللهُ في الطعــامِ إذا ... كان هـلاكُ النفـوسِ في المِعَدِ
كَم أكلةٍ خـامرت حشـا شَـرِه ... وأخـرجت روحَـهُ منَ الجَسَـدِ
مـا كان أغنـاكَ عن تَسَوُّرِكَ الـ ... ـبُــرْجَ ولو كانَ جَنّــةَ الخُلْدِ
قـد كنتَ في نعمــةٍ وفي رغدٍ ... من العـزيـز المهيـمنِ الصَّمَـدِ
تــأكلُ من فــأر بيتـنـا رغداً ... إلخ........................

ومع ذلك نالت هرّية ابن العلاف إعجاب معاصريه ، وعارضها ابن العميد بقصيدة لامية نجد في اليتيمة أبياتاً منها (اليتيمة : ٣/١٧٩) ، وعدّها ابن خلكان كما رأينا من أحسن الشعر وأبدعه !

— ٩ —

لقد فاز الحيوان في العصر العباسي بدراسات متفاوتة الحظ من الصبغة العلمية ، وتحدّث أصحابها عن طباع الحيوان وخصائصه ، على أساس الملاحظة والاختبار والمعاينة ، كالذي يُطالعنا به (كتاب الحيوان) للجاحظ ، وإخوان الصفاء في بعض رسائلهم ، والتوحيدي في بعض ليالي (الامتاع والمؤانسة) ، وقد حاول التوحيدي تحديد الصلة بين الحيوان

والإنسان بقوله : « إنّ أخلاق الحيوان الكثيرة مؤتلفة في نوع الإنسان ، وذلك أن الإنسان صفو الجنس الذي هو الحيوان ، والحيوانُ كَدَرُ النوع الذي هو الإنسان » وبسبب هذه العلاقة الأصيلة بين الحيوان والإنسان رأى التوحيدي أن الإنسان يجمع من خصال الحيوان ألواناً ، وصار يستكثر منها بالفطرة والفكر والعقل ، وبمزية العقل فضل الإنسان جميع الحيوان وصار يُسخّره في أعماله ومنافعه وحاجاته (الامتاع والمؤانسة : ١٤٣/١ — ١٤٤) وبعد العصر العباسي وما تلاه من عصور الدول المتتابعة أصبح الاهتمام بموضوع الحيوان كبيراً في الأدب الشعبي وأصبحت العلاقة بين الحيوان والإنسان تخضع لعوامل التسلية والتشويق والوعظ في القصص الحيواني الذي يتخذ الحيوان في بعضه صورة الإنسان عن طريق التشخيص فإذا هو ينطق بلسانه ، ويُبين عما في داخله من أفكار ورغبات ، ومحدّثه يفهم عنه ويحاوره ويكلّمه ، أو يتخذ الإنسانُ في بعضه الآخر صورة الحيوان عن طريق السحر والتعاويذ والقوى الخارقة ، وهنا يصمت المسحور ويقوم الحوار بين الناس حوله عنه ، وهم يعلمون أنه إنسان حوّله السحر إلى حيوان ، وفي كتاب (ألف ليلة وليلة) نماذج كثيرة لهذا القصص الحيواني الشعبي الذي تختلط فيه الفواصل بين الحيوان والإنسان في الصور والمعاملات ، والذي يرفع الخيال فيه الحواجز بين عالم الإنسان وعالم الحيوان ، مّما يفتن عقول العامة ، ويعدّ الباحثون قصة (الحمار والثور مع صاحب الزرع) خير ما يمثل موضوع الحيوان في (ألف ليلة وليلة) فقد أراد الحمار أن ينقذ الثور من شقائه فيما يلقاه طوال النهار من تعب الحرث ، فإذا به يحِلُّ محلَّه في تحمل الشقاء ، وعادت الحيلة التي علّمها للثور بالشرّ على مُدَبّرها ، وقد سمع صاحب الزرع كلام الحمار والثور وفهم الحيلة التي دبّرها الحمار في نصحه للثور بأن يتمارض ويتخاذل ويمتنع عن تناول عليقه ،

فأراح الزارع ثوره وساق حماره إلى حراثة الأرض بدلاً عنه ، إلى آخر القصة الطويلة ، التي تبرز سِمَتُها الحيوانية الإنسانية المشتركة في تآمر الحيوان على الإنسان وتدبيره الحيلة للتغلّب عليه ، وإحباط الإنسان للمؤامرة بسبب فهمه لغة الحيوان (ألف ليلة وليلة للدكتورة سُهير القلماوي : ٢٠٣ - ٢٠٤) وفهم المزارع للغة الحيوان هنا لا يعني أن الرجل قد عُلِّم منطق الحيوان ، مثل سيدنا سليمان ، بل يعني أن الرجل على وعي بطباع الحيوان وأخلاقه ، وقد تسلّل إلى باطنه ليزداد معرفة بدخائل الحيوان ونوازعه ، ويفهم دوافع رغباته وتصرّفاته ، ويُحبط تآمره عليه .

وفي (حياة الحيوان) للدميري (- ٨٠٨هـ) تصوير لطبائع الحيوان وخصائصه تختلط فيه الحقائق العلمية التجريبية بالخرافات والأساطير والمعتقدات الشعبية ، وتُسند كثير من الأخبار المروية فيه إلى الأئمة الكبار الذين لا يعقل أن تصدر عنهم ، وهذا نموذج يُغني عن ذكر غيره : « روى ابن عساكر في تاريخ دمشق عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّ البغال كانت تتناسل ، وكانت من أسرع الدواب في نقل الحطب لِنار إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ، فدعا عليها فقطع الله نسلها ! » (حياة الحيوان للدميري : ١٤٢/١) .

- ١٠ -

والحديث عن (الحيوان إنساناً) في أدبنا العربي الحديث : شعره ونثره ، حديث يطول إذ لا يكاد يخلو ديوان من دواوين الشعراء الكبار في عصرنا من قصائد عن الحيوان (تؤنسنه) وتمنحه الشخصية الإنسانية الناطقة عما في باطنه من أفكار وميول ورغبات ، أو تتخذ منه رمزاً لما لا تستطيع الإفصاح عنه بحرية وانطلاق ، أو تُدير معه حواراً يُبرز تعدّد

وجهات النظر ، أو تجعل من الحديث عنه حكاية تعليمية فيها الحكمة والعظة والاعتبار لمن يرويها ، وحسبنا أن نشير إلى بعض النماذج التي تمثل هذه الألوان من (أنسنة) الحيوان :

١ - فهذا أمير الشعراء شوقي يتخذ من (الكنار) رمزاً للمرأة في قضية السفور والحجاب التي كانت تشغل المجتمع المصري في أيامه ، ولنُصغ إليه وهو يخاطب الكنار الحبيس في قفصه ، ويتوجّع له : (الشوقيات : ١/١٧٦)

صدّاحُ يا ملكَ الكنا ... رِ ويا أميرَ البُلبُلِ

....

يا ليتَ شعري يا أسيـ ... ـرُ شجٍ فؤادُكَ أم خلي
بالرغم مني ما تُعا ... لجُ في النحاس المُقفلِ
والقيدُ لو كانَ الجُما ... نَ مُنظّماً لم يُحْمَلِ
صبراً لِما تشقى به ... أو ما بدا لكَ فافعل إلخ...

وقد لجأ شوقي إلى الرمز لأنه لم يكن يملك حرية التعبير عن رأيه بصراحة يوم نظم القصيدة ، وأغلال القصر تكبّله ، فلما تخلّص من تلك الأغلال جأر بالدعوة إلى السفور وحرية المرأة المصرية : (الشوقيات : ٢/٢٠٨ - ٢١١)

قُل للرجال طغى الأسيرْ ... طيرُ الحجال متى يطيرْ
أوهى جناحيه الحديـ ... ـدُ وحزَّ ساقيه الحرير
ذهب الحجابُ بصبره ... وأطال حيرته السفور
حريةٌ خُلق الإنا ... ث لها كما خُلق الذكور إلخ...

ولا بد من الإشارة إلى حكايات الحيوان التعليمية التي نهج شوقي

فيها نهج لافونتين في خرافاته عن الحيوان (Les Fables) . والناشئة في كل قطر عربي يحفظون الكثير من حكايات شوقي تلك ، ويعدّها المربون ذخيرة ثقافية تعين على تكوين الناشئة وتزويدهم بالحكمة بذلك الأسلوب الرمزي الممتع المُشوّق لهم .

٢ – وهذا ولي الدين يكن يمنح (الديك) نسمة إنسانية فيجعله (شاعر الفجر) الذي يهيج بصياحه الأطيار عند الصباح ، وهو واقف على ربوة « مستقبل دولته بالصياح » وهو يختال تيهاً في حلة ريشه ، ويصفّق بجناحيه ، والعُرف على رأسه مثل التاج الملكي ، أحمر كجمرة النار التي تؤج في يد مُقتبسها عند اشتداد هبوب الرياح :

ما هاجَ في الأطيار هذا النُواحْ روضٌ أريضٌ وغديرٌ قراحْ
تبكي على أعقاب ملك الدجى أم هلّلتْ من فرحٍ بالصباحْ
وشاعرُ الفجر على ربوةٍ مستقبلٌ دولته بالصِّياحْ
يختالُ في حُلّةِ أرياشهِ يضرب تيهاً بالجناح الجناحْ
يضطرب العُرفُ على رأسه كتاج ملكٍ في مجالِ الكفاحْ
أحمر كالجمرةِ يسعى بها مقتبس عند اشتداد الرياحْ

وفي ديوانه مرثية لكلبه (جوجو) تصف حزن الأسرة كلها عليه ، ويتعهد الشاعر بموالاة البكاء عليه حتى تجف دموعه ، بلهجة صادقة وعاطفة جياشة :

ترحّلَ (جوجو) فلا يرجعُ وعزَّ العزاءُ فما نصنعُ
سأبكي عليه إلى أن تجفَّ بعينيَ من سكبها الأدمعُ إلخ...

(ديوان ولي الدين يكن : ١٠٥ و١١٩)

٣ – ومثل هذه النزعة الإنسانية الحانية على الحيوان (والكلب

خاصـــة) نجدها عند عبـاس محمود العقـاد في رثائه المؤثر الحزين لكلبه (بيجو) ، وقد تفجّع عليه تفجُّع الصديق على الصديق : (ديوان أعاصير مغرب : مع العقاد لشوقي ضيف : ١٧٠)

حُزناً على (بيجو) تفيضُ الدُّموعْ حُزناً على (بيجو) تثورُ الضلوعْ
حُزنـاً عـليـهِ جهـدَ مـا أستطيعْ وإن حُـزنـاً بعـد ذاك الولوعْ
واللهِ — يـا بيجـو — لحزنٌ وجيعْ

ويرى شـوقي ضـيف (مع العقـاد : ١٤٣ و١٥٨) أن العقـاد « يتعاطف مع عالم الطير تعاطف الحي مع الحي ، تعاطفاً يمتزج بالحنان ، على نحو ما نرى في قصيدته (الكروان) وهي من فرائد قصائده التي نظمها في هذا الطير الشادي ليلاً بأغانيه وترنياته الشجية :

هل يسمعون سوى صدى الكروان صـوتـاً يرفرف في الهزيع الثـاني

ويتجلى في القصيدة امتزاج العقـاد بروح الكروان ، وهو يخاطبـه بقوله :

أنـا لا أراكَ وطـالمـا طرق النهى وحيٌّ ولم تظـفـر بـه عينـانِ
أنـا في جنـاحكَ حيث غابَ مع الدُّجى وإن استـقـرَّ على الثرى جُثماني
أنا في لسانكَ حيث أطلقه الهوى مرحاً وإن غلبَ السرورُ لسـاني
أنا في ضميركَ حيث باح فما أرى سـرّاً يُغيبُـهُ ضـمـيرُ زمـاني
أنا منكَ في القلب الصغير مُساجلٌ خفـق الربيـع بـذلك الخفقـانِ
أنا منكَ في العين التي تهبُ الكرى وتضـنُّ بـالصَّحَواتِ والأشجـانِ

(فاتحة قصائد ديوانه « هدية الكروان » : مع العقاد : ١٥٨)

وفي قصيدة (العقاب الهرم) يصور الشـاعر عقاباً هرماً استبد به ضعف الشيخوخة فبات لا يستطيع نُهوضاً ، وعجز جناحاه عن حمله ،

وأصبح يأسى على نفسه ، وهو مكبٌّ على الثرى ، يُغمض عينيه حيناً ، وكأنه يرى الموت منقضاً عليه ، أو كأنه يحلم بصولة ماضيه ، وإذا أدفأته الشمس أغفى وربما توهم أنها صيد ميسور يسد بمضغة منه جوعه ، كما كان يتوهمها وهو عقاب صغير (هيثم) ، ولا يكتم الشاعر عطفه وشفقته على مأساته :

يَهُـمُّ ويُعييه النهوضُ فيجثُمُ ... ويعزم إلا ريشُه ليس يعزم
ويثقله حمل الجناحين بعدما ... أقلاّه وهو الكاسرُ المُتقحِّمُ
ويغمض أحياناً فهل أبصر الردى ... مُقضًّا عليه أم بماضيه يحلم
إذا أدفأته الشمسُ أغفى ورُبّما ... توهّمها صيداً له وهو هيثم
لعينيكَ يا شيخ الطيور مهابةٌ ... يفرُّ بغاث الطير عنها ويهزم
وما عجزت عنك العداةُ وإنما ... لكل شباب هيبةٌ حين يهرم

والتصوير النفسي لهذا العقاب الشيخ الذي حطمت قواه السنون ينقل ما في نفس الشاعر من تعاطف مع الحيوان البائس ، فهو يعزيه عن شيخوخته وعجزه بأن مهابته التي لا تزال له تجعل بغاث الطير تخاف سطوته وتخشى بطشه (مع العقاد : ١٤٣ - ١٤٤) .

٤ - وقصيدة (العقاب الهرم) تقودنا إلى قصيدة مماثلة لعمر أبي ريشة عنوانها (نسر) وهو نسر جريح ، أشلاء نسر ، أوْهى الضعف مخلبيه ، وأدمى المقدور منكبيه ، فتناثر ريشه ، وهوى من الذرا التي كان يحلّق فيها ، ويُقيم وكره المنيع ، إلى السفوح الدانية ، وقد تكسّرت أجنحته وانطوت ، وانهارت مطامحه ، وأصبحت عصائب الطير التي تألف السفوح تحوم من حول النسر العاجز ، وتنفّره وتؤذيه ، وهي ترى وهن مخلبيه وجراح منكبيه ، وما تبقى له من وقار موروث عن أجداده النسور من قديم

الدهور : (من عمر أبو ريشه – شعر : ١٩٣٠ – ١٩٦) .

أصبح السفحُ ملعباً للنسورِ فاغضبي يا ذُرا الجبال وثوري

....

لملمي يا ذرا الجبال بقايا النّـ ـنسر وارمي بها صدور العُصور
إنه لم يعد يُكحِّل جفن النّـ ـنجم تيهاً بريشه المنثور
هجرَ الوكر ذاهلاً وعلى عَيْـ ـنيهِ شيءٌ من الوداع الأخيرِ
هبط السفحَ طاوياً من جناحيـ ـهِ على كُلِّ مطمحٍ مَقبورِ
فتبارَتْ عصائب الطير ما بَيْـ ـنَ شَرُود من الأذى ونَفُورِ
لا تطيري جوّابةَ السفح فالنّسـ ـرِ إذا ما خبرتِهِ لم تطيري
نَسَلَ الوهنُ مخلبيه وأدمتْ منكبيه عواصفُ المقدور
والوقار الذي يشيعُ عليه فضلةُ الإرث من سحيق الدهور

وفي البيت الأخير يلتقي عمر أبو ريشة بالعقاد في تصوير (مهابة العُقاب) و(وقار النسر) على ميعاد ، ولكن أبا ريشة يُتابع وصف نسره العجوز : فقد وقف النسر المحطم البائس جائعاً يتلوى فوق أشلاء جيفة ليسدّ جوعه ، وعجاف البغاث تدفعه باستخفاف واستهانة لتفوز لنفسها بتلك الأشلاء ، فجن جنونه ، وثارت كبرياؤه ، وترك لها طعامه ، ومضى يسحب جاهداً أنقاض هيكله المتداعي ، متحاملاً على نفسه ، عائداً إلى الذروة التي كانت تشهد تحليقه ، وهوى على وكره فيها جُثّةً هامدة !

وقف النسر جائعاً يتلوّى فوق شِلْوٍ على الرمال نثيرِ
وعجافُ البُغاث تدفعه بالـ ـمخلبِ الغضّ والجناح القصيرِ
فسرت فيه رعشةٌ من جُنون الـ ـكِبرِ واهتزّ هزَّة المقرورِ
ومضى ساحباً على الأفق الأغـ ـبَرِ أنقاضَ هيكلٍ منخورِ

وهوى جُثّـةً على الذورة الشمّـ ـمـاءِ في حضـنِ وكره المهجـورِ

ويختم أبو ريشة قصيدته ببيت يكشف عن الرمز الذي يغلّف صورة النسر المُحطّم الجريح : فقد كنى الشاعر بذلك النسر عن نفسه ، وانهيار طموحه وانحداره من القمة التي تليق بعبقريته وموهبته ، إلى السفوح الذليلة التي يلقى فيها الاستخفاف والاستهانة من الصغار ، وهو صابر على هدر كرامته وتحطيم كبريائه ، فيسأل النسر العائد إلى الذروة ، ليموت في وكره فيها ، وهو في الحقيقة يسأل نفسه ، وفي أعماقه موجة عارمة من الحزن على وضعه المُهين :

أيهـا النسـر هـل أعودُ كما عُدْ ت أم السفحُ قد أمات شُعوري !

فالنسر هنا هو الحيوان إنساناً ، هو الشاعر نفسه الذي يثور على رضاه بالحياة في السفح ، وهو جدير بأن يحلّق في القمم ، وتؤهله موهبته للحياة في الذرا الشُمّ التي لا تخفق فيها غير أجنحة كبار الموهوبين ، ولم يكشف الشاعر عن رمزية القصيدة إلا في خاتمتها لتخلّف لمسته الإنسانية أثرها في وجدان القارئ : ففي تصوير النسر خلجات نفس ونبضات قلب ومشاعر كبرياء وإحباط ، رسمها أبو ريشة في إطار من الخيال والظلال والألوان ، بطريقته الفنية التصويرية وأسلوبه الرمزي ورؤيته الذاتية المتدفقة بغنى عاطفته وحرارة انفعاله ووقدة إحساسه وجموح خياله وجدّة تعبيره .

٥ ــ وتعبير الشعراء في الأدب المعاصر عن أنفسهم وتجاربهم بصور رمزية يستعيرونها من عالم الحيوان (ومن عالم الطير خاصة) ظاهرة نقع على نماذج لها في دواوينهم ، ونكتفي بثلاثة شواهد من شعر ثلاثة من الشعراء أولهم خير الدين الزركلي في اتخاذه (عصفورة النيربين) وسيلة لنقل حنينه الذي يذيب شغاف قلبه إلى وطنه وهو مبعد عنه :

عصــفـورة النــيربــينِ غَنّي واروي حــديث الأنــين عنّــي
أنــا المــعــنى ومــا المُـعنّــى غـــير حنـــين أذاب مـــني
شــفــاف قــلبي وحســن ظني

(الشعر الحديث في الإقليم السوري : ١٨٠)

وثانيهم شفيق جبري في مقارنته نفسه ، وهو في قبضة همومه وأغلال شجونه ، بـ (حمام الزيزفون) الحرّ الطليق السراح : (أنا والشعر : ٣٥)

شتّـــانَ مـــا قـــلبـي وقـلـ ـبُـك يـــا حمــامَ الزيــزفــونِ
أنت الطـــليـــق فمـــا تـــزا ل من الســـهــول إلى الحُـزونَ
وأنـــا المُـــبرَّح بـــالســـلا ســـل مثـل تـبريح السجـين
وتقـــيــكَ أطــرافُ الجبـــا ل أذى النبـــال فمـن يقـيـني
تطـــوي السماء فـــترتـــوي من كل واطفـــة هَتُـــونِ
وأن إذا انقـــطـــع السحـــا بُ رويتُ قـلبي من شُـؤوني
مـــا لي خـــدينٌ مُـــؤنسٌ كيف الحيـــاةُ بـــلا خـدينِ
وأحنُّ في غسَـــق الظـــلا م إلى الهـــوى دأبي حنـــيني

وثالثهـم محمد محمود الزبيري الشـاعر اليمني الثائر الذي شـارك في ثورات بلاده وعرف التشرّد عن وطنه والتغرّب في الأرض ، فاستبدّ به الحنين ، إلى وطنه البعيد فانطلق ينوح على نفسه : (ثورة الشعر : ديوان الزبيري)

أنـــا طـــيرٌ حطّـــم المقـــ ـــدورُ عُشّــي وجنـــاحي
ورمـــــاني في نُثـــــا ر من دُمـــوعي ونُـــواحي
وحُطـــــامٍ من بقـــــا يـــا وطنٍ غـــيرِ صِحـــاحِ
ذهبت آهـــاتي الســــو داءُ أدراجَ الرِّيـــــاحِ

لم أجـد سمعـاً فـأفـرغـ ـتُ أنيـني في جـراحي
وتنبّـهـتُ عـلى أنـ ـقاضِ عُشٍ مُستباحِ
واغـتراب بـين غـابـا تٍ مخيـفـاتٍ فِسـاحِ
لا أرى إلاّ ظـلامـاً في غُـدوّي ورَواحي
سُـدَّتِ الطـرقُ إلى عُشّـ ـيَ من كل النـواحي
آهِ مـاذا تصـنـعُ الآ هـاتُ في البـيـدِ الشحـاح
تَعِسَ الدمعُ إذا لم يستـطـع فكَّ سـراحي
البُـكـا أعجـزُ مـا استخـ ـدمتَ في كسب النجـاح

ولا تحتاج هذه الشواهد إلى تعليق ، وحسبنا أن نُشير إلى النغمة الإنسـانيـة التي تشيع فيها ، وإلى شفافية الرمز التي تمنح الصور تلاوينها المشرقة ولمساتها الغنائية الوجدانية المؤثرة .

٦ – ولا ينفرد الشعراء المحدثون وحدهم بـ (أنسنة) الحيوان ، فقد شاركهم الكتاب الناثرون في تشخيص الحيوان وإنطاقه والتعبير عن طريقه عن أفكارهم ورغباتهم تعبيراً رمزياً يمنح أسلوبهم مزيداً من عناصر الجمال الفني والتشويق والتجديد ، كالذي نجده في (مذكرات دجاجة) للدكتور إسحـاق موسى الحسيني ، و(حمار الحكيم) لتوفيق الحكيم ، و(جنة الحيوان) للدكتور طه حسين ، وقد لاقت (مذكرات دجاجة) في أوائل الأربعينيات من هذا القرن شهرة ورواجاً ، وقدّمها الدكتور طه حسين إلى القراء بقوله : « هذه دجاجة عاقلة جد عاقلة ، بل هي دجاجة مفلسفة تدرس شؤون الاجتماع في كثير من التعمّق وتدبّر الرأي » والحق أن هذه المذكرات كتبت قبل وقوع النكبة عام ١٩٤٨ بخمس سنوات ، وكاتبتها الدجـاجـة العـاقلة الحكيمـة لها مبـادئها ، فهي تكره العنف وتحضّ على

السلم ، وتنشر روح العدل ، وتدعو إلى الحق ونبذ الجور والخصام ، وهي تقف من اجتياح الغرباء لمأواها موقف الفيلسوف المتأمل المفتون بالمثل العليا ؛ وبعد أن حلّت النكبة بالدجاجة الفلسطينية وشاهدت المذابح والمجازر التي أقامها الصهيونيون في وطنها ، تُرى هل بقيت لها فلسفتها المسالمة ، وهي ترى موجات الغرباء المهاجرين الوافدين على فلسطين ليجعلوها وطنهم القومي ودولتهم ، بالحديد والنار ، ويسلبوا الدجاجة العاقلة المسالمة مأواها ويطردوها منه لتصبح مشرّدة في أرجاء الأرض ! لقد كان على الدجاجة الفلسطينية المشرّدة أن تكتب الجزء الثاني من مذكراتها بعد حلول الكارثة ، ولكنها لم تفعل !

ولأحاديث الحيوان عن نفسه ومشاعره طرائف نجدها عند بعض كبار أدبائنا الكتاب ، مثل مصطفى صادق الرافعي الذي تطالعنا بعض مقالاته التي يضمها (وحي القلم) بنماذج مذهلة تدل على مقدرة عجيبة في تقمص الشخصية الحيوانية ، والتغلغل إلى أعماق أسرارها النفسية ، كمقالته حديث قطين : (وحي القلم : ١/٤٠ – ٤٨) التي يُدير الرافعي فيها الحوار بين قطين : قط نحيف هزيل طاوي البطن بارز الأضلاع كأنما همّت عظامه أن تترك مسكنها من جلده لتجد لها مأوى آخر ، وقط سمين تبدو عليه آثار النعمة « وهو يموج في بدنه من قوة وعافية ، ويكاد إهابُه ينشقّ سمناً » أو مقالته حديث خروفين (وحي القلم : ١/٥٤) التي يُدير فيها الحوار بين خروفين من أضاحي العيد : كبش كبير أقرن وخروف صغير مرح ، وقد أنطق الرافعي كل واحد بكلام يصوّر ما يهجس في داخله ليلة العيد : فالكبش مضطرب تركبه الهموم ، وهو يعلم ان شفرة الجزّار ستحزّ عنقه في ضحى اليوم التالي ، فهو لذلك منكمش على نفسه ، ولا يُقبل على التهام علفه ، وقد أطرق برأسه حزناً ، فهو لا يتحرّك ولا يثغو ، أما الخروف

الصغير فكان يتوثب مرحاً ونشاطاً ، ويرسل ثغاءه الذي لا ينقطع مقبلاً على الكلأ يخضمه بشهية ، وهو غرٌّ لا يدري ما ينتظره عند الصباح ، فيقول له الكبش محذراً : « ويحك يا أبلهُ .. إنك لو علمتَ ما أعلم لما اطمأنّت بك الأرض ، ولرجعتَ من القلق والاضطراب كحبة القمح في غربال يهتزُّ وينتفض ! » .

لقد كان الرافعي أقدر كتابنا وأكثرهم موهبة في تصوير (الحيوان إنساناً) ، وله حكايات من قصص الحيوان نهج فيها نهج كليلة ودمنة ، وهي تعبق بروح من السحر الفني والنقد اللاذع والقدرة الخارقة على توليد الأفكار التي يضعها على لسان الحيوان . فتبرز شخصيته وتنم على دخائل نفسه .

(حياة الرافعي لسعيد العريان : ١٣٥ ـ ١٣٦)

ومن طرائف أحاديث الحيوان عن نفسه تلك الابتهالات التي يصور بها الكاتب اللبناني الكبير أمين نخلة (صلاة العنز في الريف) وهي ابتهالات عامرة بالتقوى والخشوع لله ، ربّ الإنسان والحيوان ، وقد تسلل الكاتب إلى باطن العنز لينطق الحيوان بالدعاء ، وصوّره ساجداً على ركبتيه ، خافضاً من التذلل والخشية قرنيه ، منادياً ربه بلهفة وانكسار :

« ربِّ سجدتُ لك على ركبتيّ ، وخفضتُ قرنيَّ هذين من فرط الخشية ، فامسحِ الأرض عُشباً وورقاً أخضر ، وأطلق حياضَ الماء ، واملأ الصهاريج ، ومُدَّ بساط الظلّ في أذى الهواجر !.

ربِّ ، واجعل قلوب الرغيان تخفق من رحمة ، وعِصيَّهم تملس من ليان ، وقصبات مزاميرهم تسيل من طرب !.

ويا ربِّ أسألكَ بالغمام إذا نهض ، والغيث إذا سقط ، وبهذه

اللُجج من الخضرة ألا تُرسل بي إلى المدينة ! آمين » .

(المفكرة الريفية لأمين نخلة)

فهذه الصلاة الخاشعة للعنزة الريفية ترفع الدعاء إلى الله أن يُنعم على العنز في الريف بالمراعي الخضر والظلال الظليلة والمياه الجارية ، وأن يُلهم قلوب الرعاة أن تلين رحمة وحناناً ، وأن تلين عِصيُّهم التي يهشّون بها عليها ، وأن يملأ قلوب مالكيها رأفةً بها ، فلا يرسلوا بها إلى المدينة حيث تنتظرها هناك سكّين الجزار !.

- ١١ -

وهكذا نصل الآن – بعد عرضنا الطويل المتسلسل خلال العصور لما في أدبنا العربي من محاولات لأنسنة الحيوان ووصفه من الداخل ودفعه إلى الإعراب عن نفسه بلغة عربية مبينة – إلى ما وعدنا من تقديم نص طريف للروائي الأميركي وليم فولكنر من روايته (اللصوص) يرصد فيه ذكاء البغل ويقارنه بذكاء بعض الحيوانات الأخرى التي تعيش في إحدى المزارع ، ويقع النص في ثلاث صفحات من الرواية (ص١٥٤ – ١٥٦) يخص بها المؤلف بغلاً ولدته فرسٌ قام (ند) الزنجي بتعشيرها من حمار المزرعة ، فصار ذلك البغل « أسطورة من أساطير عائلة » أصحاب المزرعة ، وكان بعض أفراد تلك العائلة يرعى البغل ويُشرف على (تربيته) ويلازمه مع الزنجي الذي استولده ، فعاين من طباعه وتصرفاته ما يؤهله للحكم على ذكائه ، ومقارنته بذكاء غيره من الحيوانات الأخرى في المزرعة ، كالجرذان والقطط والكلاب والخيول ، بنظرة موضوعية وأحكام مُعَلَّلة صادرة عن خبرة عملية طويلة ، ومعايشة يومية للحيوان في تلك المزرعة ، وملاحظة دائبة للسلوك الحيواني عند تلك الحيوانات التي يوازن بين ذكاء كل منها ،

موازنة يُغلّفها سخرٌ ناعم يجعل منها تحفة طريفة حقاً . فهو يُصنّف ذكاء الحيوان في المزرعة في مراتب : فالمرتبة الأولى للجرذان ، والثانية للبغال ، والثالثة للقطط ، والرابعة للكلاب ، والخامسة والأخيرة للخيول ، وليس بدٌّ من أن نقدّم النص بكامله ، ليحتفظ بوحدته ، وتكتمل لدينا أطراف الصورة مجتمعةً عن سلوك تلك الحيوانات وقدرتها على التأقلم مع المحيط والظروف الصعبة من حولها ، ثم نُعقبها بتحليل أجزاء الصورة – حسب المراتب الخمس المذكورة – والتعليق عليها بما كتبه الجاحظ والتوحيدي والدميري عن سلوك تلك الحيوانات وطباعها وأخلاقها وذكائها ، ونحاول من خلال ذلك أن نرصد نقط الاتفاق والاختلاف بين ما يقوله فولكنر اليوم وما قاله الكتاب العرب قبله بأكثر من ألف عام !.

١ – يقول فولكنر على لسان رفيق (ند) زنجي المزرعة :

« إن البغل الذي يركض مسافة نصف ميل في الاتجاه الذي يختاره له راكبُه ، ولو مرة واحدة ، يُصبح أسطورة الجوار ، أما البغل الذي يفعل ذلك باستمرار فيُعتبر ظاهرةً لا تُصدَّق ! لأن البغل أذكى من أن يُرهق قلبه بالركض مسافة ميل طلباً للمجد كما يفعل الحصان ؛ لذلك أُصنّف البغال في مرتبة تلي مرتبة الجرذان في الذكاء !

بعد البغال تأتي القطط ، ثم الكلاب ، وأخيراً الخيول ، هذا إذا كنت تقبل تعريفي للذكاء ، وهو كما أراه ، المقدرة على مجابهة البيئة ، أي الاستسلام للبيئة وقبولها كما هي ، مع المحافظة على شيء من الحرية الذاتية !

أُصنف الجرذ في المرتبة الأولى : فهو يعيش في بيتك دون أن يُساعدك على شرائه أو بنائه أو إصلاحه ، وهو يأكل ما تأكل دون أن يُساعدك على زرع طعامك أو حمله إلى البيت أو شرائه ، ولا يمكنك أن تتخلّص منه !

تأتي القطط في المرتبة الثالثة ، وتشترك مع الجرذ في بعض الصفات ، لكنها مخلوقات أضعف من الجرذ وأتفه منه . القطة تتطفّل عليك ، تعيش معك ، وتعتمد عليك اعتماداً كليًّا في المـأكل والمـأوى ، لكنّها لا تُدافع عنك ، ولا تُحِبُّك !

وأصنف الكـلـب في المرتبـة الرابعـة ، فهو شجاع ووفيٌّ وثابتٌ في ولائه ، وهو أيضــاً طُفيلي عليك ، يتّضح عجزُه بخدمتك ، أعني تلقائياً وبسرور . إنه يقوم بأية لعبة مهما تكن سخيفة مقابل التربيت على رأسه ، ويتضح عجزُه أيضاً من كونه مُتملّقاً ، فهو يحطّ من كرامته وينتهكها من أجل تسليتك ، ويُحرّك ذيله تذللاً ، جواباً عن رفسة ! وفي المعركة يُضحّي بحياته من أجلك ، ويموت جوعاً وهو يرقد فوق قبرك حُزناً عليك !

أما الحصان فيأتي في المرتبة الأخيرة : إنه كائن لا يستطيع التفكير في أمرين في وقت واحد ! أبرز صفاته الجُبن والخوف ؛ يستطيعُ طفلٌ أن يخدعه ويتملّقه ، فيجعله يحطّم أضلاعه أو قلبه في الركض مسافةً بعيدة وبسرعة كبيرة ، أو في القفز فوق أشياء عريضة أو عالية . إنْ لم يُرْعَ كالطفل يأكل حتى يموت ، ولو كان عنده درهمٌ واحدٌ من ذكاء الجرذ لكان هو الخيّال !

لكنّ البغل يحتلُّ المرتبة الثانية ، أضعُه في هذه المرتبة لسبب واحد ، هو أنه باستطاعتك أن تُشغِّله ، لكن ضمن الأنظمة الصارمة التي حدّدها لنفسه ، فهو لا يسمح لنفسه بالإفراط في الطعام . يجرُّ عربةً أو محراثاً لكنه لا يجري في سباق . لا يقفز فوق أي شيء إن لم يتأكّد مُسبقاً أنه يستطيع القفز فوقه . لا يدخل مكـاناً إلاّ إذا عرف ضمنياً ماذا يوجد في الطرف الآخر ! يعملُ لك بصبرٍ مُدّته عشر سنوات على أمل أن تُتاح له فرصةُ رفسكَ ولو مرةً واحدةً ! وبكلمة صريحة ، إنه مُرتاح من التزامات النسب

ومسؤوليات النسل . لم يقهر الحياة وحسب بل الموت أيضاً ، فهو لذلك خالد : إذا بادَ عن وجه الأرض اليوم فإن التركيب البيولوجي الذي أنتجه بالأمس سينتجه بعد ألف سنة ، دون تبديل أو تغيير ، ودون أن يسري عليه قانون التطور ، وهو يبقى مع ذلك حُرّاً وقادراً على مواجهة وضعه ، وهذا ما جعل بغل ند فريداً من نوعه ، أو قل ظاهرة خاصة ! ضع اثني عشر بغلاً في حلبة سباق ، وعندما تصدر كلمة « انطلق » فإن البغال تتجه في اثني عشر اتجاهاً مختلفاً ، كما تنتشر حشراتٌ خائفةٌ على سطح مستنقع ، والبغل الذي يصادف أن يكون اتجاهه باتجاه المرمى يكون الرابح حتماً ! » .

ولكن فولكنر يُقرر بأن هذا الحكم لا ينطبق على بغل الزنجي (ند) إذ كان يجري كالحصان ، إنما دون هوس الحصان واضطرابه واندفاعاته السريعة المخيفة التي تُضني القلب ، ذلك أنه يركض وكأنه يؤدي عملاً ، بالسرعة الصحيحة الضرورية التي يُقدّرها لنفسه ، وفقاً للمسة من (ند) أو صوته أو أية إشارة منه ، ولم يعرف أحد سر البغل في استجابته تلك التي تجعله يجري بصورة تختلف عن أيّ بغل آخر ، حتى وافته منيته عن اثنتين وعشرين سنة ، دون أن يُغلب مرة واحدة ! (اللصوص : ١٥٦ ــ ١٥٧) .

٢ ــ إذا كان الذكاء عند الإنسان يعني سرعة الفهم ، والقدرة على التصرف بحكمة في الأمر المفهوم (محاورات الفرد نورث هوايتهد : ١٩٤) فتعريف الذكاء الذي يقدمه فولكنر للسلوك الحيواني هو « المقدرة على مجابهة البيئة ، أي الاستسلام للبيئة وقبولها كما هي ، مع المحافظة على شيء من الحرية الذاتية » وهكذا يكون التصرف بحكمة والتأقلم مع البيئة المحيطة بالكائن الإنساني أو الحيواني يحدّدان مقدار ذكاء أي منهما .

وقد صنّف فولكنر الجرذان في المرتبة الأولى من الذكاء : وعلّل ذلك

بأن الجرذ يعيش عالة على صاحب البيت ، دون أن يؤدي له أية خدمة ، وعند الجاحظ نجد ملاحظات تؤكد ما يتمتع به الجرذ من ذكاء كبير في سلوكه وتدبيره لمعاشه وإيثاره السلم والعافية إذا لم يجد نفسه مضطراً للدفاع عن نفسه : فهو في تأمين معاشه ، فيما يأكل أو يحسو ، غاية في الذكاء « فإنه ليأتي القارورة الضيقة الرأس ، فيحتال حتى يدخل طرف ذنبه في عنقها ، فكلّما ابتلّ الدهن أخرجه فَلَطَعَه ، ثم أعاده ، حتى لا يدع في القارورة شيئاً » (الحيوان : ٥/٢٤٨) وهو في سلوكه يؤثر العافية والسلامة والفرار على مجابهة الشر ، فالقتال ليس من طبيعة الجرذ ، وهو أذكى من أن ينهك قواه ويستنزف طاقته في مصارعة جرذ آخر ، فإذا وقعت الواقعة وتلاقى الخصمان راح كل منهما يتوعّد الآخر ، ويضرب بذنبه ، ويرفع صدره ، وهزّ رأسه ، ولكنهما لا يصطدمان أبداً ، ويكتفيان بالصخب والتهديد ، ثم يلوذ كلٌّ منهما بجُحره ، وقد وصف شاهد عيان للجاحظ ما رآه من ذلك بعينه ، وهو ثمامة بن أشرس الذي قصّ على الجاحظ ما رآه في سجنه من جرذان السجن ، فقد كانت زنزانته مسرحاً للصراع الحامي بين جُرَذين متخاصمين . وكان كل منهما يتوعّد خصمه ، ويثيران صخباً شديداً ثم يفرّان المرة تلو المرّة ، دون أن يُصيب أحدهما عضٌّ أو خمشٌ (الحيوان : ٢/١٦٥ و٥/٢٥٠) ولكن الجرذ يتخلّى عن طبيعته المسالمة إذا ألجأته الضرورة إلى القتال ، وقد لاحظ الجاحظ أن الجرذ يقاتل الجرذ أشد القتال إذا شُدّت رِجْلُ أحدهما في طرف خيط ، وشُدت رجل الآخر بالطرف الثاني من الخيط ، فهناك تقع الواقعة حقاً ، فيتوثّب كل منهما على الآخر ، ويكون بينهما من العضّ والخمش وإراقة الدم وفَرْي الجلود ما لا يُرى في غيرهما من أنواع الحيوان التي يُهارَش بها ، حتى ينقطع الخيط المشدود ويلوذ كلٌّ منهما بالفرار في جهة تخالف جهة الآخر !

(الحيوان : ٢/١٦٤ و٥/٢٤٦) فالجرذ يقاتل بشراسة وضراوة إذا أحاق به الخطر ولم يجد بداً من مقارعة خصمه إذا هاجمه ، ويحكي الجاحظ أنه رأى سنّوراً عنده ساور (واثب) جرذاً في بيت الحطب ، فأفلت الجرذ منه وقد فقأ عين السنّور ! (الحيوان : ٥/٢٤٦) أما إذا لم يكن خطر ولم تدع الضرورة إلى مجابهته فالفرار أسلم عاقبة ، مّما يُفسّر قول التوحيدي : « إن أخذ إنسانٌ جُرذاً فربطه في بيت فرّت منه الجرذان كلُّها » (الامتاع والمؤانسة : ١/١٩٢) .

٣ ـ والبغال تجيء في المرتبة الثانية من الذكاء ، في تصنيف فولكنز ، وقد علّل ذلك بأن البغل أذكى من أن يرهق قلبه بالركض مسافة طويلة ، طلباً للمجد كما يفعل الحصان ، وهو يتأقلم مع الظروف المحيطة به ضمن حدود يرسمها لنفسه ولا يتجاوزها ، فلا يجري في سباق ، ولا يقفز فوق حاجز ، وهو صبور على المشقة التي يتحمّلها من صاحبه إلى أن تتاح له يوماً فرصة سانحة للانتقام منه برفسةٍ قد يقتله بها !.

والجاحظ شديد الاهتمام بملاحظة طبائع البغال ، وقد أفرد لها كتاباً خاصاً بها نجده في الجزء الثاني من (رسائله) وخلاصة ما يقوله عن أخلاقها وسلوكها ، وما يقوله التوحيدي والدميري عن طبائعها وذكائها ، يُعطينا أكثر الخصائص التي حدّدها فولكنز للبغل ، ويبقى الخلاف في الحكم على ذكاء البغل ، فالدميري يقول عن البغل إنه مركّب من الفرس والحمار ، ولذلك صار له صلابة الحمار وعظمُ آلات الخيل ، ولكن ليس له ذكاء الفرس ولا بلادةُ الحمار ! (حياة الحيوان : ١/١٣٨) فالبغل عنده دون الخيول في الذكاء ، ولكنه أذكى من الحمير المعروفة ببلادتها وغبائها ، فهو إذاً قد ورث الحدّ الأوسط عن أبويه ، وهو قبيح الصوت ، فشحيجُه مولّدٌ من صهيل الفرس ونهيق الحمار (حياة الحيوان : ١/١٣٨)

وهو هجين عقيم الصلب لا يولد له ، ولتخففه من مسؤوليات النسل ، ولعدم إفراطه في طعامه ، طال عمره ، فالبغل أطول عمراً من كل شيء من الحيوان (رسائل الجاحظ : ٣٠٤/٢) وذكر فولكنز أن بغل (ند) مات عن اثنتين وعشرين سنة كما رأينا ، وأخلاق البغال - كما يرصدها الجاحظ - ذميمة ممقوتة ، فالبغل كثير التلوّن ، والشعراء العرب يضربون المثل بسوء أخلاقه لذلك ، فابن حازم الباهلي يقول في هجاء صديق متلوّن لا تدوم مودته :

مـــا لي رأيتُـــكَ لا تـــدو ... مُ عـــلى المـــودة للرجـــال
خُـــلُقٌ جـــديـــدٌ كُلَّ يـــو ... مٍ مثـــلُ أخـــلاقِ البـغـــال

والبحتري يهجو قوماً بذلك فيقول :

وأخـلاق البغـــال فكـــلّ يومٍ ... يَعنُّ لبعـضهـم خُـلُقٌ جـديـد

(رسائل الجاحظ : ٢٥٦/٢ وثمار القلوب للثعالبي : ٣٦٤)

والبغل شديد العداوة لرائضه ولراكبه ، وهو قتّال لصاحبه ، ويضرب الجاحظ الشواهد على من قتلته بغلته (رسائل الجاحظ : ٢٥٧/٢ - ٢٦٤) وقد أشار فولكنز إلى خصلة الحقد عند البغل على صاحبه ، فهو يصبر على الأذى حتى تتاح له الفرصة فيسدد رفسة يُفرغ فيها كل غضبه وحقده وعداوته المكبوتة لينتقم من صاحبه شرّ انتقام ، والعجيب أن التوحيدي يجعل الحقد من طبيعة الجمل فيقول إنه يرتصد من ضاربه الفرصة لينتقم منه ، فإذا أصاب ذلك لم يستبق صاحبه ! (الامتاع والمؤانسة : ١٨٦/١) فالبغل مشابه للجمل في طبيعتهما الحاقدة وانتظار الفرصة المناسبة للانتقام الهائل ! والبغل حرون عند الحاجة ، والحِران إليه أسرع ، ودواؤه أعسر ، كما يقول الجاحظ (رسائله : ٣٢٦/٢) وحرانه لونٌ

من تمسّكه بحريته ، وعناده يزيده إصراراً على صاحبه لكي يحتفظ له بفرديّته ، فلا يطالبه بالانتظام في سباق مع كوكبة من البغال ، فإذا أُرغم على دخول الحلبة اختار بعناد اتجاهاً مخالفاً لغيره ، ليخسر السباق ، لكي يدرك صاحبه أن من الخير له ألا يعاود تدريبه وترويضه على ما لا يرضاه ، وهذه الطباع كلها تشف عن ذكائه واعتزازه بشخصيته ، وهو حين يرضى يكون في ذروة ذكائه ، وهنا يحكم المراقبون له بأنه « أهدى للطريق للناس وأثبت حفظاً » كما يصفه التوحيدي (الامتاع والمؤانسة : ١٨٧/١) .

٤ – ويصنّف فولكنر القطط في المرتبة الثالثة من الذكاء ، وأبرز ما يراه من ذكائها أنانيتُها وتطفّلها على صاحب البيت ، فهو يتكفّل بإيوائها وإطعامها ، وهي لا تفعل شيئاً من أجله ، ولا تدافع عنه ، ولا تحبه !

والحديث عن أنانية القط مألوف ، وكثيراً ما يقارنون بين أثرة القط وإيثار الكلب . يقول هوايتهد في محاوراته : (ص٢٥٩) : « إذا وثب الكلب في حجرك فلأنه مُغرم بك ، وإذا فعل القط ذلك فلأن حجرك أكثر دفئاً ! » ولكن الجاحظ يقدّم لنا عن طباع الهرّة صورة مناقضة ، فهو يعد السنّور آنس الخلق بالناس (الحيوان : ٣٢٤/٥) والهر والكلب عنده حيوانان ألوفان « إن طُردا رجعا ، وإن أُجيعا صبرا ، وإن أُهينا احتملا » (الحيوان : ١٩٦/١) ويقول الدميري عن السنور وأصحاب المنزل الذي يُؤويه : « إذا طردوه تملّقهم وتمسّح بهم ، علماً منه بأنه يُخلّصه التملق ، ويحصل له العفو والإحسان ! » (حياة الحيوان : ٣٦/٢) ويبرز الجاحظ حب الهرة لأولادها ، وإيثارها إياهم على نفسها ، فإذا أُطعمت شيئاً حملته لأولادها وآثرتهم به ، ولذلك يقال (أبرُّ من هرّة) لإيثارها أولادَها على نفسها ، وقد عزا العرب أكل الهرة أولادها إلى شدة حبها لهم (الحيوان : ١٩٧/١) والسنّور يأكل الفأر والجرذان والحيات والعقارب ، وهو بذلك

يقدم خدمة كبيرة لصاحب البيت ، خلافاً لما يراه فولكنر ، ولكن الدميري يشير إلى أنانية السنور فهو إذا ألف منزلاً منع غيره من السنانير من الدخول إليه ، خوفاً من أن يحتل واحد آخر من بني جنسه مكانه عند أهل المنزل إذا رأوا أن يُقدّموا الوافد الجديد عليه ، أو أن يشاركوا بينه وبينه في المطعم . (حياة الحيوان : ٣٦/٢) ولا تخلو ملاحظات الجاحظ للسنور من إشارات إلى لؤمه وشرهه وسرقته للطعام وخيانته ، ويعد أُلفته للمكان لا للناس فيه ، وهو يعدّد بذلك النواحي السلبية في سلوك هذا الحيوان ، وقد أولع الجاحظ بالمقارنة بين الهر والإنسان ، وهو يَراه يناسبه في أمور : فهر يعطس ويتثاءب ويتمطى ، ويغسل وجهه وعينه بلعابه ، كما أولع الجاحظ بالإنصات إلى أصوات السنانير ومُوائها ، ليميز (الحروف) التي تتداخل في أصواتها ، وقد لاحظ أن القطط قد تهيأ لها من الحروف أكثر مما تهيأ لغيرها من الحيوان ، كالعندليب والببغاء ، وكان الجاحظ يُصغي في جوف الليل إلى تجاوب القطط في داره ، وتوعّد بعضها لبعض ، ويحصي الحروف التي تموء بها والتي لو أُلّفت لكانت لغة للسنانير ، متوسطة الحال ، كما يقول ، ولكنها صالحة للدلالة على مرادها . (الحيوان : ٢٨٩/٥) . وكل هذا يكشف لنا أن الجاحظ كان يبذل مجهوده لتحديد الجانب الإنساني في طبيعة الحيوان ، ومعرفة ما أودع الله صدور صنوف سائر الحيوان من ضروب المعارف ، وفطرها عليه من غريب الهدايات ، وسخّر حناجرها له من ضروب النغم الموزونة .. وكيف أعطى كثيراً منها من الحسّ اللطيف والصنعة البديعة ، من غير تأديب وتثقيف... فبلغت بعفوها وبمقدار قوى فطرتها ، من البدهة والارتجال .. ما لا يقدر عليه حُذّاق رجال الرأي وفلاسفة علماء البشر ، بيد ولا آلة » (الحيوان : ٣٥/١) .

٥ — ويصنف فولكنر الكلاب في المرتبة الرابعة من الذكاء ، ويُعلل

ذلك بأن الكلب شجاع ووفي وثابت في ولائه لصاحبه ، حتى ليضحّي بنفسه في سبيله فيموت حزناً على وفاته ، وهو يرقد جائعاً فوق قبره ، وهو الذي كان في حياته طفيلياً عليه ، كثير التملّق له ، يستهين بكرامته لإرضاء صاحبه وتسليته ؛ فهو أقل ذكاء من أن يدرك أن لنفسه حقاً عليه وأن عليه أن يخفف من تضحيته وإيثاره ! وعند الجاحظ نجد عناية بالكلب تفوق عنايته بأصناف الحيوان الأخرى . وفي الجزأين الأولين من الحيوان مناظرة طويلة بين (النظّام) صاحب الكلب و(معبد) صاحب الديك حتى قيل « أيُّ شيء بلغ من قدر الكلب وفضيلة الديك حتى يتفرّغ لذكر محاسنهما ومساويهما والموازنة بينهما والتنويه بذكرهما شيخان من عِلْية المتكلمين » (الحيوان : ١/٢٠٠) والجواب أن المناظرة تمثل وجهاً من أوجه الصراع ضد الشعوبية ، فالكلب رمز للعرب والديك رمز للفرس ، وكان كلٌّ من صاحب الكلب وصاحب الديك يدافع عن رمزه الحيواني ويهاجم رمز خصمه ، فإذا اتهم صاحب الديك باللؤم والجهل والجبن وراح يعدّد مثالبه وعيوبه ويصفه بالغدر والنتن والقذارة ، وعلّل اتهامه إياه بما يراه في الكلب من هوانه على نفسه ، واتباعه لمن أهانه ، وإلفه لمن أجاعه وأعطشه ، وبما يراه فيه من فزعه من كل شيء ، وشدة صخبه ونباحه وعوائه وتحرّشه وتسرّعه (الحيوان ١/٢٢٢ و٢٨٠) وبما يراه من بخله حتى ليقال : « أبخل من كلب على جيفة » (الحيوان : ١/٢٢٧) راح صاحب الكلب يدافع عن حيوانه المتهم بتعداد محاسنة ومزاياه ورواية القصص والأخبار عن وفاء الكلب طبيعةً وغريزةً من غير تكلّف ولا تصنع منه (الحيوان : ٢/١٢٢ ، ١٢٨) وعن شجاعته في حماية نفسه وحماية غيره ، وعن صبره واحتماله (الحيوان : ٢/١٢٧ و١٧٥) وعن ذكائه ومهارته في الاحتيال للصيد والاهتداء إلى جحور الأرانب وغيرها من أصناف القنيص ، بما لديه من

قدرة على التبصّر والتسمّع والتشمم ، حتى ضربت الأمثال به فقيل « أبصر من كلب ، وأسمعُ من كلب ، وأشمُّ من كلب » (الحيوان : ١١٨/٢ و٣٥٢) ويُسهب الجاحظ في تفنيد المزاعم التي تحط من قدر الكلب وتجعل من إيثاره لصاحبه ووفائه له وإلفه لبيته وصبره على الجوع والعطش دليلاً على ذلّته وهوانه على نفسه : ففي الكلب أنفةٌ ونُبل فهو « لا يرضى بالنوم والرُّبوض على بياض الطريق » و« من نبله في نفسه أن يتخيّر أبداً أنبل موضع في المجلس » (الحيوان : ١٦٢/٢) وهو مع ذلك يؤثر صاحبه على نفسه ، وهو « يعرف صاحبه ، فإذا رآه قادماً اعتراه من الفرح والبصبصة – تحريك الذيل – والالتواء الذي يدل على السرور وعلى شدة الحنين بما لا شيء فوقه » (الحيوان : ١٢٨/٢) ويقرّر التوحيدي أن من طباع الكلب الترضي والبصبصة والهشاشة لمن عرفه .. وليس في الحيوان أشد حباً لصاحبه منه ، فإن أشار له على صيد وثب ناصباً رأسه ، رافعاً ذنبه ، مستعداً كالفارس البطل والشجاع النجد ، مع نشاطه في الطلب ، وهو يعلم أن الصيد ليس بحاضر ، لكن ذلك منه حسن طاعة لصاحبه » (الامتاع والمؤانسة : ١٢٨/١ – ١٨٣) فهو حيوان ألوف مُطيع « يقبل التأديب والتلقين والتعليم » (حياة الحيوان : ٢٧٩/٢) ولشدة ألفته للناس ووفائه لصاحبه ألّف بعضهم كتاباً في (تفضيل الكلاب على كثير ممّن لبس الثياب) فضّل فيه الكلب الوفي الأمين على كثير من الناس لخيانتهم وتلوّنهم وغدرهم .

بقي أن نشير إلى ملاحظة الجاحظ للجانب الإنساني في سلوك الكلب : فصاحب الكلب يفهم عنه ، كما يفهم عن السنور والفرس كثيراً من إرادته وحوائجه ومقاصده (الحيوان : ٣٢/١) ويقول الجاحظ : « إن باطن الكلب يُشبه باطن الإنسان ، كما يُشبه ظاهر القرد ظاهر الإنسان »

(الحيوان : ٢١٥/١) وتلك ملاحظة تدل على تعمّق الجاحظ في دراسة تكوين هذا الحيوان وطبيعته من ظاهره وباطنه وخارجه وداخله ، تعمقاً يجعل الصورة الجاحظية للكلب غنية بخطوطها وألوانها ، وعند مقارنتها بصورة فولكنر يبرز فقر الصورة الأخيرة بخطوطها السطحية السريعة وألوانها الباهتة .

٦ – والمرتبة الخامسة والأخيرة في تصنيف فولكنر للذكاء عند حيوانات المزرعة تعطى للحصان أدنى حظ من المقدرة على مجابهة البيئة والاحتفاظ بشيء من الحرية الذاتية ويُعلل فولكنر حكمه الصارم على غباء الحصان بأنه محدود التفكير ، لا يستطيع أن يفكّر في أمرين في وقت واحد ! وبأنه غرٌّ ساذج يستطيع طفلٌ أن يخدعه ويتملّقه ويجعله يحطّم أضلاعه أو قلبه في الركض لمسافة بعيدة وبسرعة جنونية أو في القفز فوق الحواجز العريضة والعالية ، ولو كان له ذكاء الجرذ لم يدع أحداً يمتطيه ، وكان هو الخيّال !

هذا حكم صارمٌ ساخر على طبيعة الحصان وذكائه ، وهو يساير المفهوم الذي حدّده فولكنر للذكاء عند الحيوان ، وهو القدرة على التأقلم مع المحيط دون التفريط الكامل بالحرية الذاتية ، ولهذا كان البغل عنده أذكى من الفرس ، خلافاً لما يراه الدميري تماماً ، فالبغل عنده أذكى من الحمار ولكنه دون الفرس ذكاء ! (حياة الحيوان : ١٣٨/١) والعتاق من الخيل عند الجاحظ تُجيد الركض إذا أُجيد إضمارها ، وتشارك راضية في ميادين السباق وتقفز فوق الحواجز العريضة والعالية ، لتؤمّن لصاحبها الفوز ولنفسها المجد ، ولكن ذلك لا يعني ضعف شخصيتها واستسلامها لطفل يخدعها ويسوقها إلى هلاكها ، « فالخيول العتاق – كما يؤكد الجاحظ – ربّما قتلت الفرسان بالحران مرةً ، وبالإقدام مرةً ، وبسوء الطاعة وشدة

الجزع ، وربّما شبّ الفرس بفارسه حتى يُلقيه بين الحوافر والسّيوف » (الحيوان : ١٨٣/٧) ومن طباع الفرس الزهو كما يقول التوحيدي (الامتاع والمؤانسة : ١٨٣/١) وكيف يزهو كائن هزيل الشخصية ومعدوم الثقة بنفسه ، يتلعَّبُ به الطفل الصغير ويدفع به إلى الموت ! وكيف يعد فولكنر الخوف والجبن من أبرز صفات الفرس ، وهو السلاح النبيل الذي له في المعارك ، وهو تحت فارسه ، غَناء لا يُشبهه غناء (الحيوان : ١٤٤/٧ – ١٤٥) وقال الله للمؤمنين : ﴿ وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ، ومن رِباطِ الخيلِ تُرهبونَ به عَدوَّ الله وعدوَّكم ﴾ [الأنفال : ٦٠] ويؤكد الجاحظ أن الإنسان يفهم عن الفرس – كما يفهم عن الكلب والسنّور – كثيراً من إرادته وحوائجه ومقاصده ، وأن للفرس عند رؤية المخلاة حمحمةً تخالف ما تدل عليه حمحمتُه عند رؤية أنثاه (الحِجْر) . (الحيوان : ٣٢/١) .

– ١٢ –

وهكذا نصل إلى نهاية عرضنا المطوّل للجهود التي بذلها الأدباء العرب – شعراء وكتاباً – خلال العصور في تصوير السلوك الحيواني ، وللمحاولات التي قاموا بها للتسلّل إلى باطن الحيوان ، لتحليل نفسيته ، وتفسير طباعه ، وتحديد ذكائه ، وتقديمه في إطار إنساني يعبر عن مشاركة وجدانية حميمة بين الإنسان والحيوان ، وقد ختمنا العرض بموازنة مطوّلة بين ما كتبه الجاحظ والتوحيدي قبل ألف عام ، وما كتبه الدميري قبل سبعة قرون ، بما كتبه الروائي الأميركي المعاصر فولكنر عن سلوك بعض الحيوانات وذكائها في إحدى رواياته ، وقد تبين لنا أن العرب قد تعمّقوا رؤية الحيوان من داخله ، وفسّروا سلوكه وتصرّفاته ، وحلّلوا ميوله ونوازعه ، إلى حد يستدعي الإعجاب والتقدير والإكبار ، ولو أن الروائي الأميركي اطّلع

على ما يحويه التراث العربي من دراسة للحيوان وتصوير لطبائعه وذكائه قبل أن يكتب ما كتب لأغنى اللوحة الرائعة التي قدّمها عن حيوانات المزرعة غنىً عظيماً ، ولجاءت لوحته بإطارها الساحر الذي تقتضيه طبيعة فنه الروائي تحفة خالدة ، وأثراً لا مثيل له في الأدب الإنساني الذي يجهد أصحابه لتقديم الحيوان في سمت إنساني عاقل ناطق ، والذي يخلعون فيه على الحيوان مشاعرهم وخوالج نفوسهم وعواطفهم ، ويعيرونه ألسنتهم لينطق بها عنهم ، حتى ليغدو الحيوان رمزاً للإنسان ، أو معادلاً موضوعياً له ، تنزاح عنده الفروق الفاصلة بين الإنسان والحيوان ، وتبرز الصلة الجامعة بينهما ، حتى لكأن الإنسان كان في بعض مراحل تطوره حيواناً لا يعوزه غير النطق الفصيح والعقل والتفكير ليستوي إنساناً كامل الإنسانية ، يُعبّر عن ذات نفسه وأفكاره بلفظ مفصح مُبين .

ما أجمل أن يتم التقارب بين الإنسان والحيوان ، فيتعاطف الإنسان مع الحيوان تعاطفاً وجدانياً على النحو الذي يعبر عنه كيتس بقوله : « عندما يأتي إلى جواري عصفور ينقر الحصى يُخيّل إليَّ أني أنقر معه وأني أشاطره حياته ! » ويقترب الحيوان من الإنسان بلمسة فنية تجعله قادراً على أن يستعير لغة الإنسان ليعبر بها عما في داخله ، وينقل إلى الآخرين دخائل نفسه ، وما يعتلج في باطنه من أفكار وهواجس .. والأدباء القادرون على أن يُحيلوا (الحيوان إنساناً) بلمساتهم الفنية السحرية لهم الخلود والمكانة الأدبية الرفيعة في تاريخ الأدب الإنساني خلال العصور .

- ١٣ -

المصادر والمراجع

١ ـ ابن خلكان ـ وفيات الأعيان : نشره محمد محيي الدين عبد الحميد مصر ١٩٣٨ .

٢ ـ الأغاني (دار) لأبي الفرج الأصفهاني : طبعة دار الكتب المصرية .

٣ ـ اكتشاف جزيرة العرب : لجاكلين بيرين ، ترجمة قدري القلعجي .

٤ ـ ألف ليلة وليلة ـ المطبعة السعيدية (٤ مجلدات) .

٥ ـ ألف ليلة وليلة : للدكتورة سهير القلماوي ، دار المعارف بمصر ١٩٥٩ .

٦ ـ أمالي المرتضى : تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، مصر ١٩٥٤ .

٧ ـ الامتاع والمؤانسة للتوحيدي ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين مصر ١٩٣٩ ـ ١٩٤٤ .

٨ ـ أنا والشعر : لشفيق جبري ، معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ١٩٥٩ .

٩ ـ الأوراق ـ قسم أخبار الشعراء للصولي ، نشره هيورث دن ـ مطبعة الصاوي بمصر ١٩٣٤ .

١٠ ـ تاريخ آداب العرب للرافعي ، مطبعة الاستقامة ط٢ ، مصر ١٩٤٠ .

١١ ـ تجديد ذكرى أبي العلاء : لطه حسين ، دار المعارف بمصر ط٦ ، ١٩٦٣ .

١٢ ـ تحت راية القرآن : المعركة بين القديم والجديد للرافعي ، مطبعة الاستقامة ط : ٤ ، ١٩٥٦ .

١٣ ـ التطور والتجديد في الشعر الأموي : للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ط : ٢ ، ١٩٥٩ .

١٤ ـ تعريف برسالة (الصاهل والشاحج) للمعري : للدكتور أمجد الطرابلسي (فصلة من مجلة المجمع ١٩٧٤) .

١٥ ـ تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب : لابن المرزبان ، تحقيق زهير الشاويش : المكتب الإسلامي .

١٦ ـ التنبيه والإشراف : للمسعودي ، طبعة الصاوي ـ القاهرة ١٩٣٨ .

١٧ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : للثعالبي ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، مصر ١٩٦٥ .

١٨ ـ ثورة الشعر : ديوان الشاعر اليمني الثائر محمد محمود الزبيري .

١٩ ـ جنة الحيوان : للدكتور طه حسين : كتب للجميع ـ مصر (مطابع جريدة المصري) دون تاريخ .

٢٠ ـ حمار الحكيم : لتوفيق الحكيم .

٢١ ـ حماسة أبي تمام : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام محمد هارون مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ١٩٥١ .

٢٢ ـ حياة الحيوان الكبرى للدميري ، مطبعة الاستقامة بمصر ١٩٥٨ .

٢٣ ـ حياة الرافعي : لمحمد سعيد العريان ط : ١ مطبعة الرسالة بمصر ١٩٣٩ .

٢٤ ـ الحيوان (لأرسطو صاحب المنطق) عن (الحيوان) للجاحظ .

٢٥ ـ الحيوان : للجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مصر : ١٩٣٨ ـ ١٩٤٥ .

٢٦ ـ دراسات فنية في الأدب العربي : للدكتور عبد الكريم اليافي ، دمشق ١٩٦٣ .

٢٧ ـ ديوان أعاصير مغرب للعقاد (عن : مع العقاد للدكتور شوقي ضيف) .

٢٨ ـ ديوان البحتري : تحقيق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف مصر .

٢٩ ـ ديوان هدية الكروان للعقاد (عن : مع العقاد للدكتور شوقي ضيف) .

٣٠ ـ ديوان ولي الدين يكن ـ مطبعة المقتطف والمقطم بمصر : ١٩٢٤ .

٣١ ـ رسائل إخوان الصفاء .

٣٢ ـ رسائل الجاحظ (كتاب البغال) المجلد الثاني : ٢١١ ـ ٣٧٨ ، بتحقيق عبد السلام محمد هارون ـ مكتبة الخانجي مصر : ١٩٦٥ .

٣٣ ـ رسالة (الصاهل والشاحج) للمعري ، بتحقيق بنت الشاطئ : دار المعارف بمصر ١٩٧٥ .

٣٤ ـ رسالة الغفران للمعري : بتحقيق بنت الشاطئ ـ ذخائر العرب : مصر ١٩٥٠ .

٣٥ ـ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون دار المعارف بمصر : ١٩٦٣ .

٣٦ ـ الشعر الحديث في الإقليم السوري للدكتور سامي الدهان ، معهد الدراسات العربية العالية بمصر : ١٩٦٠ .

٣٧ ـ الشوقيات لأحمد شوقي .

٣٨ ـ في صالون العقاد كانت لنا أيام : لأنيس منصور ـ دار الشروق بيروت ١٩٨٣ .

٣٩ ـ القرآن الكريم .

٤٠ ـ قصص لافونتين (خرافاته بالفرنسية : Les Fables de Lafontaine) .

٤١ ـ كتاب الفصوص لصاعد البغدادي (نسختان خطيتان منه في المغرب : واحدة في مكتبة القرويين بفاس (رقم ٥٨٧ ل) والثانية في الخزانة العامة بالرباط (رقم ١٦٦٨ ك) .

٤٢ ـ كليلة ودمنة ط٤ مصر ١٩٣٤ (بعناية محمد حسن نائل المرصفي) .

٤٣ ـ اللصوص : لوليم فولكنر ـ تعريب خالدة سعيد : دار مجلة شعر بيروت : ١٩٦٣ .

٤٤ ـ محاورات الفرد نورث هوايتهد : سجلها لوسيان برايس ـ ترجمة محمد محمود ، دار المعرفة بمصر : ١٩٦١ .

٤٥ ـ مذكرات دجاجة : للدكتور إسحاق موسى الحسيني (اقرأ) دار المعارف بمصر : ١٩٤٣ .

٤٦ ـ مع العقاد : للدكتور شوقي ضيف (اقرأ) دار المعارف بمصر : ١٩٦٤ .

٤٧ ـ المفكرة الريفية : لأمين نخلة .

٤٨ – من (عمر أبو ريشة) شعر : دار مجلة الأديب ببيروت : ١٩٤٧ .

٤٩ – نكت الهميان في نُكت العميان : للصفدي ، تحقيق أحمد زكي مصر ١٣٢٩هـ .

٥٠ – نهاية الأرب في فنون الأدب : للنويري (طبع دار الكتب بمصر : ١٩٢٣) .

٥١ – وحي القلم : لمصطفى صادق الرافعي ، ط : ٢ (مطبعة الاستقامة بمصر ١٩٤١) .

٥٢ – اليتيمة = يتيمة الدهر للثعالبي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مصر (دون تاريخ) .

- ١٤ -

الفهرس

ديوان المعاني

(القسم الخامس)(*)

تتمة الفهارس

الدكتور محمود محمد الطناحي

خُلْفا	السريع	البحتري	١/١٦٧ ، ١٦٨
وفَّى	السريع	البحتري	١/١٦٧ ، ١٦٨
ألفا	السريع	البحتري	١/١٦٧ ، ١٦٨
الحُرْفَهْ	السريع	أبو الشمقمق	١/١٩٨
طُرْفَهْ	السريع	أبو الشمقمق	١/١٩٨
أسَفا	المنسرح	ابن المعتز	٢/١٣٧

فصل الفاء المضمومة

مطرِفُ	الطويل	جِران العَوْد	١/٣٣٨
وقّفوا	الطويل	الفرزدق[1]	١/٧٨
شُسَّفُ	الطويل	الفرزدق	٢/١١٩
يطرُفُ (٥ أبيات)	الطويل	جميل	١/٧٨
منصفُ (٤ أبيات)	الطويل	المأمون	٢/٨٤ ، ٨٥
تتخطَّفُ	الطويل	كشاجم	١/٣٠٤
ويُدبنفُ	الطويل	ابن الرومي	١/٢٣٩ ، ٢٤٠
يخلفُ	الطويل		١/٧٨

(*) نشرت الأقسام الأربعة السابقة في مجلة المجمع (مج٦٦ ، ج١ ، ج٣) و(مج٦٩ ، ج١ ، ج٢).

(١) وقيل : جَميل . انظر الموضع .

(١) انظر « الصَّدَفَهْ » في الكامل المفتوح . ثم انظر ما ذكرته في مقدمتي ، عن هذه الظاهرة العروضية .

(٢) وقيل : إن قائل هذين البيتين هو منصور بن إسماعيل ، الفقيه الشافعي . راجع =

=العُزْلة ص٩١ ، والتمثيل والمحاضرة ص٤٠٦ ، وطبقات الشافعية الكبرى ٤٧٨/٣ ، ٤٨٣ ، والبيتان في ديوان ابن الرومي ١٦٢٥/٤ ، من زيادات إحدى النُّسَخ .

(١) في المطبوع « نصيف » وصحَّحْتُه من الاستدراكات بآخر الجزء . وهذان =

= البيتان مما أخلّتْ بهما طبعة الدكتور جورج قنازع لديوان أبي هلال . وثبتا في طبعة الدكتور محسن غياض ص١٢٣ .

فصل القاف المفتوحة

فصل القاف المضمومة

أحذقُ	الطويل	لقيط بن زرارة	٨١/١
تسبقُ	الطويل	الأعشى	١٤٣/١
وألحقُ	الطويل	الأعشى	١٤٣/١
تعشّقُ	الطويل	الأعشى	٢٢٦/٢
وأطرقُ	الطويل	الأعشى	٢٢٦/٢
واخنّقُ	الطويل	الأعشى	٤٤/١
مطرقُ	الطويل	ذو الرمة	١١٩/٢
مطرقُ	الطويل	كشاجم	٢٠٥/١ ، ٢٠٦
سيغرقُ	الطويل	كشاجم	٢٠٥/١ ، ٢٠٦
معلّقُ	الطويل	كشاجم	٢٠٥/١ ، ٢٠٦
تلحقُ	الطويل	البحتري	٣٤٨/١
محرقُ	الطويل	أبو هلال العسكريّ	٣٤٤/١
ويشرقُ	الطويل	أبو هلال العسكريّ	٣٤٤/١
فيزلقُ (٥ أبيات)	الطويل	أبو هلال العسكريّ	٣٥٦/١
أضيقُ	الطويل		١٤١/١
ويشفقُ	الطويل		٢٧٥/١
أحذقُ	الطويل		٢٤٦/٢
ضيّقُ	الطويل		٢٤٦/٢
حاذقُ	الطويل	أبو ذؤيب	١٥٩/١
غابقُ	الطويل	قيس[1]	٢٤١/١
بارقُ	الطويل	قيس	٢٤١/١
البنائقُ	الطويل	قيس بن الملوح ، المجنون	٣٤٦/١

(١) هكذا جاء اسمه فقط . ولم أجد الشعر في ديوان قيس بن الملوح ، المجنون ، ولا في شعر قيس بن الخطيم .

(١) في ديوانه ١/١٤١ : بُرَقُ .

(٢) في ديوانه : الفَرِقُ .

(١) في المطبوع : « الكندي » وصُحّح في الاستدراكات . وانظر له الأصمعيات ص١٩٩ .

فصل القاف المكسورة

(١) هكذا في المطبوع ، بتقديم البـاء الموحدة على الثاء المثلثة . وجاء عكسُـه في ديوان أبي نواس ص٥١٩ « ثبق » وكلاهما صواب ، بمعنى إسراع الدمع من العين .

(١) راجع لهذا الوزن : شرح المضنون به على غير أهله ص ٤٨٩ .

فصل الكاف المضمومة

فصل الكاف المكسورة

(١) جاء في المطبوع : ذقتُ منه واللهِ أطيبَ منكَ

وهو مضطرب الوزن ، كما ترى ، مع ما فيه من ضبط الكاف بالفتح . وصواب إنشاده وضبطه :

ذقتُ واللهِ منه أطيبَ منكِ

ديوانه ٣٢٣/١ .

(باب اللام)

فصل اللام الساكنة

الخلاخِلْ	مجزوء الكامل	ابن الرومي	٢٢٧/١
الخليلْ	مجزوء الكامل	ابن بسَّام	٣١٦/١
النُّزولْ	مجزوء الكامل	ابن بسَّام	٣١٦/١
الرحيلْ	الرجز	ابن بسَّام	٣١٦/١
أَكلْ	الرجز	ابن المعتز	٨١/٢
شُغُلْ (١٢ شطرا)	الرجز	ابن المعتز	٨١/٢
الأملْ	الرجز	التنوخي	٧٠/١
أسَلْ	الرجز	التنوخي	٧٠/١
خَللْ (٤ أبيات)	الرجز	التنوخي	٣٤٧/١ ، ٣٤٨
شملْ	الرجز		٣٥٦/١
دُوَلْ	الرجز		١٨١/٢
الإبلْ	الرجز		٢٢٤/١
عجلْ	الرجز		٢٢٤/١
غفلْ	الرجز		٣٥٩/١
الأشلّ	الرجز		٣٥٩/٢
للإبلْ	الرجز		١٣١/٢
بالعملْ	الرجز		١٣١/٢
وعذلْ	الرمل	العُجَيْر السَّلُوليّ	٣١٥/١
الجملْ	الرمل	العُجَيْر السَّلُوليّ	٣١٥/١
الحِيلْ	الرمل	ابن المعتز	١٨٢/٢
للقُبلْ	الرمل	ابن المعتز	١٨٢/٢
وعذلْ	الرمل	أحمد المادرائي	٣١٦/١

فصل اللام المفتوحة

(١) القافية في ديوانه ٧٦/٣ مطلقة بالضمّ « الجبالُ » وهو خطأ . وراجع ما ذكرته في المقدّمة عن الإطلاق والتقييد ، في الرويّ .

(١) يروى بكسر الميم الأولى وفتحها . فالكسر على أنه الكساء تُجمع فيه مَقْدَحةُ النـار بآلاتها ، والفتح على أنه مهب الشَّمـال . وانظر تفسـيراً أوسع في مجمع الأمثـال ١/١٣٩ ، في تفسـير المثل : « تَعِست العجلة » . ثم انظر كتب الأمثال في « أبطأ من فِنْد » .

(١) النِّسْبة من تاج العروس ، ترجمة (حلل) ، ولم ينسبه سيبويه وأبو عليّ . راجع الكتاب ٤٠٥/١ ، وكتاب الشعر ص٣٤٧ .

(١) في قصة هذا الشعر زيادة وتحرير ، فانظرها في الكامل ص٧٤٩ .

مقاتلُهْ[1]	الطويل		١/٢٢٢
رسائلُهْ	الطويل	عُبيد بن أيوب العنبريّ[2]	١/١١٣
وشمائلُهْ	الطويل	عُبَيد بن أيوب العنبريّ	١/١١٣
تراسلُهْ	الطويل		١/٢٦٨
شمائلُهْ	الطويل		١/٢٦٨
جلالُها	الطويل	المخبَّل	٢/٦٣
رعالُها	الطويل	المخبَّل	٢/٦٣
سجالُها	الطويل	المخبَّل	٢/٦٣
ضلالُها	الطويل	أوس بن حجر	١/١٧٦
اعتلالُها	الطويل	الفرزدق	١/٤٩
شمالُها	الطويل	الفرزدق	١/٤٩
وهلالُها	الطويل	البحتري	١/١٠٦
ثمالُها	الطويل	البحتري	١/١٠٦
عجالُها (٤ أبيات)	الطويل	البحتري	١/٢٠٠
ذميلُها	الطويل	أبو هلال العسكريّ	١/١٢٤
مقيلُها	الطويل	أبو هلال العسكريّ	١/١٢٤
طلولُها	الطويل	أبو هلال العسكريّ	١/١٢٤
فعالُها (٤ أبيات)	الطويل		١/١٦٧
عَجَلُ	البسيط	الأعشى	١/٢٤٣
ينحولُ	البسيط	الأعشى	١/٢٥٠
ينحولُ ينخزلُ = ينحولُ			
هَطِلُ	البسيط	الأعشى	١/٢٥٨، ٢٥٩، ٢/١٢، ١٣

(١) شرح الحماسة للمرزوقي ص١٣٨٣

(٢) النِّسبة من الكامل ص٤٤٠ ، وقافية البيت الأول هناك : « وسائلُهْ »

(١) وانظر « المجلسُ » في الكامل المضموم

(٢) المحفوظ في قافية هذا البيت : فهي الشهادة لي بأني كامِلُ
وكذلك هي في ديوان أبي الطيب ٢٦٠/٣ ، والذي هنا مثله في التمثيل والمحاضرة ص١١١

(١) وقيل غيره . راجع شعره ص٤٠٠ ، ضمن (شعراء إسلاميون)

(١) النِّسبة من شعره المنشور بالجزء الأول من المجلد الثاني والعشرين من مجلة معهد المخطوطات ص١١٨

(٢) لم أجده في شعر أبي زبيد الطائي ، الذي جمعه الصديق الدكتور نوري القيسي

السَّراويلِ	البسيط	أبو نواس	٢٠٥/١
بالطُّولِ	البسيط	أبو نواس	٢٠٥/١
بآمالِ (٦ أبيات)	البسيط	علي بن جبلة. العكوَّك	٢٨/١
أرسالِ	البسيط	علي بن جبلة. العكوَّك	١٠٧/٢
الصالي	البسيط	علي بن جبلة. العكوَّك	١٠٧/٢
وخلخالِ	البسيط	مسلم بن الوليد	٢٨١/١
الخالي	البسيط	عَبيد بن الأبرص	١٥٥/٢
مجهولِ (٧ أبيات)	البسيط	أبو الغمر. هارون بن محمد	١٩٦/١
مدلٌ	مخلّع البسيط	أبو هلال العسكريّ	١٩٧/١
فِعلِ	الوافر		٢٢٨/٢
كشُغلي	الوافر		٢٢٨/٢
المقالِ	الوافر	الأحنف بن قيس	٢٤٨/٢
الرجالِ	الوافر	الأحنف بن قيس	٢٤٨/٢
المعالي	الوافر	الحطيئة	٣٩/١
الجلالِ	الوافر	مسكين الدارمي	٢٩٧/١
طالي	الوافر	مسكين الدارمي	٢٩٧/١
الدَّوالي	الوافر	مسكين الدارمي	٢٩٧/١
بخالِ	الوافر	ابن المعتز	٢٤٧/١
الجلالِ	الوافر	ابن المعتز	٣٥٥/١
الرجالِ	الوافر	صاحب البصرة	٢٨٥/١
الليالي	الوافر	صاحب البصرة	٢٨٥/١
مالِ	الوافر	أبو هلال العسكريّ	١٣٩/١
الليالي	الوافر	أبو هلال العسكريّ	١٣٩/١
حالِ	الوافر	أبو هلال العسكريّ	١٣٩/١

(١) لم ينسبه أبو هلال ، وهو لأبي كبير الهذلي . والبيت الذي أنشده أبو هلال ملفق من بيتين وردا في شرح أشعار الهذليين ص١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، هكذا :

ولقـد سـريت على الظـلام بمغشـم   جـلد من الفتيـان غـير مهبَّـلِ

فـأتت بـه حـوش الجنـان مبطنـا   سُـهُـداً إذا ما نـام ليـل الهوجـلِ

(باب الميم)

فصل الميم السَّاكنة

(١) سهاب ، بالسين المهملة ، كما قيده صاحب القاموس . قال : « وليس لهم سهاب بالمهملة غيره » . وانظر تحقيقاً جيداً حوله في حواشي المفضليات ص٣٠٧

مكتَّما	الطويل	البحتري	٢/٢٣
وديَّما	الطويل	أبو هلال العسكريّ	٢/١٥
مُعْلَما	الطويل	أبو هلال العسكريّ	٢/١٥
وأزلما	الطويل		١/١٩٥
سواهما	الطويل	جميل[1]	١/٢٦٠
كِلاهما	الطويل	جميل	١/٢٦٠
نعائما	الطويل		١/٢٢٢
سليما	الطويل	البحتري	٢/١٩٤
اللُّجُما	البسيط	النابغة	٢/٦٧
ظلما	البسيط	العباس بن الأحنف	١/٢٣١
السّقما	البسيط	العباس بن الأحنف	١/٢٣١
النِّعَما	البسيط	البحتري	٢/٢٠٧
مبتسما	البسيط	أبو تمام	٢/٤٩
الكرَما	البسيط	أبو تمام	٢/١٠٠
وضِرغاما	البسيط	مسلم بن الوليد	١/٢٠ ، ١١٧
والهاما (٥ أبيات)	البسيط	مسلم بن الوليد	١/١١٧
أسقاما	البسيط	مسلم بن الوليد	١/٢٧٧
والذّاما (٤ أبيات)	البسيط	أبو هلال العسكريّ	١/٢٠
أيّاما	البسيط	أبو هلال العسكريّ	١/٣٥٣
أرحاما	البسيط	أبو هلال العسكريّ	٢/٩٢
إعداما	البسيط	أبو هلال العسكريّ	٢/٩٢
مداما	الوافر	أبو هلال العسكريّ	١/٢٣٦
سهاما	الوافر	أبو هلال العسكريّ	١/٢٣٦

(١) هكذا نسب أبو هلال البيتين إلى جميل ، والمعروف أنهما لكُثَيِّر .

فصل الميم المضمومة

(١) هكذا ، وفيه من الإقواء ما ترى !

(٢) البيت الأول من هذه الأربعة نسبه ابن منظور في اللسان (لحن – قذى) لمحمد بن سلمة . وقد تابع في ذلك ابن بري في حواشيه على الصحاح . ومحمد بن سلمة هو راوي الشعر . ذكر ذلك البغدادي في الخزانة ١٠/٣٥٣ ، ثم انظر مجالس ثعلب ص٩٣ ، وسر صناعة الإعراب ١/٣٧١

(١) انظر الخلاف في نسبة القصيدة في شرح أبيات المغني ٣١١/٥ - ٣٢١ .

(١) هذه الأبيات الأربعة وفيها البيت السابق تنسب إلى رجل من بني تميم . راجع الكامل ص٨٢ ، والبيان والتبيين ٣٠٦/٣ ، والبخلاء ص١٩٧ ، وأمالي ابن الشجري ٣٢٩/١ ، ٢٦٣/٢

فصل الميم المكسورة

(١) شرح الحماسة للمرزوقي ص٦٠٢ ، ١٠٠٧

المتوسِّمِ	الطويل		٢٤٢/١
العمائمِ	الطويل	العَمَلَّس بن عقيل بن علفة[1]	١٣١/٢
والقوائمِ	الطويل	الجرباء بنت عقيل بن علفة	١٣١/٢
حازمِ	الطويل	بشار	١٣٧/١
للقوادمِ	الطويل	بشار	١٣٧/١
بسالمِ (٢١ بيتا)	الطويل	بشار	١٣٦/١ ، ١٣٧
ناظمِ	الطويل	البحتري[2]	٢٣٨/١
عاصمِ (٦ أبيات)	الطويل	مصعب بن عمير الليثي	٢٠٢/١ ، ٢٠٣
صارمِ	الطويل	ابن المعتز	١٢٣/٢
بجماجمِ	الطويل	ابن المعتز	١٢٣/٢
للمكارمِ (٥ أبيات)	الطويل	أبو تمام	١٧٧/٢
المعالمِ	الطويل	أبو تمام	١٨٠/٢
بالسلالمِ	الطويل	أبو تمام	١٨٠/٢
والمكارمِ (٨ أبيات)	الطويل	أبو هلال العسكريّ	٦٩/١
للبهائمِ (٨ أبيات)	الطويل	أبو هلال العسكريّ	١٩٣/١ ، ١٩٤، ٣٠٣
نواعمِ (٤ أبيات)	الطويل	أبو هلال العسكريّ	١٤٢/٢
المواسمِ	الطويل		٥٤/٢
سَعُومِ	الطويل	أبو نواس	١٢٧/٢

(١) لم ينسبه أبو هلال . والبيتان للعملَّس وأخته الجرباء ، في قصة تراها في طبقات فحول الشعراء ص٧١٥ ، وأمالي المرتضى ٣٧٣/١ ، وأمالي ابن الشجري ١٣٦/١

(٢) هكذا جاء في المطبوع . وقد حقق الأستاذ حسن كامل الصيرفي ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ أن البيت لأبي حية النميري ، وإنما وقع تصحيف بين « البحتري » و« النميري » . ملحق ديوان البحتري ص٢٦٥٧

(١) في بعض أبيات هذه المقطوعة تصحيف وتحريف ، صوابها في ديوان الشاعر ص١٢٩ - ١٣١

(٢) أنشد أبو هلال عجزه فقط ولم ينسبه . وهو لعديّ بن الرقاع . انظر صدره في ديوانه ص٧٥ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة ص١١٤ وحواشيه .

للبحث صلة

مصطلحات معجم الصيدلة والعقاقير

(٤)

في كتاب القانون لابن سينا

السيدة وفاء تقي الدين

أرنب بحريّ*

أرنب البحر ، أرنب بحري	١ : ٢٣٦ و٣١٢ ، ٣٢٨ ، ٣٥٨ ، ٤١٣ ، ٤٢٠ ، ٤٤٠ ، ٣ : ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢١٣
دم الأرنب البحري	١ : ٢٦٣
(دواء هو) ترياق الأرنب البحري	١ : ٢٦١
(دواء هو) علاج الأرنب البحري	١ : ٢٦١
(دواء) للأرنب البحري	١ : ٤١٣
(دواء) لشرب الأرنب البحري	١ : ٤٤٠
(دواء) نافع في الأرنب البحري	١ : ٢٧٩
(دواء) نافع من شُرب الأرنب البحري	١ : ٣١٢ ، ٣٥٨
(دواء) يُسقى لِسَقْي الأرنب البحري	١ : ٤٢٠
(دواء) يقذف الأرنب البحري في الحال	١ : ٣٢٨
رأس الأرنب البحري محرقاً	١ : ٢٦٣
رماد رأس الأرنب البحري	١ : ٢٥٩

(*) كتاب ديسقوريدس ١٣٤ ، والحاوي ٢٠ : ٩٨ ، والملكي ٢ : ١٣٧ ، والصيدنة ٢٩ ، ومنهاج البيان ٢١ب ، ومفيد العلوم ١ ، والمنتخب ٥٤ ، ومفردات ابن البيطار ١ : ٢٢ ، والشامل ١٨ ، وحياة الحيوان الكبرى ١ : ٢١ ، وتذكرة داود الأنطاكي ١ : ٤٠ ، ومعجم الحيوان ١٩ ، ٢٢١

قال ابن سينا في ماهيته : « هو حيوان صدفي إلى الحمرة ماهو ، بين أجزائه أشياء تشبه ورق الأُشْنان » ثم ذكر أنه « يعد في الأدوية السُمّية ؛ يقتل بتقريح الرئة » وعقد في القانون (٣ : ٢٣١) فصلاً خاصاً لعلاج هذا السم .

نقل العلماء العرب والمسلمون القدماء وصف هذا الحيوان عن اليونان ، وكلامهم في جملته يشبه ما قاله ابن سينا وهو يوحي إلى القارئ بأنهم لم يروا هذا الحيوان ، ونص بعضهم على ذلك صراحة كابن الحشاء الذي قال في مفيد العلوم : « والأرنب البحري صنف من السمك فيه سمية غير معروف بالمغرب » ومؤلِّف (الشامل) الذي قال : « لم يتفق لنا مشاهدته ، فلذلك رأينا أن نكتب فيه ما قاله الأولون ، ولا علينا صحّت أقوالهم أو فسدت ، وقد قالوا : ... » ثم نقل كلام ابن سينا . أما كتب الحيوان الحديثة كمعجم الفريق معلوف ، فتفيدنا أنه « حيوان صدفي كبير ، بطني الرجل كالحلزون ، ذكره كثيرون من أطباء العرب وغيرهم ، وسماه بعضهم بالمغناطيس الحيواني ، ومغناطيس اللحم ، وزعموا أنه سام » .

أرنب بريّ*

أرنب ، أرانب ، أرنب بري	١ : ٢٥٩/ ٢ : ٨٣ ، ١٠٤ ، ٤٧٠/ ٣ : ٤٣٨
أحشاء الأرنب	١ : ٢٥٩

(*) كتاب ديسقوريدس ١٣٤ ، والحاوي ٢٠ : ٩٨ ، والحيوان ٦ : ٣٤٩ وما بعدها ، والصيدنة ٢٩ ، والمخصص ٨ : ٧٦ وما بعدها ، ومفيد العلوم ١ ، والمنتخب ٥٤ ، ومفردات ابن البيطار ١ : ٢١ ، وحياة الحيوان الكبرى ١ : ١٨ ، وتذكرة داود ١ : ٤٠ ، ومعجم الحيوان ١٥٠ ، وغيرها كثير من كتب الطب واللغة كاللسان والتاج (رنب) ...

مرقة لحم الأرنب ١ : ٣٥٩

وبر الأرنب ١ : ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢١٧ /٢ : ١٦٤ ، ٤٨٤ /٣ : ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨

الأرنب حيوان بري معروف ، أكثرَ القدماءُ من التداوي بإنفحته ولحمه ودماغه ، واستخدموا وبره ... وصفته معجمات اللغة والحيوان بأنه يشبه العناق قصير اليدين طويل الرجلين .. يطأ الأرض على مؤخر قوائمه . والأرنب اسم جنس للذكر والأنثى ؛ وفي المخصص نقلاً عن صاحب العين أنه يقال : أرنبة للأنثى ، وذكروا لها اسماً آخر هو العِكْرِشة ، والذكر هو الخُزَز ، والخِزْنِق ولدهما . ويقول الجاحظ في كتابه الحيوان (٦ : ٣٥٧) « تقول العرب : هذه أرنب كما يقولون هذه عُقاب ولا يذكّرون » أما ابن سينا فاعتبره مذكراً دوماً فقال : دماغه ، رأسه ، انفحته .. الخ ، ونبه أمين معلوف في معجم الحيوان إلى أن العرب لم يَفُتْهم الفرق بين النوع الكبير من الأرنب ، وبين النوع الصغير منها ؛ فسموا النوع الكبير ذكراً ، وجعلوا له أسماء خاصة ، والنوع الصغير أنثى ، وسموه بأسماء خاصة .

اريبوعيون

ثمرة أريبوعيون ١ : ٤١٣

عقار نباتي ، انظر تحقيقه في مادة (فيلن) من كتابنا هذا .

اريقي*

اريعى [كذا] ٣ : ٤٣٧

(*) كتاب ديسقوريدس ٨٧ ، والحاوي ٢٠ : ١٢ ، ٦٣ ، ومفردات ابن البيطار ٢ : ٦٨ ، وما لا يسع الطبيب جهله ٢١٥ أ ، ومعجم أحمد عيسى ٧٦ Erica arborea ، والمساعد ١٩١ (الأرَيْقي) ، ومعجم الشهابي ١٠٧ خلنج Bruyère (Erica) .

ذكرهـا ابن سـينـا في جمـلة أدويـة تـدخـل في تركيب دواء نقـله عن جـالينـوس يُنتفع به من خروج المقعدة فقـال : « تؤخذ ثمرة النبـات الذي يقـال له أربعى » كذا في طبعتي رومة وبولاق ، وهي بغير إعجـام في المخطوطة (١) ، وجاءت في مفردات ابن البيطار (ارتقي) ، والصـواب (اريقىٰ) كما في الحاوي لأنها من اليونانيـة Erika وهي اسـم الشجـر الذي يعـرفـه العـرب بـاسـم الخَلَنج ، والخلنج معرَّب قديماً من الفـارسية[١] . وصف هذه الشجرة ديسقوريدس بقوله : « شجرة صغيرة شبيهة بالطرفاء ، غير أنها أصغر منها بكثير ، يعمل النحل من زهرتها عسلاً ليس بمحمود .. » ونقـل ابن البيطـار عن أبي عبيد البكري وصفـاً أكثر تفصيـلاً ، وهو قوله في الخلنج : « هذا الاسم يقع عندنا بالأندلس على الشجرة التي يصنع من أصلها فحم الحدادين ، وتسمى باليونانية أريقى[٢] ، لها أغصان طوال مقدار قامة الإنسان ذات هدب أصغر من هدب الطرفاء بين اللدونة والخشونة ، وزهرة صغيرة إلى الحمرة وفيها غبرة ، وهي لطيفة في شكل المحجمة ، في جوفها شُعَيرات من لونها ، في رأس كل شعيرة حبة هينـة لطيفـة ألطف من حب الخردل فرفيرية اللون قد فرعهـا واحدة في وسطهـا حتى خرجت من كمام الزهرة ، ومنه صنف آخر أبيض النَّوْر إلا أنه ألطف من نور الأول مقداراً والشكل واحد » .

ازاد

ازاد ١ : ٣٣٦

ذكره ابن سينا نوعاً من أنواع الكافور . فانظر مادة (كافور) في معجمنا هذا .

---

(١) انظر المعرب للجواليقي ص١٣٦ .

(٢) في المفردات : ارتقى .

آزاد درخت*

آزاد درخت	١ : ٢٥٥/ ٢ : ٤٧٧/ ٣ : ٢٢٧
ثمرة الآزاد درخت	١ : ٢٥٥
شجرة الآزاد درخت	١ : ٢٥٥
خشب الأزاذ درخت	٣ : ٢٢٧
طبيخ الأزاذ درخت	٣ : ١٧٣ ، ٢٧٦
طبيخ لحاء الآزاذ درخت	١ : ٢٥٥
عروق الأزاذ درخت	١ : ٢٥٥
عصارة أطراف الأزاذ درخت	١ : ٢٥٥
عصارة ورق الآزاذ درخت	٣ : ٢٦٤
فقاح الأزاذ درخت	١ : ٢٥٥
ماء ورق الأزاذ درخت	١ : ٢٥٥/ ٣ : ٢٦٥
ورق الأزاذ درخت	٣ : ٢٢٧ ، ٢٣٩ ، ٢٦٥

ذكره ابن سينا في الأدوية المفردة فقال في ماهيته : « شجرة الازاذ درخت معروفة لها ثمرة تشبه النبق ، ويسمونه بالري شجرة الإهليلج وكُنَار ، وبطبرستان يُسَمَّى بطاخك[1] ، وهي شجرة كبيرة من كبار الشجر .

الآزاذ درخت كلمة معربة قديماً من الفارسية (آزاد دِرَخْت) أي

(*) الحاوي ٢٠ : ٥٩ ، والصيدنة ٣٢ ، ومنهاج البيان ٢٢ب ، ومفيد العلوم ٦ ، والمنتخب من مفردات الغافقي ١٩ ، ومفردات ابن البيطار ١ : ٢٢ ، والشامل ١٨ ، وما لا يسع ..٣٢ ، ولسان العرب ، وتاج العروس (قتب) ، وتذكرة داود ١ : ٤٠ ، والألفاظ الفارسية المعربة ٢ ، ومعجم أحمد عيسى ١١٦ ، والمساعد ٢٠١ ، ومعجم الشهابي ٦٨ ، والصحاح في اللغة والعلوم ١٧ ، والمعجم الموحد ٢٠

(١) في طبعتي رومة وبولاق (طاحك) بالمهملة ، وما أثبته من المخطوطة ١ ومعجم أحمد عيسى والمساعد . وانظر مادة (طاخك)

شجر حر . جاء في اللسان والتاج : « القيقب شجر .. كالقيقبان .. قال ابن دريد : وهو بالفارسية آزاد درخت » . كتبت هذه الكلمة – كغيرها من المعرَّبات – بأشكال مختلفة منها : أزاذ درخت ، وآزاذ درخت ، وأزاد درخت ، وآزاد دَرَخت وأزادرخت . ومن هذه الكلمة المعرّبة أخذت التسمية الفرنسية : Azédarach ، ولعل القدماء قد استعملوا هذا الاسم للدلالة على عدة أشجار من جنس واحد ، وخصص الآن بما يسمى بالشام ومصر (الزنزلخت) وهو الشجر الذي يزرع في الشوارع للتزيين ، يحمل عناقيد من زهر بنفسجي اللون ينعقد حباً صغيراً كالزعرور ، زعم القدماء أن هذا الشجر سام ، وعقد ابن سينا في القانون (٣ : ٢٢٧) فصلاً خاصاً بعلاجه ، وجاء في الصيدنة : « قال صهاربخت : حب الازاد درخت الشبيه بالنبق قتّال . وقال يوحنا بن ماسويه في كتابه في الأبدال : رب شجرة ثمرتها قاتلة وأغصانها نافية للسم كالآزاد درخت ... » لكن ابن سينا قال في هذا الشجر عكس ذلك : « ورقه يقتل البهائم ، وخشبه ربما قتل ، علاجه قريب من علاج الدفلى[1] .

أما عن أسمائه الأخرى التي ذكرها ابن سينا ، ففي الصيدنة يقول البيروني أيضاً إن أهل الري يعرفونه بالهليلج ، وفي الألفاظ الفارسية المعربة أنه يسمى في فارس طاق وطغك ، وفي معجم أحمد عيسى : طاخك ، طاق ، طغك ، وزاد الكرملي في المساعد : (تاق وتاخ) ، ولم تُذكر (كنار) في هذا الموضع في أي من المراجع إنما هي اسم من أسماء النبق كما سيأتي في مادة (كنار) .

(١) القانون (٣ : ٢٢٧)

آس*

آس	١ : ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٨٢ ، **٢٤٥** ، ٢٤٦ ، ٢٩٤ ، ٣٢٠ ، ٣٣٤ ، ٣٩٢/ ٢ : ٣٨ ، ١٥٦ ، ١٧٠ ، ١٧٩ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٧٦ ، ٣٤٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤٣٢ ، ٤٣٥ ، ٤٧٦ ، ٥٨٨ ، ٥٩٢ ، ٥٩٦ ، ٦١٠/ ٣ : ٦٦ ، ٧١ ، ١٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٧٤ ، ٣٢٢ ، ٣٣٤ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨ .
آس بري	١ : ٣٧٠ [نبات مستقل انظر المادة التالية]
آس جبلي	١ : ٢٤٥
آس خسرواني[1]	١ : ٢٤٥
آس طري	٣ : ٥٥
آس مسحوق	٣ : ٢٩٧

(*) كتاب ديسقوريدس ١٠٩ (الآس البستاني) ، ٤١ (دهن الآس) ، ٣٨٧ (شراب الآس) ، والنبات ١ : ٢٥ ، والحاوي ٢٠ : ١٤ وما بعدها (آس .. بنكه .. خبه .. دهنه .. شرابه) ، والملكي ١ : ٢٠٨ (الآس) ، ٢ : ١١٤ (حبه) ، ٢ : ٥٨٥ (دهن الآس) ، ٥٩٢ (رب الآس) ، ٥٨٩ (شراب الآس) ، والصيدنة ٣٣ (آس .. بنك الآس) ، ومنهاج البيان ٨١ أ (حب الآس) ، ١٢١ب (دهن الآس) ، ١٣١ب (رب الآس) ، ١٦٦أ (شراب الآس) ، ومفيد العلوم ٤ ، وشرح أسماء العقار ٥ ، والمنتخب ١٧ ، ومفردات ابن البيطار ١ : ٢٧ ، والمعتمد ١٦١ (دهن الآس) ، والشامل ٢٢ ، وما لا يسع الطبيب جهله ٣٥ أ ، وحديقة الأزهار ٩ ، وتذكرة داود ١ : ٤٢ ، ولسان العرب ، وتاج العروس (أوس) و(بنك) ، ومعجم أحمد عيسى ١٢٢ Myrtus communis ، ومعجم الشهابي ٤٤٥ Myrtus commun ، والمعجم الكبير ١٢ ، ومجلة مجمع دمشق م٢٣ : ١٧٦ الألفاظ السريانية في المعاجم العربية للبطريك ماراغناطيوس أفرام الأول . والألفاظ الفارسية المعربة ٢٨ (بنك) .

(١) لعله منسوب إلى خُسْرَوايَة وهي قرية من قرى واسط كما في معجم البلدان ، وكثيراً ما يقحم ابن سينا هذه النون في الاسم المنسوب .

(١) انظر مادة (قيروطي)

قال ابن سينا : « الآس معروف ، وفيه مرارة مع عفوصة وحلاوة ... » ، ذكره أبو حنيفة في كتابه النبات فقال : « آس ، والواحدة منها آسَةٌ ، وهو بأرض العرب كثير ينبت في السهل والجبل ، وخضرته دائمة أبداً ، يسمو حتى يكون شجراً عظاماً .. وللآس بَرَمة[1] بيضاء طيبة الريح ، وثمرة تسودّ إذا أينعت وتحلو ، وفيها مع ذلك عُلَيْقمة وتسمى الفَطْس » . هذا الشجر كثير في بلاد الشام ، يؤكل ثمره ، ويسمى فيها (حَبْلاس)[2] أي حب الآس أدغمت الكلمتان وسهلت الهمزة ، يزين أهل الشام القبور بأغصانه في الأعياد الإسلامية ، وتسميه عامة المغرب

(١) كذا في كتاب النبات ، وفي مفردات ابن البيطار الذي نقل عبارة أبي حنيفة نفسها : (زهره) . والبَرَمة (وجمعها بِرَم) هي ثمرة العضاه ، وثمرة الطلح ، وحبة العِنَب إذا كانت فوق الذر ، أي أنها يمكن أن تطلق على الزهرة أول انعقادها ثمراً . انظر لسان العرب ، وتاج العروس (برم) .

(٢) وليس (حمبلاس) كما جاء في معجم أحمد عيسى .

الريحان ، كما في مفيد العلوم ، وحديقة الآزهار .

لكلمة الآس أشباه في اللغات السامية ، ولهذا زعم البطريرك اغناطيوس افرام أن الكلمة معربة عن السريانية ، بينما ردها المعجم الكبير لمجمع القاهرة إلى Asu الأكدية .

وأما بُنْث الآس فهو – كما يقول ابن سينا – « شيء على ساقه في لون ساقه ، وفي صورة الكف وشكلها » ، وجدت مثل هذا في الحاوي ، والصيدنة ، ومفردات ابن البيطار ، وغيرها نقلاً عن ديسقوريدس الذي قال : « وأما المرطيذانون[٣] فإنه شيء ينبت في ساق شجرة الآس مضرس كأن فيه بنكاً[٤] لونه شبيه بلون ساق الآس ، وفي شكله مشابهة[٥] بالكف » ، وأكد البيروني هذا الوصف بقوله : « ونحن نرى أمثال هذه الزوائد تبرز من الأشجار » . وفي معجمات اللغة : البُنك – بالضم – أصل الشيء أو خالصه . قال الجوهري : هو معرّب ، وقال الأزهري : فارسي – وهذا ما أكده اديشير في الألفاظ الفارسية المعربة (ص ٢٨) – وقال ابن دريد : كلام عربي صحيح .

وقد أكثر القدماء من التداوي بحب الآس ودهنه وربه وشرابه ، وشرحوا طرق صناعتها وفوائدها إما في أثناء كلامهم على الآس ، أو في كلامهم على الربوب والأدهان والأشربة .

---

(١) في مفردات ابن البيطار (الميطيذانون) .

(٢) في الأصل (بنك) وجاءت على الصواب في مفردات ابن البيطار .

(٣) في الأصل (متشابه) وما أثبته من مفردات ابن البيطار .

آس بري*

آس بري ١ : ٣٧٠

في الكلام على (مورداسفرم) قال ابن سينا : « قال ابن ماسه هو الآس البري » ، وتابعه ابن جزلة في منهاج البيان فقال : « آس بري : هو مرداسفرم » . والآس البري كما وصفه ديسقوريدس « نبات له ورق شبيه بورق الآس البستاني إلا أنه أعرض منه ، وطرفه حاد[1] شبيه بطرف سنان الرمح ، وله ثمر مستدير فيما بين الورق ، وإذا نضج كان لونه أحمر .. وله قضبان .. كثيرة مخرجها من أصل واحد .. طولها نحو من ذراع ، مملوءة ورقاً[2] .. وأصلٌ إذا ذيق كان عفصاً .. »

هذا النبات كما وصفه ديسقوريدس كثير معروف ببلاد الشام رأيته في منطقة رأس البسيط بسورية . ثم أفادني د . زهير البابا أنه يدعى هناك (صُرم الديك) .

اسارون**

أسارون ، آسارن ، آسارون : ٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٨٣ ، ٢٩٠ ، ٣٨٠ ، ٤٦٩/

(*) كتاب ديسقوريدس ٥٥٦ (مرسين اغريا) ، ومنهاج البيان (٢٣ب) ، ومفردات ابن البيطار ١ : ٣٠ ، وما لا يسع الطبيب جهله ٣٥ ، وتذكرة داود الأنطاكي ١ : ٤٢ ، ومعجم أحمد عيسى ١٥٩ Ruscus aculeatus ، ومعجم الشهابي ٢٨٦ Eragon épineux ، والمعجم الموحد ١٢٠ . وانظر مادة (مورداسفرم) في كتابنا هذا .

(١) في الأصل « حد »

(٢) في الأصل « ورق »

(**) كتاب ديسقوريدس ١٨ (أسارون) ، ٣٩٥ (الشراب الذي يتخذ بالأسارون) ، والحاوي ٢٠ : ٥ ، والصيدنة ٣٤ ، ومفيد العلوم ٥ ، ومنتخب جامع مفردات الغافقي ١٣ ، وشرح أسماء العقار ٦ ، ومفردات ابن البيطار ١ : ٢٣ ، ومنهاج البيان ٢٤ أ ، وما لا يسع الطبيب جهله ٣٢ ، والشامل ١٨ ، وحديقة الأزهار ٢٨ ، =

ذكره ابن سينا في الأدوية المفردة فقال : « أسارون : الماهية : حشيشة يؤتى بها من بلاد الصين ، ذات بزور كثيرة ، وأصول كبيرة ، ذوات عقد معوجة تشبه الثيل ، طيبة الرائحة ، لذاعة للسان ، ولها زهر بين

= وتذكرة داود ١ : ٤١ ، ومعجما أحمد عيسى ٢٣ ، والشهابي (Asarum europoeum ٥٩) ، والمعجم الموحد ١٥ (Asaret) . وانظر مادة (ناردين) في كتابنا هذا .

الورق عند أصولها ، لونها فرفيري شبيهة بزهر البنج ، وأصولها أنفع ما فيها .. »

هذا الوصف منقول فيما يبدو عن ديسقوريدس ، وعنه أخذت سائر المراجع ، وذكرت أن منه نوعاً أندلسياً يجلب من الجزيرة الخضراء ، ولكن ابن الخشّاء قال في مفيد العلوم : « أسارون : هو أصول رقاق جعد تجلب من بلاد الروم ، والمسمى منه بالأندلسي وبالجزيري غير صحيح » ، ومن أسماء الأسارون الناردين البري ، والناردين الإقليطي . صنفته معجمات النبات في الزراوندیات ، ويصنع منه شراب مشهور يُتداوى به لأوجاع الكبد .

كتبت هذه اللفظة في المراجع العربية (أسارون) بالهمز ، و(آسارون) ممدوداً وكلاهما تعريب للاسم اليوناني ، ومنه أيضاً المصطلح اللاتيني Asarum .

استرغان

استرغان ١ : ١٧٥

قال ابن سينا في بعض معالجاته : « وخل الكبر ، وخل الثوم ، وخل الاسترغان وأجرامها .. » كذا وردت الكلمة في طبعة بولاق ، وفي ط . رومة : اشترغان ، وهي على الصواب في مخ١ (اشترغار) انظر مادة (اشترغاز) في كتابنا هذا .

استرنجبين

استرنجبين ٣ : ٣٩٢

ذكره ابن سينا بين العقاقير التي تدخل في تركيب حب النجاح ،

وأردفه بقوله : « هو دواء هندي » . وردت هذه الكلمة في المخطوطة ١ : استرمجبين .

لم أجد هذا العقـار ولا حب النجـاح في كتب الأدويـة المفردة والمركبة ، فلم أستطع أن أعرف شيئاً عنه زيادة على ما قاله ابن سينا ، ولعله نقل تركيب هذا الحب من مرجع هندي قديم لم يصل إلى من بعده .

أَسَد*

شحم الأسد	١ : ٤٤٠/ ٢ : ١٠٣ ، ٤٩٦ ، ٥٤١/ ٣ : ١٣٥
مرارة الأسد	٢ : ٥٦٦

الأسد حيوان مفترس معروف ، له أسماء كثيرة جداً في لغة العرب ، معظمها صفات له ، ذكر كثيراً منها ابنُ سيده في المخصص ، والظاهر أن أعداداً كبيرة من الأسود كانت تعيش في شبه جزيرة العرب وما يدانيها من بلادهم فقد تردد ذكره كثيراً على ألسنة الشعراء ، أما الآن فقد انقرض من هذه المناطق .

استخدم الأطباء القدماء في علاجاتهم شحم الأسد في الضمادات والمروخات ، أي للعلاج الخارجي حسب التعبير المعاصر ، ومرارته في الحمولات ، فهو ليس من الأدوية المأكولة .

أُشْرُب**

أُشْرُب	١ : ٧٧ ، ٤٣٢ ، ٤٤٣/ ٢ : ٤١ ، ٧٤ ، ٥٢٢ ،

(*) المخصص ٨ : ٥٩ وما بعدها ، ومفردات ابن البيطار ١ : ٣٤ ، ومنهاج البيان ١٦٣ أ (شحم الأسد) ، و٢٤٨ أ (مرارة الأسد) ، والشامل ٣٠ ، وما لا يسع الطبيب جهله ٣٩ ، وتذكرة داود الأنطاكي ١ : ٤٣ ، وحياة الحيوان الكبرى ١ : ٣ ، ومعجم الحيوان ١٥١ وغيرها .

(**) الملكي ٢ : ١٣٣ : والجماهر ٢٥٨ ، والصيدنة ٦٩ (أبار) ، ومفيد العلوم =

٥٤٥ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٩٩/ ٣ : ١٣٢ ، ١٣٦ ،
١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٥٧ ، ١٩٢ ، ٢٧٤ .

أسرب قلعي	١ : ٤٣٢
أسرب محرَق	٢ : ١٧١/ ٣ : ٤٣٨
أسرب محرَق مغسول	٢ : ١٧١/ ٣ : ٤١٧
أسرب ميت	١ : ٢٥١
إبرة من أسرب	٢ : ١٧٢
اسفيداج الأسرب	٣ : ١٣٧
إناء من أسرب	٢ : ١٧٣
بُرادة الأسرب	٢ : ٦٢٦
حُكاكة الأسرب	٢ : ٥٥٣
حُلالة من أسرب ...	٣ : ١٣٧
خبث الأسرب	٢ : ١٧١/ ٣ : ٢٩٨
صدأ الأسرب	٣ : ٢٧٢
صفائح الأسرب	٢ : ٥٤٥ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨
مِيْل من أسرب	٢ : ٥٦٦
هاون من أسرب	٢ : ٢٨٣

لم يذكره ابن سينا في الأدوية المفردة . أجمعت المراجع القديمة سواء منها كتب اللغة ، وكتب العقاقير ، وكتب الحجارة على أنه الرصاص الأسود الرديء ، وأوضح البيروني في كتابه الصيدنة أن الأسرب هو نفسه الأُبَار ، وإنما يُسمى أباراً في أدوية العين ، ويدعى أيضاً الآنك كما في (الجُماهر) . ومنه نلاحظ أن القدماء خلطوا بين المسميات الثلاثة : الأبار ، والاسرب وهما الرصاص ، والآنك وهو القصدير . انفرد الأب

= ٩ ، ومفردات ابن البيطار ١ : ٣٣ ، ومنهاج الدكان ١٧٧ ، ولسان العرب ، وتاج العروس (سرب) ، وتذكرة داود الأنطاكي ١ : ٤٤ . وانظر مواد : (أبار) ، و(آنك) ، و(رصاص) في كتابنا هذا .

انستاس الكرملي بالقول إن الأسرب هو الرصاص الأبيض ، ذكر ذلك في (المساعد) وفي (نخب الذخائر ص٢٢ ح٣) ولعل السبب في هذا أن البيروني قال في الجماهر : « الأسرب وهو الآنك » والآنك يعني القصدير أي ما سماه القدماء بالرصاص الأبيض .

ضُبطت الكلمة بضم الهمزة والراء وتخفيف الباء أو تشديدها أي : أُسْرُبٌ وأُسْرُبٌّ وهما تعريب للفارسية (سُرْب) ومعناه الرصاص .

إسْرِنج

ويقال سرنج انظر مادة (سرنج) في باب السين .

(التعريف والنقد)
نظرة في القصيدة الأولى
من ديوان النابغة الشيباني

الأستاذ يوسف الصيداوي

كنت أرسلت هذه المقالة من قبل إلى مجمع اللغة العربية بدمشق ، ليرى رأيه في نشرها في مجلّته . وهتف إليّ مِن بَعدُ ، الأستاذ أحمد راتب النفاخ – رحمه الله رحمة واسعة ، وجعل جنّة الخلد مأواه – يعلمني أنْ قد ووفق على نشرها في المجلة ، وأنه يحب أن يدارسني أشياء فيها قبل نشرها . فشكرت له اهتمامه ؛ وتحدثنا بالهاتف مرّات ، ثمّ لقيته في بيته مرّتين ، وكان حاضرَ ذلك الأخ الأستاذ عزّ الدين البدوي النجار .

ولبث بعد ذلك زمناً ، كلما عنّت له خاطرة ، هتف إليّ يذكرها ، أو يحضّني على التنقيب عمّا يتعلّق بها ، لعل مرجعاً يسعف برواية تقطع الظن باليقين ، أو قولٍ لإمامٍ يقيّد شاردةً تكون على ذلك عوناً .

ويتتالى ذلك مرة ومرة ومرة ؛ لا توهُّج قلبه يخمد ، ولا إجلالي له يعيد المقالة إلى المطبعة . حتى لقد رأيتني بعد حين منصرفاً إلى تأمّل هذا الشغف النبيل ، الذي تجاوز الهوى إلى الهيام ، لعلّي أدرك سرّ تدفّقه ، من قلب ذلك الرجل الفذّ .

وكنت على أن أعيد النظر فيما أثاره من ملاحظات ؛ ثمّ تصرفني شؤون الحياة عن ذلك زمناً فأغفل . ثمّ أفتح عينيّ على زلزالِ فقده ؛ وأنظر ، فأجد بين يديّ من ملاحظاته كنزاً ، لا أجيز لنفسي إمساكه

ولا إنفاقه . وأبدئ وأعيد ، ثم أصل من بعد إلى قرارة ، أطمئن فيها إلى أن مال « قيصر » لا يتلبّس به مال .

فأمّا ملاحظاته – رحمه الله – فمشارٌ إليها ، منوّه بها ، لم يمنعني من إيرادها أن تكون عليّ . فلا مساس .

وأمّا الذي أجريت القلم فيه من المقالة ، زيادة أو نقصاً ، فمحكوم باستيلاء النقص على جملة البشر ، مستظل بخلود مقوّلة العماد الأصفهاني : [إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه ، إلاّ قال في غده : لو غُيِّر هذا لكان أحسن – ولو زِيد كذا لكان يستحسن ، ولو قُدّم هذا لكان أفضل – ولو تُرك هذا لكان أجمل] . فالذي في المقالة لفظاً ومعنى ، يمثلني إذاً وحدي ، بما له وعليه .

كان الأستاذ أحمد نسيم حقّق ديوان [النابغة الشيباني] ، فصدر مطبوعاً بالقاهرة سنة ١٩٣٢م .

ثمّ عمد الدكتور عبد الكريم إبراهيم يعقوب إلى إعادة تحقيقه . ونشرته وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق سنة ١٩٨٧م .

وقد قدّم الدكتور المحقّق لعمله هذا بنحو سبع وعشرين صفحة ، أدار فيها الحديث حول نسخ الديوان الخطّية ، ومنهجه في التحقيق الخ ... ثم أتبع ذلك شعر الشاعر .

ولقد قرأتُ الديوان ، ودوّنت ملاحظات . وكادت مكانة الشاعر تغريني فأبسط القول في ذلك كلّه . ولكنني رأيت أنّ هذا محتاج إلى حيّز قد تشرق المجلّة به[1] ، وأن القليل قد يجزئ فيدلّ على الكثير . فعزمت أن

---

(١) علّق الأستاذ النفاخ – رحمه الله – على قولي هذا ، فقال : إن المجلة لا تشرق بذلك . وحضّني على العودة إلى قراءة الديوان ، والنظر في رواياته ، وفيما أورده المحقّق من شروح وآراء ، وأن أكتب في كل ذلك ؛ فاعتذرت .

أقف عند قصيدة واحدة من الديوان . وكدت أختار ، ثم عزفت عن ذلك ، لما في الانتقاء من مظنّة الميل والانحياز ، وآثرت أن أقصر الحديث على القصيدة الأولى من الديوان ، فذلك أقرب إلى العدل ، وأحرى أن يدفع شبهة الهوى .

ولقد حرصت أن تكون أرقام الأبيات هنا ، هي أرقامَها نفسَها في الديوان ، وأن يكون ضبْط المفردات هو ضبْط المحقّق حرفاً حرفاً ، ليكون من يقرؤها هنا ، كأنه يقرؤها في الديوان .

يتقدّم القصيدةَ نسبُ الشاعر ؛ والأستاذ المحقق يجشّم نفسه عناء تخطئة خمسة عشر مرجعاً ، قال إن نسب الشاعر ورد فيها محرّفاً ، أو مصحّفاً . غير أن الذي أضعف حجّةَ الأستاذ الدكتور ، أنه لم يذكر سبب اجتزائه بتخطئة هذه المراجع وحدها ، ولِمَ لَمْ يزد من ذلك أو ينقص . ولا ذكر المصدر الذي اعتمده في التخطئة والاستصواب . بل اكتفى بأن قال : [وهو خطأ] ، [وهو تحريف] ، [وكلّها تصحيفات وتحريفات] . فكان ذلك – حتى لو صحّ – دعوى بغير دليل .

وتسيير القصيدة :

١ – أرقتُ وشرُّ الداءِ همّ مؤرَق كأني أسيرٌ جانبَ النومَ مُوْثَق

والصواب : [مؤرِّق] بكسر الراء . اسم فاعل من [أَرَّق – يُؤرِّقُ] وقد أغفل المحقّق وجهاً آخر لـ [جانب النوم] ، كان أحمد نسيم قد نبّه عليه ، بأن أورد ضبْط الوجهين ، فتحاً وكسراً : [جانِبَ النومَ] ، وقال : [هذا الشكل كما هو في الأصل ، والمراد به احتمال الوجهين] .

ومع أننا نرجّح الرواية التي أخذ بها الأستاذ المحقّق ، إنّ إغفالَه الوجهَ الثاني ، والإعراضَ عنه كأنه لم يكن ، تضييع وتحكّم .

٢ - تذكّر سلمى أو صريعٌ لصحبه يقـول إذا مـا عزّت الخمرُ : أنْفِقوا

ضبَط أحمد نسـيم كلمـة [تذكر] بضم الكـاف وفتح الراء : [تذكُّرَ] ، وأمّا المحقّق فأغفل ضبطها ، إلا الكاف فشدّدها : [تذكّر] ، مع أن الكلمة تحتمل وجوهاً .

أ - تذكَّرَ : فعلاً ماضياً . يرجع ضميره إلى [أُسير] .

ب - تذكُّرُ : بضم الكاف والراء ، على البدلية من [هَمٌّ][٢] .

جـ - تذكُّرَ : وهو ما اختاره أحمد نسيم ، فكأنه انتصاب على نزع الخافض ، وأن الأصل : [هَمٌّ مؤرِّقٌ مِن تذكُّر سلمى] .

٤ - يقول الشُّروبُ : أيُّ داءٍ أصابه أتخييـلُ جِنٌّ أم دهـاه المُـرَوِّقُ

قال الأستاذ المحقّق في الشرح : [أتخييل : من الخبل والخبال ، وهو الفسـاد في العقول والأفعال والأبدان ، وهو هنا الفسـاد في العقل ، أي الجنون] اهـ .

قلت : الصواب أن يقال : [هو الإفساد] لا [الفساد] . وذلك أن تفسير [التخبيل] بـ[الفساد] فيه إلغاء لما تجلبه همزة النقل من معنى التعدية ، وحرمان [التخبيل] من معنى الفعل ، فيصير المعنى بالإضـافة المحضـة : [أجنون جنّ] ؛ ولم يقـل أحد إن للجن جنوناً ، وإنما الذي يقال ، إن الجن تصيب الإنس بالجنون ، فتخبّلهم تخبيلاً ، فتفسد عقولهم إفساداً .

(٢) رحمه الله ، لم يرتح لاحتمال أن يكون [تذكُّرُ] بدلاً من [همٌّ] في البيت الأول ، وذلك لبعد ما بين البدل والمبدل منه ، وإن كان لم يتذكّر حكماً نحوياً يحول دون البدلية ، في هذه الحال .

٦ - وأعجبَ سلمى أنّ سلمى كأنّها من الحُسْنِ حوراءُ المدامعِ مُرْشِقُ

ضبط الأستاذ المحقّق كلمة [أعجبَ] بفتح الباء ، فهي على ذلك فعل ماض . فاعله المصدر المؤوّل : [أنّ سلمى ...] ، وهو وجهٌ ترضى به النفس ؛ غير أن الأستاذ المحقّق أغفل الرواية التي أخذ بها أحمد نسيم وهي : [وأعجبُ سلمى أنّ سلمى ...] ، على أن [أعجبُ] اسم تفضيل . منظوراً في ذلك إلى أنّ في سلمى فنوناً من العجب تتفاضل ، وأن الأصل : [وأعجبُ أمورِ سلمى ...] ، ثمّ حذف المضاف .

وذلك وجهٌ كان جديراً بأن يُذكَر مصدرُه ، وأن تُضاء جوانبه ، وأن يُقْبَل أو يُردّ .... وأما إغفال كلٌ ذلك ، والاقتصارُ على ضبط الباء بالفتح ، فهوى نَفْس .

٧ - دعاها إلى ظلٌ تُزجّي غزالَها مع الحَرّ عُمْريٌّ من السِدْرِ مُوْرِقُ

قال المحقّق في ترجمة السدر : [واحدته سدرة وجمعها سدرات وسدرات وسدرات] ، فأورد للسدرة - كما ترى - ثلاثة جموع متماثلة ، خالية من الشكل ، وهو يريد : [سِدْرات وسِدِرات وسِدَرات] .

وما إيرادُه [السدرةَ] إلا استطراد، ولا إيرادُه [السدراتِ ...] إلا استطرادٌ على استطراد . وحتى لو ضَبَطَ هذه الجموعَ بالشكل لما فَعَل شيئاً . فجمْع [سِدرة] على [سِدْرات وسِدِرات وسِدَرات] جمع قياسيّ . وإذا كان الأستاذ المحقّق رأى المعاجم تورد هذه الجموع فسار في هديها ، فإن المعاجم لا توردها - وهي قياسية - عبثاً . وإنما توردها في خلال ذِكْر جموع [السِدرة] سالمةً ومكسّرة . وفي كل حال إنّ بين عمَلِ المحقّق وعملِ المعجمي فرْقاً لم يلتفت إليه الأستاذ المحقق ، لا في هذا

البيت ، ولا في كثير من الأبيات الأخرى . يَدُلُّك على ذلك شرحُه للبيت الثامن :

٨ - تَعَطَّفُ أحيـانـاً عـليــه وتـارةً
تكادُ - ولم تَغْفُلْ - من الوجد تَخْرَقُ

فالبيت واضح المعنى ، ولكنّ الأستاذ المحقّق أفاض في شرح [تخرق] فكتب فيه ثلاثة أسطر ، منها ما يناسب معنى البيت ، ومنها ما لا يناسبه ، ومنها ما لا ينظر إليه بحال . وإليكَ شرح المحقّق كما جاء حرفياً :

أ - [تخرق : تدهش وتتحيّر فلا تدري ماذا تفعل] .

قلت : هذا مناسب لمعنى البيت .

ب - [يقال : خرق الظبي أي دهش ولصق بالأرض إذا رأى الصائد فلم يقدر على النهوض من خوف ، ويقال : أخرقه الفزع أي أدهشه] .

قلت : هذا لا يناسب معنى البيت ، لأن المعنى فيه ، هو حَيْرَة مَنْ بِه الحُبُّ والوجد ، لا اللصوق بالأرض من الخوف .

جـ - [ويقال : ناقة خرقاء ، أي لا تتعهد مواضع قوائمها] .

قلت : هذا لا ينظر إلى معنى البيت بحال ، وإنما هو استمدادٌ من المعاجم مفتقر إلى التبصّر .

١٠ - إذا قَتَـلَتْ لم يُؤْدَ شيئـاً قَتيـلُهـا
بَـرَهْـرَهَـةٌ رَيّـا تُـوَدُّ وتُعْشَـقُ

أثبت الأستاذ المحقّق الهمزة فوق الواو : [لم يُؤْدَ] ، فحالَ المعنى

عمّا أراد الشاعر . وذلك أنّ [لم يؤد] إمّا أن يكون مِن [أَدَى فلاناً] – وِزان فَعَلَ – إذ اختله ، واللبنَ إذا مخضه] ، وهذا ليس مقصوداً . وإمّا أنْ يكون من [آداه] – وِزان أَفْعَلَ – إذا أعانه] ، وهذا ليس مقصوداً كذلك .

والصوابُ البيِّن حذفُ الهمزة : [لم يُودَ] لأنه مِن [وَدَى القاتلُ القتيلَ – يَدِيهِ ، دِيَةً] إذا أعطى وَلِيَّه المالَ الذي هو بدل النفْس .

١١ –وَتَبْسِـــمُ عن غُـــرٍّ رُواءٍ كأنهـــا
أَقــاحٍ بـريّــانٍ من الروض مشــرق

ضبَط الدكتور المحقّق كلمـة [رواء] بكسر الراء وضمِّها ، ليدلّ بذلك على صحّة الوجهين – في اعتقاده – وقال في الحاشية : [الرواء بضم الراء تعني حسنة المنظر ، وبكسر الراء : جمع ريا وريانة وهي المرتوية] اهـ .

قلت : هذا شـرح مرتجل ، فالرُّواء كلمة لم تستعملها العرب في معنى [حَسَنَةِ المنظر] أو [حَسَنِ المنظرِ] كما وَهِمَ الأستاذ المحقّق ، وإنما استعملتْها في معنى [المنظرِ الحَسَنِ] . وشتّان ما بين [حَسَنَةِ المنظر] و[المنظرِ الحَسَـن] . يقـال : [فلان له رُواءٌ] ، أي له منظرٌ حَسَن . ولا يقـال : [الأسنـان رُواءٌ] وأنت تعني : الأسنانُ حَسَنَةُ المنظر ، وإنما يقـال : [في الأسنـان رُواء] ، أي فيهـا حُسْنٌ . فكمـا أنّك لا تقول : [الأسنانُ جَمالٌ] ، لا تقول : [الأسنان رُواءٌ] . قال أوس بن حجر – ديوانه/١٣٠ :

إذا الحربُ حَلَّتْ ساحةَ القومِ أَخْرَجَتْ
عُيـوبَ رجـالٍ يُعْجِبونكَ في الأَمْنِ

وللحـربِ أقـوامٌ يُحـامُونَ دُونَهـا
وكَمْ قد تَرَى مِنْ ذِي رُواءٍ ولا يُغْنِي

ثم إن [الغُرّ] جمعٌ لمؤنث ، و[الرُّواء] مفردٌ لمذكر ، وكيف يوصف الجمع المؤنث – هنا – بالمفرد المذكّر ؟ .

الصواب ضبط الراء بالكسر [رِواء] ليس غير . إذ [الرِّواء] جمع [رَيّا] . ففي اللسان : [امرأةٌ رَيّا مِن قومٍ رِواء] . فإذا قلت : [الأسنانُ الرِواء] فالمعنى : الأسنان المرتوية ، أي التي ظَهَر الريق فيها ، فكأنها ارتوت – ضد عطشت – وهو مما تحبّه العرب وتمتدحه .

١٤ – تكـون وإنْ أعطتـكَ عهـداً كأنهـا
إذا رُمْـتَ منهـا الودَّ نجـمٌ مُحَـلِّقُ

١٥ – فـبرَّحَ بي منهـا عُداةٌ فصرمُهـا
عـلى غـرامٌ وادِّكارٌ مُشَـوِّقُ

وإنما أوردْتُ البيتين معاً لِاتّصال معناهما ، وبناءِ ثانيهما على أوّلهما . وقد ضبط المحقق كلمة [عُداة] بضم العين ، وجَعَلَ التاء مربوطة وإنّما [العُداة : الأعداء جمع عَدُوّ][3] ، والمعنى – على ما ضبطه الأستاذ المحقّق – هو : [فبرّح بي منها أعْداء] وهو وَهَمٌ بيّن . وإنما الصواب :

---

(٣) علّق على قولي : [والعُداةُ الأعداء جمع عدوّ] ، فقال : [العدوّ جمعه الأعداء] . قلت : إنني لا أدفع عن نفسي ، ولا أدّعي لها العصمة ، ولكن للحجّة حقّها من البيان ، فعبارتي لا تنصرف – كما قرّر رحمه الله – إلى أن العدوّ بالضرورة جمع للعُداة . ومهما يدر الأمر ، فقد أراد بملاحظته هذه أن [العُداة] وإن كان معناها – كما ذكرتُ – هو [الأعداء] ، فإن العدوّ لا يجمع على [عُداة] بل يجمع على [أعداء] . وأما [العُداة] فمفرده [عادٍ] ، ومثله : [قاضٍ وقُضاة ، ورامٍ ورُماة ، وداعٍ ودُعاة ...] .

[عِدات] بكسر العين ، وبالتاء المبسوطة ، لأنّه من [وَعَد - يَعِد ، عِدَةً] والجمعُ عِدات .

يدّلك على ذلك قولُ الشاعر في البيت الأول /١٤/ : [تكون وإنْ أعطتك عهداً كأنها ...] ، ويريد به أنها - وإن وعدتك وأعطتك عهداً - لا تفي بما وعدت ، ولذلك برّح بالشاعر عِداتٌ منها لا تتحقّق . ولا التفاتَ إلى قائل يقول : إن الذي برّح بالشاعر أعداءٌ حالوا بينه وبينها ؛ وذلك أن الشاعر قال : فبرّح بي منها عدات ، أي عدات كائنة منها . والجار والمجرور هنا أبانا عن أنّ العِدات منها ؛ ولا معنى لـ[أعداء منها] ، فأنت لا تقول : عاداني أعداء من زينب أو خديجة ... والذي ذهب إليه المحقّق وَهمٌ بيّن .

١٩ - وزرعٌ وكلُّ الزّرعِ يُشبِـه أصلَه
هـمُ وُلِدوا شتّى مُكِيسٌ ومُحْمِقُ

عَرَضَ الشاعر لصنوف الناس فقال في البيت /١٨/ : [وللناس أهواء ...] ثم أتبعه البيت /١٩/ . وقد ضبط الأستاذ المحقّق [وُلِدُوا] بضمّ الواو ، وكسر اللام ، بالبناء للمجهول . ولا أرى ذلك معيناً على بيان إرادة الشاعر . ذاك أنّ قوله : [مُكيسٌ] هو مِن [أكاسَ] أو [أَكْيَسَ] ، إذ وَلَدَ أولاداً أكْياساً ؛ وقوله : [مُحْمِق] هو مِن [أَحْمَقَ - يُحْمِق] ، إذا وَلَدَ أولاداً حَمقى .

فالناس عند الشاعر كالزُرّاع ، فهؤلاء يزرعون بَذْرَهم في الأرض ، وأولئك يزرعون أولادهم في أرحام أمهاتهم . فمنهم أبٌ وَلَدَ أكياساً ، فهو مُكِيس ، ومنهم أبٌ وَلَدَ حمقى فهو مُحْمِق ، فهمْ على ذلك قد [وَلَدُوا شتّى] ، فكانوا مُكِيساً ومُحْمِقاً .

ولو قبلنا ما اختاره الأستاذ المحقّق من بناء الفعل للمجهول ، لكان ما يتحصّل من المعنى ، دائراً حول الآباء وحدهم ، أي : الآباء وُلِدُوا ، ولَضاع ما قصد إليه الشاعر مِن زارع ومزروع ، ووالد ومولود ، في قوله : [وكلُّ الزرع يشبه أصله] . والذي يدلّك على إرادة الشاعر هو قوله : [زَرْعٌ] بالضمّ والتنوين . فإنه إتمامٌ لقوله : [وللناس أهواءٌ] ؛ أي : [للناس أهواءٌ وللناس زَرعٌ] .

وعلى ذلك يكون الضبط المعبِّر عن إرادة الشاعر هو : [وَلَدُوا] بالبناء للمعلوم[٤] .

٢٣ – ولم يأته عنّي من الشتم عاذرٌ خلا أنّ أمثالي تُصيبُ وتَعْرُقُ

جاء في شرح الأستاذ المحقّق : [العاذر : أثرُ الجرح أو غيره] .

قلت : صحيح أنّ من معاني [العاذر] أثرَ الجرح ، ولكنْ ليس هذا موضعَه . وذاك أن الذي يأتي من الهاجي ليس أثَرَ الجرح ، بل الجارح نفسه ، وهو الهجاء . وعلى ذلك ، إن العاذر في البيت اسم فاعل من [عَذَرَه – يَعْذِرُه] إذا رَفَعَ عنه اللوم . ويريد الشاعر : أنّ مَن يحقد عليّ لم يأته مني هجاء يكون عاذراً له في حقده عليّ . وكل الذي كان مني أنّ أمثالي تصيب وتعرق . فما ذَنْبي إذا كان الأمر كذلك ؟ .

٢٦ – وغيّرها جون رُكامٌ مُجَلْجِلٌ
أجشُّ خصيفُ اللون يخبو ويَبْرُقُ
٢٧ – بلالي وميضٌ مستطيرٌ يَشُبُّهُ
كما جال في دُهْمٍ من الخيل أبْلَقُ

---

(٤) ذكر – رحمه الله – أن ما أخذ به المحقّق غير ممتنع . قلت : وإننا لنسلّم بأنه غير ممتنع ، ولكنْ بين ما لا يمتنع وبين إظهار إرادة الشاعر فَرْق .

٢٨ - تَنوءُ بأَحمالٍ ثِقالٍ ، وكلُّها

- وقد غرقتْ بالماء - ريّانُ مُتْأَقُ

لقد أوردتُ الأبيات الثلاثة معاً ، لترابطها ، وأمّا همّي فالبيت الأخير . وهو قول الشاعر : [تنوء بأحمال ..../٢٨] ، فقد أَوْرد فيه المحقّق فِعْلَ [تَنُوء] بالتاء ، وهو على هذه الرواية ، لا مرجع لضميره المؤنث ، لا مفرداً ولا جمعاً .

والوجه التذكير : [ينوء] بالياء ، ويهدي إلى ما نذهب إليه قولُ الشاعر :

٢٩ - كأنّ مصابيحاً غذا الزيتُ فُتْلَها

ذُبالاً به باتت إذا الْتَجَّ تَذْلَقُ

فالضمير في قوله : [ذبالاً به] ، إنما يعود إلى [الجون] ، إذ الأصل في نظم التركيب : [كأنّ مصابيحَ به غذا ...] .

كما يهدي إليه قولُه في البيت/٣٠ : [كأنّ خلايا فيه] ، أي : في الجَوْن .

٣٠ - كأنّ خلايا فيه ضلّتْ رِباعُها

ولَجَّةُ حُجّاجٍ وغابٌ يُحَرَّقُ

فأما شارح الديوان - في المتن - فقد شرح كلمة [خلايا] فقال : [خليّة النحل ، تجمع على خلايا] .

وأما الأستاذ المحقّق فقد صرف وجهه عن هذا الشرح ، فلم يقف عنده ، ولا علّق عليه . بل تخطّاه فقال : [خلايا : جمع خليّة ، وهي الناقة المُطْلَقَة من العِقال . الرباع جمع ربع - كمضر - وهو الفصيل ينتج في الربيع وهو أوّل النتاج] اهـ .

قلت : هذا الذي قاله الدكتور المحقّق يُرى في المعاجم ، ولكنّه غير مقصود هنا ، وأبيّن لك الأسباب :

أولاً : لقد ضبط الدكتور المحقّق كلمة [رباعها] بضمّ العين ، كأنها فاعل [ضلّت] . وكأن الشاعر أراد إلى أن الرباع ضاعت ، فحنّت أمّهاتها ، فهمهمة الرعد في السحاب ، كحنين النوق المولّهة ، إذ تنزع إلى أولادها .

وهو معنى جيّد ، قد طالما تعاوره الشعراء ، ومنه قول الشاعر :

فما وَجَدَتْ كَوَجْدِي أُمُّ سَقْبٍ أَضَلَّتْهُ فَرَجَّعَتِ الحَنِينَا

غير أن الأستاذ المحقّق ، إذ ضبط كلمة [رباعها] بالضمّ ، قد أضاع سَمْتَ الشاعر ، وفَصم عُرى الصلة العاطفية بين النوق وضلالِها أولادَها ، وترك التعبيرَ مجوَّفاً مَنْخوباً .

هذا ، على أنّ تأمُّل العبارتين التاليتين ، قد يوضح ما جلبته هذه الضمة من آثار ، وذلك أن البون شاسع .

بين قولك : [الناقةُ ضاع ولدُها] وقولك : [الناقةُ أضاعَتْ ولدَها] فالعبارة الأولى ليس فيها إلا أن ولد الناقة ضاع ، على حين ترى في العبارة الثانية أُمّاً أضاعت ولداً . فكم بين أن يَضِيع وَلَدٌ ، وبين أن تُضِيعَه أُمُّه من البون ؟! ولو أن الأستاذ المحقّق ضبط [رباعها] بالفتح ، على أنها مفعول به لِـ[ضَلَّت] ، لظلّت الصلة قائمةً بين النُّوق وبين ما أضلّته من الأولاد ، فرأيتَ أمهاتٍ فَقَدْنَ فَتَوَلَّهْنَ فَحَنَنَّ .

وكان للمحقّق سبيل ثالثة : أن يهمل ضبط الكلمة – كما أهمل ضبطَها من قبله أحمد نسيم – فيترك للقارئ أن تدلّه ثقافته ، ويرشده إحساسه ؛ ولكنه لم يفعل .

ثانياً : إن الذي نراه : أن المعنى هو ما ذهب إليه شارح الديوان في المتن ، من أن الخلايا هي خلايا النحل ، تَضِلُّ رباعَها [أي الأماكن التي تعسّل فيها] . وقد يكون ذلك في كُوّارات ، أو في صخور الجبال ؛ فتطير آلافاً : مجتمعةً متلاحقةً ، وتَحُطُّ آلافاً مجتمعةً متلاحقةً ، فَتَسْمع لها دويّاً وهديراً ، لا يشبهه شيء ، كما تشبهه همهمة الرعد ، ولقد كان من النِّعَم التي لا تُنسى أنْ رأينا ذلك مصادفةً وسمعناه ، ويا له من منظر !! ويا له من صوت !! .

هذا ، ومع أن تشبيه همهمة الرعد بحنين النوق ، أو العكس ، واردٌ مِن حيثُ المبدأ – كما يقال اليوم – فإن الشاعر إنما يجلو إرادته بصُوَرِه ، ويُفْصِح عنها بألفاظه ، والنابغة الشيباني لم يترك في هذا البيت لمتقوّل أن يتقوّل . فقد جلا إرادته وأفصح عنها ، إذ حرص على تقريب تلك الأصوات إلى الآذان والأذهان ، فقال : [ولَجّةُ حُجّاجٍ وغابٌ يُحَرَّق](٥) .

وذاك أن أصوات لجّة الحجاج والغاب الذي يحرّق عظيمةُ الشَبَه بأصوات خلايا النحل وقد ضلّت كوّاراتِها ، لا حنين الناقة الملتاعة الذي قد يبلغ من الرقّة والشجو أن يقول فيه الشاعر القديم :

يُعارِضْنَ مِلواحاً كأنّ حَنينَها قُبَيْلَ انْفِتاقِ الصُبْحِ تَرْجيعُ زامِرِ

٣١ – تَمَرَّضُ تُمريه الجَنوبُ مع الصَّبا تَهامٍ يمانٍ أنجدٌ وهْو مُعرِقُ

نبّه شارح الديوان في المتن ، على ما في البيت من الإخلال فقال :

(٥) رجّح – رحمه الله – أن يكون ضبط العجز : [ولجةَ حجّاجٍ وغابٍ يحرّق] ، مِن عطف [لجة] على خلايا ، وعطفِ [غاب] على حُجاج . وإنها لملاحظة يحوطها السداد ، وقد كنت عنها غافلاً حتى نبهني عليها .

[فيه زحاف] . وأما الدكتور المحقّق فقال ما نصه : [تهام يمان أنجد أو منجد : نسبة إلى الأقاليم الثلاثة المعروفة : تهامة واليمن ونجد . قول الشارح : « وهو معرق : فيه زحاف » غير صحيح] اهـ .

وفي شرح الأستاذ المحقّق ، وضبْطِه مفردات البيت أمور ، منها :

أ ـ ضَبَطَ كلمةَ [أنجد] بالتنوين : [أنجدٌ] فجعلها اسماً مصروفاً . لكن هذه الكلمة ، لم تجئْ اسماً في حدود ما بين أيدي الناس اليوم من المعاجم ، وإنما هي فعلٌ ماض : [أَنْجَدَ] إذا ارتفع أو أخذ في بلاد نجد .

ب ـ قال الأستاذ المحقّق : [أنجد أو منجد : نسبة إلى ....] فجعل الكلمتين بمعنى واحد ، فسوّى بين الفعل والاسم ، ظاناً أن [أنجد] اسم ، وليس الأمر كذلك . .

جـ ـ أنكر الأستاذ المحقق على شارح الديوان أن يرى في البيت زحافاً ، فنَسَبَ قولَه إلى عدم الصحة ، فقال : [قول الشارح : « وهو معرق فيه زحاف » ، غير صحيح] .

قلت : طبيعيّ أنّ مَنْ يجعلُ [أنجد] اسماً ، فيضبطه منوناً : [أنجدٌ] لا يرى في البيت زحافاً . لكنه لو قرأه [أَنْجَدَ] لرأى زحافاً منكراً ، جعل فيه الشاعرُ [فَعُوْلُنْ = فَعِلُنْ] .

كلّ هذا ، مع أن الشارح لم يُرِد إلى أن يقول : [وهو معرق فيه زحاف] كما وَهِمَ الأستاذ المحقّق ، وإنما فسّر بعض مفردات البيت ، حتى إذا تمّ له ذلك ، استأنف القول فقال : [فيه زحاف] . وقد عنى أن في البيت زحافاً منكراً ، لا يليق عدم التنبيه عليه ، وفيه ما فيه مِن النُّكْر . هذا ما عناه الشارح ، ولم يعن أنّ : [وهو معرق] فيه زحاف(٦) !! فالذي قاله

(٦) وقف رحمه الله ـ عند كلمة [زحاف] ، ورغب في أن أنبّه على أن هذا =

الشارح في المتن إذاً ، صحيح لا يعاب . وفضلاً على ذلك ، هاهنا مسألة ، هي أن الرواية عند أحمد نسيم هي : [فيه زحاف] وهذا يعني أنه يقبل استعمال [أزحف – يزحف] . وكان على الأستاذ المحقّق أن ينبّه هنا على أن ذلك سهو من الأستاذ نسيم ، أو أنه وارد في إحدى مخطوطات الديوان الخمس ... ولكنه لم يفعل ؛ وذلك تفريط .

٣٥ – وأضحتْ جبال البُحتريين كلُّها — وما قَطَنٌ منها بناجٍ – تُغَرَّقُ

وَصَف الشاعرُ قبل هذا البيت ، هطلان المطر ؛ الذي أتى به ذاك السحاب الجون المتراكم ، وكيف سحّ وسال وسقى ... وغرّق جبال البحتريين .

وقد شرح الأستاذ المحقّق مِن هذا البيت كلّه كلمةَ [قطن] . فقال : [القطن : القاطن المقيم] .

ولكنه لم يذكر ما يؤول إليه معنى البيت ، إذا كان القطن فيه هو القاطن . ونرى مِن حقّ النابغة الشيباني أن نقول : البحتريون – بنو بحتر – طائيّون . كانت اليمن منازلَهم . لكنّهم نزحوا عن اليمن فجاوروا بني أسد ، وغلبوهم على جَبَلَيْهم : [أجأ وسلمى] ، فاستقرّوا فيهما ، وورثوا منازل بني تميم بأرض نجد ، ومنازلَ غطفان مما يلي وادي القرى . فإذا قال الشاعر : [جبال البحتريين] فلأنّ البحتريين طائيون . وإنما يعني بجبالهم الجبالَ التي كانت لبني أسد ، ثم غلبتهم طيئٌ عليها .

وأمّا [قطَن] في البيت ، فليس هو القاطن المقيم ، وإنما هو جبل

= المصطلح العروضي ، قد اختلف مؤدّاه في حقبة من الزمن بعد حقبة . وعلى ذلك ، فإن شارح البيت في المتن قد استعمل كلمة الزحاف هنا بمعنى انكسار الوزن لا بمعنى التغيير ، الذي يعتري ثواني الأسباب خفيفةً أو ثقيلةً .

لبني أسـد . ففي معجم ما استعجم ١٠٨٣/٣ : [قطن : بفتح أوّله وثانيه .... وقال أبو حنيفة : قطن جبل بنجد في بلاد بني أسد ، على يمينك إذا فارقت الحجاز وأنت صادر عن النقرة] . وفي معجم البلدان لياقوت ٣٧٤/٤ : [وقَطَنٌ : جبل لبني أسد في قول امرئ القيس يصف سحاباً :

أصاحِ ترى برقاً أريك وميضه كلمع اليدين في حبيّ مكلّلِ

ثم يقول بعد أبيات :

على قَطَنٍ بالشَّيْم أيمَنُ صوْبه وأيْسَرُه على الستار فيذبُلِ

.... وقال بعض الأعراب :

سلّمْ على قَطَنٍ إن كنت نازلَه سلام من كان يهوى مَرّةً قَطَنا]

ويقول ياقوت : [وقال الواقدي : قطن ماء ، ويقال جبل من أرض بني أسد بناحية فيد ، وغزوة قطن قتل بها مسعود بن عروة ، وأمير جيش رسول الله ﷺ أبو سلمة بن عبد الأسد] .

فـ [قَطَن] إذاً في البيت ، ليس القاطنَ المقيم ، كما وهم الأستاذ المحقّق ، وإنّما هو جبل بنجد . والعجب أن الأستاذ المحقّق لم يتنبّه لمرجع الضمير في قول الشاعر وهو يذكر تلك الجبال : [وما قطن منها] .

٣٧ ـ فأقلعَ ـ إذ خفّ الرَبابُ فلم يَقُمْ ـ رُكامٌ تُزَجّيه الشَمالُ وتَسْحَقُ

ضبَط الأستاذ المحقّق كلمة [يقم] بضمّ القاف ، فهو عنده إذاً من [قام ـ يقوم] ، ولا معنى له في البيت ، إذ لا قيامَ هنا ولا قعود ، وإنما هو مضارع مجزوم ، من الرباعي : [أقام ـ يُقيم] ، ثم بالجزم : [فلم يُقِمْ] ، بضم الياء وكسر القاف .

٤٥ – ترى حِزَقَ الثيران يحمينَ حائلاً فكلٌّ له لَذْنٌ سلاحٌ مُذَلَّقُ

قال الدكتور المحقّق في شرحه : [الحائل : الأنثى التي لا تحمل] . فنفى عنها أن تحمل ، وكان الصواب أن يقول : [التي لم تحمل] ، إذ الحائل – وإن لم تحمل – خليقةٌ أن تحمل . ومن هنا كانت إضافةُ الثيران بها ، وحمايتُها لها . ولو كانت لا تحمل ، على معنى عُقْم رحمها ، لم تُطِف بها الثيران ولم تَحْمِها .

٤٩ – وكلُّ مِسَحٌّ أخدريٌّ مُكَدَّمٍ له عانةٌ فيها يظلّ ويَشْهَقُ
٥٠ – بأكفالها من ذَبِّهِ بشباته خدودٌ وما يلقى أَمَرُّ وأَعْلَقُ

يصف الشاعر حمار وحش يحدو أتنه ، وذاك في تاريخ الشعر العربي كثير كثير ، لا تكاد تفتقده عند شاعر ، فصورة الحمار يعضّ أكفال الأتن ، وصورتها وهي ترمحه وتعدو أمامه ، تمتلئ بهما دواوين الشعراء . غير أن الجديد هو أن يكون لحمار الوحش قرن يطعن به أكفال إناثه . وهو ما ذهب إليه الأستاذ المحقّق في شرحه ، إذ قال : [الشباة : حدّ كل شيء والمراد بها هنا حدّ قرنه] . فجعل للحمار قرناً على الحقيقة ، كما ترى .

ولقد أوردت البيتين ٤٩ – ٥٠ معاً لكيلا يذهب بك الظن إلى أن الأستاذ المحقّق إنما أراد ثوراً ذا قرن حادّ . ولترى بنفسك ، أن ذلك راجع إلى [المسحّ الأخدريّ المكدّم] الذي له عانة فيها يظل ويشهق ، والذي من ذبّه بشباته خدود بأكفالها ، والذي يلقى من رمحها ما هو أمرّ وأعلق . ثم لتقرن كلّ ذلك بقول الأستاذ المحقّق : [شهيق الحمار : آخر صوته وهو ينهق] .

وأقول : لقد كان على المحقّق أن يقف عند هذا البيت ، فيعرض رواياته في المخطوطات الخمس التي ذكر أنها بين يديه ، ثم يختار منها – إذا

اختلفت – ما يليق بمعنى البيت ، وأن يذكر – إذا هي اتّفقت – أنه لم يهتد في النص إلى رأي يرضاه . وفي كل حال ، كان عليه أن يقف عند هذه الناجمة ولا يتخطّاها(٧) .

٥٣ – فمنهنَّ نُؤْيٌ خـاشعٌ ومُشَعَّثٌ وسُـفْعٌ ثلاثٌ قد بلينَ وأَوْرَقُ

قال الدكتور المحقق : [النؤي : حفير أو حاجز من تراب أو رمل يضرب حول الخيمة] .

قلت : إنما تُضرب الخيامُ ، وأما ضَرْب النؤي فلم يُسمَع . يقال : النؤي حفرة حول الخيمة ، والنؤي يُعْمَل ويُسوّى حول الخيمة ، والنؤي يكون حول الخيمة الخ ... وأما ضَرْب النؤي حول الخيمة فمرتجل ، لم يقله مِن قبلُ أحد في حدود علمنا .

٥٨ – كأن مُلاءَ المَحْضِ فوق متونها ترى الأُكْمَ منه ترتدي وتُنَطَّقُ(٨)

يصف الشـاعر في أربعـة أبيـات صحراءَ قطعهـا . والبيت/٥٨ آخرها . والدكتور المحقّق يشرح من هذا البيت كلمةَ [المحض] فيقول : [المحض ما تحلّب من العرق] .

ولو أخذنا بهذا الشرح لكان معنى البيت : كأنّ العرق المتحلّب من

---

(٧) لقد مال الأستاذ – رحمه الله – إلى أن الشاعر ، قد يكون أراد موضع القرن [الشبـاة] من رأس الحمـار . قلت : هذا التخريج – الذي لا يمكن أن يمرّبه المرء إلا معجَباً – مبني على أن أثر عض الحمار أكفالَ الأتن ، يشبه أثر الطعن بقرن الثور ؛ وهو تخريج يُميط الغموضَ عن البيت ، وإن ظلّ في النفس منه شيء . وسواء أقبلته النفس أم لم تقبله ، لقد كان على المحقّق أن يقف هاهنا وقفة المعالج المتدبّر ، وألاّ يجعل للحمار – مهما بدر الأمر – قرناً يطعن به على الحقيقة .

(٨) رجّح الأستـاذ – رحمه الله – أن يكون فِعْل [تُنَطَّقُ] مبنياً للمعلوم . أي [تَنَطَّقُ] .

الحيـوانات في تلك البوادي ، ملاءةٌ تغطّي الآكام ، فيكون لها منـه أرديةٌ ونُطُق !! هذا إذا لم نـأخذ بما جاء في القـاموس الميحط – مادة نطق – وفيه : [ونَطَّق الماءُ الأكمةَ وغيرها : بلغ نصفها] ، ولو أخذنا به لكان المعنى : أن العرق غطّى الآكام مرةً ، وبلغ نصفها مرةً أخرى !! .

وإنما أُتِيَ الدكتور المحقّق من المَيل إلى الدَعَة ، فآثر النقل عن أحمد نسيم ، على الجد في طلب معنى الكمة . ولقد بحثت في عشرة من المراجع الأمّهـات عن أن المحض هو ما تحلّب من العرق ، فلم أجد ذلك . منها اللسان والقاموس والصحاح والمجمل والمقاييس والتاج ... فما أدري من أين نقل الأستاذ المحقّق هذا المعنى .

هذا ، على أن المحض من معانيه [القَتّ] وهو نبات عشبيّ كلئيّ ترعاه السائمة . والعرب تقول : أمحض فلان دابّته ، إذا علفها المحض . ولو أخذ المرء بهذا المعنى من معاني الكلمة ، ووَجَّه البيتَ في ظلّه ، لخلص إلى معنى ارتداء الآكام أثواباً منه ، وتَنَطُّقِها به نُطُقاً . ولكان لَمَحَ ما رمز إليه الشاعر من أنه رجل مشيّع ، مِن شمائله قطع مهامه تنأى عن أن تسومها ماشية أو ترعاها ، فتظل مكتسيةً أثوابَ هذا النبات ونُطُقَه(٩) .

---

(٩) لقـد شـغـلت كلمةُ [المحض] في البيت بال الأستـاذ – رحمه الله – أياماً وأسابيع ، ولولا شيء من التحرّز والتورّع ، لقلت شهوراً . فكان يهتف إلي مرة بعد مرة يذاكرني فيما اهتدى إليه من معانيها ودلالاتها ، في الصور الشعرية ، وتراكيبها ، ثم في توجيه معنى البيت في هدي ذلك . ولكنه ظلّ دوماً يرجّح أن الشاعر أراد في البيت معنى اكتساء الآكام أردية السراب . وأيّد ذلك عنده أن النابغة الشيباني قد ألحّ على هذه الصورة الشعرية مرات في شعره . وكنت أقول له : إن دون الأخذ بهذا الوجه عقبةً ، هي أن كتب اللغة لا تذكر أن [المحض] من معانيه السراب ، وأن تردّد اكتسـاء الآكام أردية السراب في ديوان شاعرنا لا يكفي لقيام حجة قاطعة على صحة هذا التوجيه ، إذ ليست هذه الصورة الشعرية مقصورة عليه ، بل هي منتشرة متفشية في الشعر القديم قصائد وأراجيز .

٦٩ – وخَطْمٌ كَسَتْه واضحاً من لُغامِها ❊ نَفَاه من اللَّحْيَيْن دَرْدٌ وأَرْوَقُ

يقول الشاعر ذلك في وصف ناقته . وقد وقف الدكتور المحقّق عند كلمة [دَرْد] فقال : [الدّرد : الذي سقطت أسنانه أو تحاتّت من الكبر فلحقت بمغارزها] . قلت : إن كتب اللغة لا تذكر كلمة [الدَرْد] بتسكين الراء . وإنّما تذكر أنّ الرجل يوصف بـ [الدَّرَد] بفتح الحرف الثاني ، فيقال : [أَدْرَد بَيِّنُ الدَّرَد] ويجمع على [دُرْد] ، والأنثى [دَرْداء][(١٠)] .

٧٤ – مناسمُ رجليها إذا ما تقاذفتْ ❊ يَدَاها وحُثَّتْ بالدوائر تَلْحَقُ

شرح الأستاذ المحقّق معنى [الدوائر] فقال ما نصّه : [الدوائر : واحدتها الدائرة ، وهي في الخيل ثماني عشرة دائرة ، منها دائرة القالع تكون تحت اللبد ، ودائرة اللطاة تكون في وسط الجبهة ، ودائرة الناخس تكون تحت الدبرين إلى نقرتي الورك ، ودائرة الهقعة تكون في عرض الزور ، ودائرة أخرى تكون تحت الأنف] اهـ .

قلت : هذا عمل المعجميّ ، فأين عمل المحقّق ؟ ولقد كنّا نقنع بأن يختار من هذه المعاني كلّها معنى واحداً يناسب ما في البيت ، ويوضح قصْدَ الشاعر ، والصورةَ التي أراد إليها . ولكن الأستاذ المحقّق لم يفعل .

وأرى أن الدوائر في البيت جمع دائرة ؛ والدائرة ما أحاط بالشيء ، ودائرة الحافر ما أحاط به . وعلى ذلك يكون المعنى : إذا حُثّت هذه الناقة

---

(١٠) علّق – رحمه الله – على تسكين الراء ، فقدّر أن الشاعر قد يكون بنى الوصف من [دَرِدَ] على [دَرِدٍ] ثم سكّن الراء فقال : [درْد] ، وتسكين عين الكلمة في قبيلة ربيعة كثير . قلت : مهما يدر الأمر ، فقد كان على الأستاذ المحقّق أن يعلّق على المسألة أو يبدي فيها رأياً ، أو يعتذر بأنه لم يهتد فيها إلى وجه .

فأسرعت ، لحقت مناسمُ رجليها بدوائر يديها ، وذلك أشدّ ما يكون من سرعتها .

هذا ، على أن الدوائر وإن كانت للخيل في الأصل ، فإن مثل ذلك في الشعر يُستعار . قال علقمة الفحل يصف عَدْوَ الظليم :

يكـاد منسمُـه يَخْتَـلُ مقـلتَـه كأنـه حـاذِرٌ للنَّخس مَشْـهـومُ

ومعروفٌ أن ذكرَ النعام [الظليم] له ظلف ، وإنما المنسم للبعير . ولكنه استعاره له . ومثل ذلك في الشعر كثير[١١] .

وبعد ، فقد بلغت القصيدة اثنين وثمانين بيتاً ، فيها ما قصّر عن أن يكون جميلاً ، وفيها ما لحِق ، وأما ما يروع ، فالأبيات الخمسة التي ختم بها الشاعر قصيدته . ويصف فيها منزلاً نزله ليرتاح ويريح ناقته . وما أظن كثيراً من الشعراء المجيدين يبلغون ما بلغه شاعرنا فيها[١٢] . وإن مّما يؤلم أن هذه الأبيـات الخمســة قد أسـاء الشرح والرواية إلى أربعة منها أيَّ إسـاءة !! وإليكها[١٣] وما أساء إليها لترى ذلك بنفسك :

٧٨ – إذا حُلّ عنهـا كُورُهـا خَرَّ عنده طَليحـان مجْتَرٌّ وأشْعَثُ مُطرِقُ

(١١) رجّح – رحمه الله – أن تكون الكلمة مصحّفة ، وأن صوابها [الدوابر] ، جمعاً لـ [دابرة] ، وهي مؤخّر الحافر .

(١٢) علّق – رحمه الله – على قولي هذا فقال : بل هناك كثيرون منهم بلغوا ذلك وتجاوزوه .

(١٣) عاب قولي [إليكهـا] بمعنى [دونكها] ، فقال إن بعض نحاة العصر قد استحدثوا هذا الاستعمال . فقلت : بل أُراه استعمالاً قديماً . ثم لقيت الأستاذ النجار بعد أيام فرجوته أن ينقل إليه ، أن هذا الاستعمال ورد في قصيدة رائية للشاعر ابن منير الطرابلسي المتوفى سنة/٥٤٨هـ . يقول فيها مفتخراً بنظمها :

وإليـكـهـا بـدويـة رقّت لرقتهـا الحضرْ
شـاميّـة لو شـامهـا قسّ الفصـاحة لافتخرْ

٧٩ – وماءٍ كأنّ الزيتَ فوق جمامه متى ما يَذُقْهُ فُرَّطُ القوم يَسْبِقُ

يريد الشاعر أنّ ما وجده من الماء في طريقه ، كان في بئر عميقة ، فهو راكد ، كأنّ الزيت يعلوه . فإذا شرب منه المسافرون مرضوا أو كادوا ، لما فيه من سوء الطعم والرائحة .

هذا ما نرى أن الشاعر أراد إليه ؛ وأما الدكتور المحقّق فكان له في معاني المفردات ودلالاتها آراء أخرى ، أوردُها لك ، مع التعليق عليها فيما يلي :

أولاً : قال : [يسبق : كذا في (الأصل) أي يتقدم ، وهو الأصح عندنا ، وفي (ش) : يسق ، ومعناه يطول ويتمّ طوله ، وهو تحريف مع صحة المعنى ، وفي (م) : يسنق ، ومعناه يبشم ويتخم ، وهو تحريف مع صحة المعنى] اهـ .

قلت : كيف يصح المعنى وهو مرةً سَبْقٌ ، ومرةً طُولٌ ، ومرةً تُخمة ؟! بل كل ذلك غير صحيح ؛ وسأبيّن لك ذلك بعد قليل .

ثانياً : قال : [الفُرَّط : المتقدم من القوم إلى الورود] .

قلت : قول الأستاذ المحقّق مبتدَع مرتجل . فالفُرَّط ليس مفرداً . بل هو جمعُ [فارط] وهو المتقدم . إذ وزْنُ [فُعَّل] جمعٌ لصفةٍ صحيحةِ اللام وزْنُها فاعِل أو فاعِلة . فهو : لراكعٍ : رُكَّع ، ولصائم : صوّم ، ولنائم : نوّم ، ولفارط : فُرَّط .

والعجيب أن الأستاذ المحقّق لم ينتبه لـ[متى] وعملِها الجزمَ في [يذقْه] ، فأورد فِعلَ [يسبقُ] مرفوعاً ، وكان حقّه الجزم . وأورده مفرداً ، لإعراضه عن معنى الجمع في [فرّط] ، وكان حقّه الجمع .

ثم إن الأستاذ المحقّق لم يقل للقارئ ما معنى : [متى يذقْه المتقدمُ يسبقُ] . والذي نراه أن في [يسبق] تصحيفاً وتحريفاً . والصواب : [يسنِقُوا] بالنون لا بالباء ، وبالجمع لا بالإفراد . وإليك البيان :

أ - هو للجمع ، لأن الضمير فيه يرجع إلى [فرّط] ، وهو جمع [فارط] .

ب - هو مجزوم بأنه جواب الشرط : [متى ما يذقه .... يسنقوا] .

جـ - هو من مادة [سنِق - يسنَق] إذا بشم . يقال : [أسْنَقَه - يُسْنِقه] ، بمعنى : داناه من المرض . والشاعر إنما أراد أن الفرّط من القوم ، إذا سبقوا إليه فذاقوه ليعرفوا أصالحٌ هو للشرب أم لا ؟ أصابهم من مذاقهم له ، ما يكاد يمرضهم . ففي « البارع » للقالي/٤٧٧ ما نصّه : [وقال الخليل : تقول سَنِقَ الحمار وكلُّ دابّة ، سَنَقاً ، إذا أكل من الرطب حتى كاد يصيبه كالبشم] ، ثم شرع يفصّل فقال : [والفصيل إذا أكثر من اللبن حتى **يكاد يمرض** ، تقول سنق][١٤] اهـ .

٨٠ - فَوَصَّلْتُ أرماثاً قِصاراً وبعضها
ضَعِيفُ القُوى بِمحْمَلِ السيفِ موْثَقُ

كأنّ الشاعر يريد هنا أن يقول : الحاجة أمّ الاختراع ، فلقد وَجد الماءَ بعيداً تناوله ، فعمد إلى ما وجد في رَحْله من قِطَعِ حِبال [أرماث] فوصّلها ليجعل منها حبْلاً . فلمّا تبيّن له أنها قصّرت عن أن تبلغ الماء ، عمد إلى حمائل سيفه فوصّلها بها ، فتمّ له ما أراد .

(١٤) ذكر - رحمه الله - أن الأرجح عنده أن تكون الرواية : [متى ما يذقه فرّط القوم يصقوا] .

ولقد ذكّرني هذا ما كنت قرأته يوماً في رحلة ابن بطّوطة ، فقد اشتدّ به الظمأ وهو مسافر ، وأفضى به سَيْره إلى بئر ، ولم يجد ما يستقي به منها ؛ قال : [فربطت خرقة كانت على رأسي بالحبل وامتصصت ما تعلّق بها من الماء ...] .

فانصر – بعد الذي بينته لك – إلى ما قاله الدكتور المحقّق في شرح [الأرماث] قال : [الأرماث : جمع رمث – بفتح الميم – وهو خشب يضّم بعضه إلى بعض ويركب في البحر] .

قلت : أيّ بحر هذا ؟! إنما الأرماث في البيت ، جمع الرِّمث ، وهو الحبْلُ الخَلَق .

٨١ – إلى سُـفْـرَةٍ ، أمّـا عُراها فَرَثَّةٌ   ضعافٌ ، وأما بَطْنُها فَمُخَرَّق

يريد الشـاعر أن يقول : فلمّا تمّ لي ما أردت من إعداد الحبل ، وصلْتُه إلى سُفْرة (بضم السين – لا بفتحها – وهي وعاء طعام السفر) قد رثّ أديمها لطول العهد بها ، وكثرة استعمالي لها في أسفاري . فهي بالية الأطراف ، مخرّقة الوسط ، لا تكاد تمسك من الماء إلا وَشَلا . فجعلتُها بمنزلة الدلو ؛ وعلى هذا فإن الجار والمجرور : [إلى سُفرة] متعلّقان بـ[وصّلت] في البيت السابق/٨٠ ؛ قال ثعلب في شرح ديوان زهير/٢٦٠ : [إذا لم يكن لهم دلوٌ ، استقَوا بالسُّفرة التي يأكلون عليها] .

وفي اللسان : [والسُّفرة بالضم طعامُ يتّخذ للمسافر ، وبه سمّيت سُفرة الجلد] . ثم قال : [السُّفرة : طعامٌ يتّخذه المسافر ، وأكثر ما يُحمل ، في جلد مستدير ، فنُقل اسمُ الطعام إليه وسمّي به] .

أمّا الآن ، فانظر إلى شرح المحقّق . قال : [السَّفرة : الناقة التي تعوّدت على « كذا » الأسفار] .

قلت : أيّ ناقة هذه ؟! فالبيت لا علاقة له بالناقة من قريب ولا من بعيد . وإنما هو وصفٌ لما استقى به الشاعر ، فجعله بمنزلة الدلو ، وهو وعاء طعام السفر ، ليس غير .

وهاهنا – في كل حال – مسائل :

الأولى : لفظية : وهي أن [السَّفرة] بفتح السين خطأ ، والصواب الضمّ : [السُّفرة] .

والثانية : معنوية : وهي أن [السفرة] مهما يكن ضبطها ، ليس لها معنى الناقة التي تُركَب في السفر . إذ الناقة : [مِسْفَرة ، ومِسْفار] . ففي اللسان : [وبعير مِسْفَر : قويّ على السفر ؛ وأنشد ابن الأعرابي للنمر بن تولب :

أَجَزْتُ إليكَ سُهوبَ الفلاةِ ورَحْلِي على جَمَلٍ مِسْفَرِ

وناقة مِسْفَرة ومِسْفار كذلك] اهـ .

ثم هَبْنا قبلنا جَدَلاً ما ذهب إليه المحقّق ، من أن السفرة هي الناقة ، فكيف يُخرِّج للقارئ قولَ الشاعر في وَصْفِها : [... أما عراها فرثّة ضعاف ، وأمّا بطنها فمخرق] ؟ .

والثالثة : نحوية : وقد أنشأها شرحُ الأستاذ المحقّق لمفردات البيتين [٨٠ و ٨١] . وحصيلتُها أن الأرماث عنده خشبٌ يُضم بعضُه إلى بعض فيُركَب في البحر ، والسفرة ناقةٌ ، وَصَفَها الشاعر بأنها مخرّقة البطن . فالمعنى إذاً هو : وصّلت خشباً إلى ناقة مخرّقة . وإذ قد كان هذا التوصيل مستحيلاً عقلاً ، فقد غَدَا تعليق الجار والمجرور : [إلى سفرة] بغير متعلّق ، وانفصمت بذلك العروة بين البيتين [٨٠ و ٨١] .

والرابعة : لغوية: وهي أن [تعوّد] إنما يتعدّى بنفسه ، ففي

الحديث : [تعوّدوا الخير فإن الخير عادة ...] . فقول الدكتور المحقّق في الشرح : [السفرة : الناقة التي تعوّدت على الأسفار] استعمال عاميّ لا أصل له . ثم إن البيت الآتي :

٨٢ - أَلُدُّ بِما آلتْ من الماءِ جَسْرَةً تَكادُ إذا لُدَّتْ من الجهدِ تَشْرَقُ

فيه ضمير هو فاعلُ [آلت] ، راجعٌ بالضرورة إلى تلك [السفرة] - إذ ليس له مرجع سواها . ولقد علمتَ أن الأستاذ المحقّق قال : السفرة ناقة . وهو بقوله هذا قد هدم معنى البيت ، لأنه يُؤوَّل - على حسب تخريج الأستاذ - إلى أن للشاعر ناقتين ، لا ناقة واحدة : ناقة تجلب الماء ، وأخرى تُسقى به . وذاك أن حَلَّ البيت - بناء على أن الناقة هي مرجع الضمير - يصبح كما ترى : [أسقي بما رجعتْ به الناقةُ من الماء ، ناقةً جسرةً تكاد تشرق] . وذلك غير مستقيم ، ونظم البيت لا يعين عليه .

أمّا حاقّ المعنى فأنّ الشاعر أراد : لقد سقيتُ ناقتي المجهدة العطشى ، ما أمسكتْه ورجعتْ به سُفْرتي - الباليةُ المخرقة - من الماء . وعلى أنه وَشَلٌ لا يُشْرق به في العادة ، لقد كادت تَشْرق به من جهدها ولهاثها .

ولقد تخطّى الأستاذ المحقّق كل ذلك - وهو كثيرٌ تَخَطّيه كما ترى - واكتفى بأن تابع أحمد نسيم ، فنقل عنه شرحه لمفردات البيت حرفاً حرفاً ، فقال : [ألدّ : أسقي ، مأخوذ من اللدود وهو ما سقيه الإنسان في أحد شقّي الفم] . ثم تابع النقل فقال : [آلت : حلت] . ولقد نظرت في قولهما : [آلت : حلت] فلم أتبيّن ما أرادا ، ولا رأيت له وجهاً اللهمّ إلا أن يكون أحمد نسيم قد أراد بـ [حلت] ما يراد بقولهم : [حلا منه بخير] ، إذا أصاب منه خيراً ، أو ظفر منه بنصيب ، ثم تابعه الأستاذ المحقّق ، مطمئناً إلى علمه ، وجزالة إيجازه .

وفي كل حال ، لقد أحسن الأستاذ المحقّق صنعاً إذ لم يستمرّ في الاستفادة من شروح أحمد نسيم ، فظلّ مستمسكاً بأن الشاعر يصف ناقة ، إذ قال : [آلت : حلت . الجسرة : الناقة الضخمة الطويلة والماضية] ، على حين رآها أحمد نسيم سفينة . إذ قال : [آلت : حلت . والجسرة : الماضية ، والمراد بها هنا السفينة]!! .

وبعد ، فلقد اجتزأتُ بالتعليق على ما أصاب ألفاظَ الشاعر ومعانيَها .... وأما ما تعهّد الأستاذ المحقّق به في الصفحة /٦/ ، من إجراء [المقابلات والمقارنات الدقيقة الوافية] بين المخطوطات الخمس التي قال إنها كانت عمدتَه في التحقيق ، فلم أُعرض له ؛ وذلك أن المحقّق لم يذكره ولا عرّج عليه .

ولم أتمكن كذلك من النظر فيما قال عنه في الصفحة /١٨/ إنه أخطاء [ارتكب الشنقيطي نفسُه جزءاً منها] !! وذلك أن الأستاذ المحقّق لم يعرض لها ولا ذكرها .

ومهما يدر الأمر ، فإن المرء يخطئ ويصيب ، فما كان مّما قلناه صواباً فقربان من قرابين الحقيقة ، وما كان منه خطأً فمِن عثرات مضمارها .

(آراء وأنباء)
ندوة معجم النفط

المنعقدة في دمشق (٩ – ١٢/١/١٩٩٤م)
والتي نظمها اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بالمشاركة مع مجمع اللغة العربية بدمشق
برعاية الدكتورة صالحة سنقر وزيرة التعليم العالي
التقرير والتوصيات

١ – التقرير :

جلسة الافتتاح :

افتتحت الندوة بجلسة عامة في الساعة العاشرة من يوم الأحد ٩ كانون الثاني ١٩٩٤ في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد بحضور الدكتورة صالحة سنقر وزيرة التعليم العالي وعدد من الوزراء والمسؤولين والسفراء العرب وثلة من العلماء والمثقفين ، وقد حضرها المشاركون في الندوة من الأقطار العربية ، ومن القطر العربي السوري وهم السادة :

أ – من جمهورية مصر العربية :

الأستاذ إبراهيم الترزي	الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة
الدكتور محمد يوسف حسن	عضو مجمع القاهرة ومقرر لجنة النفط فيه

الأستاذ عبد العاطي عطية	مدير إدارة التحرير بمجمع القاهرة وأمين (سكرتير) اتحاد المجامع العربية
الأستاذ أحمد حامد حسين	المدير المالي بمجمع القاهرة والمراقب المالي للاتحاد

ب – من الأردن :

الدكتور عادل جرّار	ممثل مجمع اللغة العربية الأردني

ج – من تونس :

الدكتور محمد الهادي بن إسماعيل	ممثل المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون

د – من الجمهورية العربية السورية :

الدكتور شاكر الفحام	رئيس مجمع اللغة العربية
الدكتور محمد إحسان النص	نائب رئيس مجمع اللغة العربية
الدكتور عدنان الخطيب	الأمين العام لمجمع اللغة العربية
الدكتور عبد الكريم اليافي	عضو مجمع اللغة العربية
الدكتور عبد الحليم سويدان	عضو مجمع اللغة العربية
الدكتور محمد بديع الكسم	عضو مجمع اللغة العربية
الدكتور مختار هاشم	عضو مجمع اللغة العربية
الدكتور محمد زهير البابا	عضو مجمع اللغة العربية
الدكتور عادل العوا	عضو مجمع اللغة العربية
الدكتور عبد الوهاب حومد	عضو مجمع اللغة العربية
الأستاذ جورج صدقني	عضو مجمع اللغة العربية

الدكتور ميخائيل معطي — الأستاذ بقسم الجيولوجية بجامعة دمشق

الأستاذ عوض جرجور — المستشار بالشركة السورية للنفط

....

افتتحت الجلسة بكلمة ألقاها رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق الدكتور شاكر الفحام رحب فيها بالضيوف المشاركين في الندوة ، ثم تحدث عن تاريخ المجامع العربية والمهمات التي نهضت بها منذ إنشائها ، وتحدث عن اللغة العربية وشأنها العظيم في حياة الأمة العربية ، وعن اتحاد المجامع العربية وما قام به منذ إنشائه ، وعن ندوة معجم النفط ، ونوّه بفضل رئيس الجمهورية العربية السورية القائد الأمين حافظ الأسد في رعاية اللغة العربية والعناية بها وتكريم العلماء والباحثين .

وألقى الأستاذ إبراهيم الترزي الأمين العام لمجمع اللغة العربية في القاهرة كلمة نقل فيها تحيات الدكتور إبراهيم مدكور رئيس اتحاد المجامع العربية ، والدكتور شوقي ضيف الأمين العام لاتحاد المجامع إلى المشاركين في الندوة ، ثم تحدث عن النفط وما ورد بشأنه في كتب التراث العربي ، وعن معجم النفط والجهود التي بذلت في إخراجه ، وعن ندوة معجم النفط والمهمة المنوطة بها ، وشكر الجمهورية العربية السورية على استضافتها للندوة كما شكر مجمع اللغة العربية بدمشق لتنظيمه هذه الندوة .

ثم ألقى ممثل المجمع التونسي للعلوم والفنون والآداب الدكتور محمد الهادي بن إسماعيل كلمة باسم الوفد التونسي والوفود المشاركة في الندوة شكر فيها مجمع اللغة العربية بدمشق على استضافته للندوة ، وتحدث فيها عن إنشاء المجمع التونسي ومهماته ، وعن أهمية التعريب والخطوات التي خطتها الجمهورية التونسية في هذا المجال .

وكانت كلمة الختام للدكتورة صالحة سنقر وزيرة التعليم العالي بالجمهورية العربية السورية ، فرحبت بالوفود المشاركة في الندوة ومن حضروا حفل الافتتاح ، وأثنت على جهد اتحاد المجامع العربية ومجمع اللغة العربية بدمشق في عقد هذه الندوة ، وأشادت برعاية رئيس الجمهورية حافظ الأسد للغة العربية والثقافة . وبنضاله الوطني ومواقفه القومية وحنكته السياسية .

وبعد انتهاء حفل الافتتاح اجتمعت الوفود المشاركة في الندوة في رحاب مجمع اللغة العربية لانتخاب رئيس الندوة ومقررها ولجنة الصياغة ، فانتخب الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق رئيساً للندوة ، والأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن مقرراً لها ، كما انتخب الدكتور محمد إحسان النص رئيساً للجنة الصياغة ، وألفت هذه اللجنة من السادة : الأستاذ إبراهيم الترزي والدكتور محمد يوسف حسن والدكتور عادل جرّار والدكتور محمد الهادي بن إسماعيل .

الجلسة الأولى : الأحد ١٩٩٤/١/٩ الساعة ٤,٣٠ مساء

عقد المشاركون في الندوة جلسة برئاسة الدكتور شاكر الفحام بمجمع اللغة العربية ألقى فيها الدكتور محمد يوسف حسن بحثاً حول منهجية وضع المصطلح النفطي تحدث فيه عن خصوصيات مصطلح النفط وأهمية النفط في اطار التقدم العلمي والتقني ، وعن المخزون النفطي في العالم اليوم واحتياطي المستقبل ، وعن علوم النفط .

ثم تحدث عن النهج الذي اتبعه مجمع القاهرة منذ نشأته في الثلاثينات في العناية بالعلوم المختلفة وتأليفه اللجان العلمية في مختلف المجالات ، ووجه الباحث العناية إلى أمرين : أولهما إقرار منهجية صالحة

لتعريب العلوم يُتفق عليها في جميع أرجاء الوطن العربي ، والثاني جمعُ مصطلحات العلوم من مختلف مظانها ونقلها إلى العربية . ولتحقيق الهدف الأول جرى مجمع اللغة العربية بالقاهرة على عقد المؤتمر السنوي الذي يُدعى إليه المجمعيون من مصر ومن مختلف البلاد العربية وكذلك المختصون بالتعريب . ولتحقيق الهدف الثاني اتجه مجمع اللغة العربية بالقاهرة إلى اصدار المعجمات المتخصصة في شتى المجالات .

ثم تحدث عن المعاجم التي أصدرها مجمع القاهرة وبدء التوجه إلى إصدار معجم النفط ، فألفت لجنة متخصصة لهذا الغرض يعاونها متخصصون علميون ولغويون من أعضاء المجمع ومن الخبراء من خارج المجمع ، وكانت حصيلة جهودها هذا المعجم الذي بين أيدينا ، وقد التزمت اللجنة بالقرارات التي اتخذها مجمع القاهرة بشأن منهجية وضع المصطلحات والتعريب ، وذكر الأستاذ الباحث أهم الأسس التي قامت عليها سياسة مؤتمر مجمع القاهرة في التعريب ووضع المصطلحات . ووضح مميزات معجم النفط الذي تقوم هذه الندوة بدراسته ، ومنها العناية بشرح المصطلحات النفطية ووضع كشاف هجائي بالعربية لألفاظ المعجم التي تناهز أربعة آلاف لفظ .

وختم كلمته بطلب آراء المشاركين في الندوة ومقترحاتهم حول هذا المعجم ليصار إلى دراستها ثم اصدار طبعة منقحة وافية من المعجم .

وبعد أن فرغ الأستاذ المحاضر من إلقاء بحثه عقب عليه بعض المشاركين في الندوة ثم ذكر المشاركون ملاحظاتهم العامة حول المعجم على أن يتم في الجلسات المقبلة دراسة المعجم دراسة مفصلة باستعراض صفحاته واحدة تلو الأخرى .

الجلسة الثانية الاثنين ١٩٩٤/١/١٠ صباحاً

الجلسة الثالثة الاثنين ١٩٩٤/١/١٠ مساءً

الجلسة الرابعة الثلاثاء ١٩٩٤/١/١١ صباحاً

درس المشاركون في الندوة في هذه الجلسات الثلاث معجم النفط صفحة بعد صفحة وأوردوا ما لديهم من ملاحظات حول بعض الألفاظ الواردة فيه وقام الدكتور محمد يوسف حسن بالتعليق على هذه الملاحظات ، وقد تمت في هذه الجلسات الثلاث دراسة ما يقارب نصف المعجم ، وتم الاتفاق على أن ترسل سائر الملاحظات إلى مجمع القاهرة للنظر فيها وإقرار ما يراه ملائماً منها . وقد زوّد الدكتور محمد يوسف حسن بورقة بحث حول ألفاظ المعجم من قبل ممثل المجمع الأردني وبورقة مماثلة قدمتها لجنة معجم النفط السورية المشاركة في الندوة .

٢ ـ التوصيات :

أقرّ المشاركون في ندوة معجم النفط في اختتام جلساتهم التوصيات الآتية :

١ ـ أن يصدر معجم النفط ثلاثي اللغة (بالعربية والانكليزية والفرنسية) ، مع شرح للمصطلحات باللغة العربية ، وأن تطبق هذه التوصية على سائر المعاجم العلمية التي تصدر فيما بعد .

٢ ـ أن يستفاد مما ورد في كتب التراث من مصطلحات على ألا يتعارض هذا مع القواعد والكشوف العلمية الحديثة .

٣ ـ أن تضبط ألفاظ المعجم العربية بالشكل دفعاً لكل لبس .

٤ ـ أن تخزن مواد المعجم في الحاسوب (الحاسب) ، ثم تدخل

التعديلات التي يتم التوصل إليها ، تمهيداً لاستخراج نسخة معدلة تكون أساساً لطباعة المعجم النهائية . وقد تقدم ممثل مجمع اللغة العربية الأردني بعرض لتزويد اتحاد المجامع بنسخة معدلة في صورتها النهائية بعد أن ترد فيها التعديلات التي تم إقرارها .

٥ – أن تنجز طباعة المعجم بعد الخطوة السابقة ، وبعد أن تكون قد اعتمدت في صورتها النهائية في مجمع القاهرة طبقاً للأصول المرعية .

٦ – أن يصار إلى توحيد المصطلحات النفطية بين الأقطار العربية وسائر المصطلحات .

٧ – أن يتكرر عقد مثل هذه اللقاءات العلمية اللغوية تحت مظلة اتحاد المجامع العربية كلما ظهر عمل معجمي جديد ، لما لمسته الندوة من فائدة جليلة في إغناء العمل المعجمي من عقد هذه اللقاءات .

٨ – تؤكد الندوة رسالة اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في العمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية ونشرها ، والعمل على تنسيق الجهود في الأمور المتصلة باللغة العربية وتراثها اللغوي والعلمي .

كلمات جلسة الافتتاح

(١)
كلمة الأستاذة الدكتورة صالحة سُنْقُر

وزيرة التعليم العالي

أيها الحفل الكريم

يسعدني أن التقي معكم اليوم في هذه الندوة اللغوية المتخصصة يجمعنا هدف مشترك هو محبتنا للغتنا العربية واهتمامنا بنمائها وتطورها ويسعدني أن أرحب بكم لغويين وباحثين ومثقفين جئتم من أقطار عربية إلى دمشق الأقدم بين المدائن ، عاصمة الفكر العربي ، دمشق التي ازدادت ألقاً وتطوراً في عصر حامي عرين الأمة والمدافع عن كرامتها وعزتها القائد العربي المناضل حافظ الأسد كما ويسعدني أن يتم هذا التعاون بين مجمع اللغة العربية في دمشق واتحاد مجامع اللغة العربية فمثل هذا التعاون بين الاختصاصيين يحفز إلى المزيد من العمل المثمر ويشجع للمضي قدماً نحو انماء الثروة اللغوية وانتاج المفيد والمبدع بتعريب المصطلحات الأجنبية والقيام بدراسات قيمة تفيد في تطور اللغة العربية وازدهارها .

السادة الحضور :

يقول السيد الرئيس حافظ الأسد :

لغتنا العربية هي عنوان هويتنا وهي الرابطة بين الناطقين بالضاد وهي

أهم صلات الماضي بالحاضر والمستقبل ، بها نعبر عن ذاتنا وننشر في الوطن والعالم نتاج الفكر العربي وننقل إلى أبناء الأمة العربية النتاج الفكري للشعوب الأخرى ، وجميعنا مسؤولون عن الحفاظ عليها وعلى قواعدها فلا عجمة ولا ركاكة بل تركيب سليم وفصاحة ، مما اشتهرت به أمة العرب .

بهذا القول وجه سيادة الرئيس حافظ الأسد . ذلك أن اللغة هي مقوم وجودنا وعلى أساس اتقاننا لها يتحدد من نحن ؟ وماذا نريد ؟ ومن هذا المنطلق يعد تأليف المعاجم والاهتمام بها مطلباً وطنياً قومياً يمليه انتماؤنا إلى الأمة العربية وهو نمط من البحث العلمي يحرص على التمثل السليم للمعطيات مما يساعد على الإبداع والابتكار واللحاق بركب النهضة العلمية الحديثة .

ولهذا حرصت مجامع اللغة العربية والمنظمات العربية والإقليمية على ايجاد معاجم في العلوم الأساسية والتطبيقية والاجتماعية والفنية . وأخذت المعاجم المتخصصة حيزاً كبيراً من اهتمام خبراء مجامع اللغة العربية في الوطن العربي الذين حرصوا على مجاراة العصر والاطلاع على التطورات العلمية والمستجدات الحديثة في عالمنا المعاصر . واجتهدوا في التمكن من اللغات الحية وعملوا على تحقيق شروط الدقة العلمية والصحة اللغوية فيما أوجدوه من مصطلحات ومسميات ودلالات ولما كان النفط على درجة قصوى من الأهمية في شتى نواحي الحياة حتى أصبحنا غير قادرين على تصور الحياة بدونه ، إنه المادة الأساسية التي يتولد عنها مواد لا حصر لها ذات أهمية في المجالات الزراعية والصناعية والطبية وسواها .

ونحن في الوطن العربي ننعم بحظ وافر من النفط وإن مسايرة التقدم التقني في استخراجه والاستفادة منه وتطوير الصناعة النفطية قد تطلب

نشر الثقافة النفطية بما يفي متطلبات العصر ويلبي حاجة العاملين في هذا الميدان على اختلاف تخصصاتهم وتوفير معجم نفطي شامل عصري يضع المصطلحات باللغة العربية مع مقابلاتها من المصطلحات الأجنبية .

وما كان لمعجم النفط أن يتحقق إلا بجهاد العاملين في هذا المجال وما تميزوا به من صبر وثبات وإيمان بالدور الحضاري الكبير الذي أنيط بهم وإيمانهم بأهمية هذه المعاجم . مستفيدين من أحدث المعاجم المستعملة في منظمات النفط العالمية .

أيها السادة الحضور

ونحن نفتتح هذه الندوة حول معجم النفط لا بد من أن نذكر بما تتعرض إليه الأرض العربية من عدوان وانتهاك للحرمات .

فإسرائيل لا تريد السلام إلا بشروطها وبما يضمن تحقيق أهدافها كاملة وهي ماضية في تكريس الاحتلال والنشاط الاستيطاني الذي يتناقض جذرياً مع العملية السلمية .

ونحن في سورية الأسد نسعى إلى السلام العادل والشامل ، السلام الحقيقي الذي يبنى على الالتزام بقرارات مجلس الأمن والتمسك بالشرعية الدولية وبمبادئ ميثاق الأمم المتحدة .

ونأمل أن يحقق لقاء القمة المرتقب بين السيد الرئيس حافظ الأسد والرئيس بيل كلينتون دفعاً لعملية السلام الشامل في الشرق الأوسط ورغم ما تسعى إليه إسرائيل من ضغط بغية إرباك القرار الأمريكي إلا أن ما يتمتع به سيادة الرئيس حافظ الأسد من قدرات قيادية استثنائية قادر على اجلاء الحقائق واظهار زيف إسرائيل والمطالبة بحقوق أمتنا المشروعة .

أيها الجمع الكريم

إن وزارة التعليم العالي تأمل للمشاركين في الندوة من السادة الاختصاصيين وأساتذة الجامعات والخبراء العاملين في الوزارات في ميدان اعداد المعاجم العلمية والتقنية أن يوفقوا في إيجاد مصطلحات موحدة التداول وأن تسفر ملاحظاتهم وتوصياتهم إلى ايجاد المسمى العلمي الأفضل والأدق استعمالاً والأكثر مطاوعة . وأن تكون حصيلة الندوة الوصول إلى معجم نفطي عربي جامع متكامل ، سهل المأخذ ، قريب التناول يساعد العاملين في مجال النفط ودراسة جيولوجيته وتكونه وأصله والكشف عنه واستخراجه وأدواته وناقليه والمنتفعين به .

معجم نفطي عربي يسهم في تطوير الكتاب الجامعي في مجال الهندسة النفطية ، فقد أكدت اليونسكو أنه لا يوجد عائق في نظام لغة يحول بينها وبين جعلها لغة حضارة حديثة إذا كانت اللغة الأم كفيلة بأن تكون لغة التعليم الجامعي والتقني . وهذا ما تحرص عليه سورية في جعل اللغة العربية هي لغة التعليم الجامعي .

أيها الأخوة الأشقاء

بوركت جهودكم وأنتم تدققون بالمصطلح وتثبتون للعالم أن لغتنا العربية كما وصفها السيد الرئيس حافظ الأسد العنصر الأساسي في هويتنا الثقافية والحضارية ومقوم رئيس من مقومات الأمة العربية ، وتبرهنون على أن للغة العربية من القابلية والمرونة والاتساع والغنى ما جعلها لغة العلم والفلسفة والفن والأدب في الشرق والغرب في الماضي وما يؤهلها لأن تتبوأ سلم التطور والتكامل وأن تسهم في بناء الحضارة المعاصرة .

أيها الجمع الكريم

أشكر لكم حضوركم حفل افتتاح هذه الندوة وفي مشاركتكم دليل على ما تكنونه من حب للغة العربية وتقدير لجهود أعضاء مجامع اللغة العربية ، والشكر موصول إلى كل من ساهم وشارك بجهده العلمي في إيجاد هذا المعجم . وإلى كل من عمل على تنظيم هذه الندوة واعدادها حتى كانت على هذه الصورة المرضية وأخص بالشكر رئيس وأعضاء مجمع اللغة العربية في دمشق ورئيس وأعضاء اتحاد مجامع اللغة العربية في مصر . على ما بذلوه من جهد ، ونتمنى لهم النجاح كله واطراد التقدم وتحقيق الأهداف النبيلة التي قدموا من أجلها .

كما أقدم الشكر إلى كل من وزارات النفط والإعلام والسياحة لما قدموا من تسهيلات ساعدت في نجاح الندوة .

وإنه لمن حسن الطالع أن ترعى وزارة التعليم العالي مع اطلالة السنة الجديدة هذا النشاط اللغوي الهام آملة أن تحفل السنة الجديدة بنشاطات وفعاليات علمية متنوعة تسهم في تطوير البحث العلمي . وتطوير تعليمنا الجامعي الذي تفخر سورية الأسد بريادتها هذا التعليم باللغة العربية تأليفاً وتدريساً ، ويكفي أن نذكر أن المؤلفات الجامعية باللغة العربية قد زادت عن الخمسمائة وسبعة آلاف كتاب جامعي يفيد منه الدارسون في الجامعات السورية والجامعات العربية الأخرى .

والشكر والامتنان إلى سيادة الرئيس حافظ الأسد راعي العلم والعلماء الذي قدر اللغة العربية وأعطاها ما تستحقه من مكانة واهتمام ، وأنزل المعنيين بها منزل الرعاية والتكريم ، ولم يأل جهداً في سبيل الحفاظ على اللغة العربية لتظل لغة الميادين العلمية المعاصرة كلها . ووجد في اتقانها

وتعلمها السبيل لتحقيق ذاتيتنا ونهضتنا والمنطلق السليم نحو وحدة الوطن العربي .

باسمكم جميعاً أرفع أسمى آيات الولاء والوفاء لبطل الحكمة والشجاعة ، القائد الرمز الذي يؤدي الأمانة ويرسي دعائم المجد السيد الرئيس حافظ الأسد وعهداً منا على الالتزام بتوجيهاته الحكيمة في الحفاظ على اللغة العربية وصونها والمضي قدماً في مسارات البحث العلمي المتنوعة .

(٢)
كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

الأستاذة الدكتورة صالحة سنقر وزيرة التعليم العالي راعية الندوة

السادة الوزراء - السادة السفراء - السادة العلماء

أيها الحفل الكريم

أرحب بكم أجمل الترحيب وأكرمه ، وأشكر لكم تفضلكم بالحضور ، وأزجي الثناء خالصاً للأساتذة المشاركين القادمين الذين تجشموا عناء السفر وبُعد الشُّقة ، يحفزهم حبُّ العربية ونداء الأخوّة ، كي يُغنوا ببحوثهم وآرائهم ندوة معجم النفط التي يعقدها اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بالمشاركة مع مجمع اللغة العربية بدمشق ، وأرجو لهم طيب المُقام .

وأراني في غنى عن افتتاح حديثي ببيان ما للغة من شأن كبير في حياة الأمة ، فقد أفاض العلماء والباحثون في ذلك ، وكشفوا عما تنهض به اللغة من توحيد أبناء الأمة فكراً وعاطفةً وقِيَماً ، وما لها من آثار بعيدة في بنيان الأمة الثقافي . وخلصوا إلى أن اللغة هي روح الأمة وهويتها ، وهي العاصم لها من أن تعصف بها ريح التفرق والشتات .

ثم إن اللغة ، وهي وعاء الفكر وأداة التعبير والتواصل ، مرآة الأمة الصادقة ، تعكس صورتها ، فهي ترتقي برقيها ، وتضعف بضعفها .

ولقد بلغت العربيةُ أوج رقيها في العصور الماضية الزاهرة حين استبحر العمران ، وبسطت الحضارة ظلها الوارف ، فكانت لسان العالم المتمدن آنذاك ، وكانت لغةَ العلم الأولى التي سادت البلاد ما بين سور الصين إلى جبال البرانس .

ولما ضعفت الأمة واستكانت في عصور التخلف أوَت العربيةُ إلى عزلة قاسية ، ففرض العثمانيون على البلاد العربية التي دانت لهم اللغة التركية ، فجعلوها لغة الدواوين ولغة التعليم ولسان الدولة ، ثم جاء المستعمرون الأوربيون الطغاة بغطرستهم وعنجهيتهم ففرضوا على البلاد العربية التي سيطروا عليها لغاتهم الأجنبية بغية محو اللغة العربية ، وطمس القومية .

وحين بزغت أنوار النهضة العربية الحديثة كانت الدعوة إلى استعادة العربية مكانتها وسلطانها في حياة الأمة أول شعار رفعه دعاة النهضة والاصلاح للصلة الوثيقة بين نهضة الأمة وازدهار لغتها . ولقد جاهدوا وجهدوا لتحقيقه ، ولقيت دعوتهم الاستجابة والترحيب .

ولما قامت الدولة العربية بدمشق بعد زوال الهيمنة العثمانية (تشرين الأول ١٩١٨م) كان تعريب الدولة وتعريب التعليم بجميع مراحله من أكبر المهام التي أولتها عنايتها ، وصرفت جلّ اهتمامها إليها . فأنشأت شعبة الترجمة والتأليف ، ثم ديوان المعارف ، لتؤسس في الثامن من حزيران ١٩١٩م المجمع العلمي العربي ، ووكلت إليه تعريبَ الدواوين والمدارس ، وتقويمَ لغة الكتابة والصحافة والتأليف ، وإزالةَ ما علق بالعربية من شوائب عصور

التخلف والتسلط الأجنبي ، ونشرَ آداب العربية وإحياءَ تراثها ، ووضعَ ما تتطلبه الحياة العصرية من ألفاظ الحضارة والمصطلح العلمي ، فنهض المجمع بالمهمة على خير وجه ، وأصبحت الدولةُ عربية الوجه واللسان . ثم شارك المجمعُ أساتذةَ الجامعة السورية في تعريب التعليم العالي ، وانتظم التدريس باللغة العربية . وهكذا أحيت الجامعةُ السورية ورسّخت السنّةَ الحميدة التي كانت بدأتها مصر في فجر النهضة حين كان التدريس في مؤسسات التعليم العالي بالعربية ، إلى ان اجتاح المستعمر أرض الكنانة ، وفرض التدريس بالانكليزية .

ثم تأسس مجمع القاهرة (١٩٣٢م) منارةً هادية ، وتلاه مجمع بغداد (١٩٤٧م) ، وتعاونت المجامعُ الثلاثة وتلاقت جهودها للنهوض بالعربية وجعلها وافيةً بمتطلبات العلم والحضارة . فدعت إلى التعليم بالعربية في جميع مراحل التعليم ، لأن اللغة إنما تغنيها الممارسة ، ويصقلها الاستعمال ، وقامت بوضع المصطلحات التي تتطلبها النهضة العلمية ، وشاركت المشاركة الجادّة في مختلف المناشط اللغوية والثقافية التي تؤدي إلى استعادة العربية وجهها المشرق النضير ، فبحثت قضايا العربية ، وسبل تيسير تعلمها ونشرها ، ونظرت في الطرائق التي تُسعف في تضييق الشقة بين العربية السليمة وأختها المحكية ، لتصبح العربيةُ السليمة لغةَ الحياة اليومية ، وعُنيت بنشر نفائس التراث ، ووضعت المعجمات المختلفة ، غايتُها من وراء ذلك أن تواكب العربيةُ تطور العلم الحديث ، ومبتغاها أن تهيّئ لأجيال العلماء الأرض الطيبة للتأليف والبحث العلمي بالعربية ، تمهيداً لاستنبات العلم العربي ونمائه ، ومشاركةِ الأمة العربية في المسيرة الحضارية الإنسانية ، إذ لا ازدهار للعلم في وطننا إلا إذا كانت اللغة التي نصطنعها هي لغتنا القومية .

ولئن كانت المجامع الثلاثة قد خدمت العربية الخدمات الجلّى في مناح مختلفة ، لقد فطن القائمون عليها إلى ضرورة تنظيم الاتصال بينها ، وتنسيق جهودها التي تبذلها لتكون أقدر على جمع طاقاتها للنهوض بالعربية ونشر تراثها اللغوي والعلمي ، والعمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية التي تقرّها ، فلا يجوز أن يوضع للمعنى العلمي الواحد أكثر من لفظة اصطلاحية واحدة ، لما يحدثه اختلاف المقابلات العربية للمعنى الواحد من بلبلة .

وكانت الخطوة الأولى انعقاد مؤتمر المجامع اللغوية العلمية في دمشق (٩/٢٩ – ١٩٥٦/١٠/٥م) ، وكان من أبرز توصياته تأسيسُ اتحاد المجامع اللغوية ينظمُ الاتصال بينها وينسّقُ أعمالها ، ويكون المرجع الذي يوحّد المصطلحات التي تضعها المجامع والمؤسسات العلمية والعلماء[١] .

لم تكن الظروف مسعفةً لتأسيس الاتحاد على أثر هذه الاجتماعات ، ولكن الصبر والعمل الدؤوب أنجحا القصد ، وتأسس الاتحاد عام ١٩٧١م ، وكان من أبرز مهامه تنظيم عقد مؤتمرات وندوات غايتها :

– العمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية ونشرها .

– والنهوض بالدراسات المتصلة باللغة العربية وتراثها اللغوي والعلمي وعوامل نمائها وازدهارها .

وقد عقد اتحادُ المجامع منذ تأسيسه حتى الآن سبع ندوات ، وندوتُنا اليوم هي الثامنة . ودرج الاتحاد على أن يكون لمعجمات المصطلح التي

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج٣١ ج٤ ص٦٨٧ – ٦٨٨ ، مج٣٢ ج١ ص٣ – ٢٢٦ ، ج٢ ص٣٩٥ – ٣٩٩ ، ج٣ ص٥٥٣ – ٥٥٦ .

تعدها المجامع والمؤسسات العلمية جانب كبير من اهتمامه وعنايته ، لما لذلك من شأن في تيسير تعريب التعليم العالي . وسارع الاتحادُ إلى إصدار حصيلة هذه الندوات في كتيّبات خاصةٍ ، ليسهل نشرها وتوزيعها في الجامعات والمراكز العلمية ، فتغدوَ قريبة المتناول لطالبيها .

ضمّت ندواتُ الاتحاد الأولى ممثلين عن المجامع الثلاثة ، مع مشاركة ثُلّة طيبة من كبار العلماء واللغويين ، فلما تأسس مجمع اللغة العربية الأردني عام ١٩٧٦م انضم إلى الاتحاد (١٩٧٧م) وحضر ندواته . وقد أصبحت المجامع اللغوية العربية اليوم ستة مجامع بتأسيس مجمعي تونس (١٩٩٣م) والخرطوم (١٩٩٣م) . ونأمل أن تسارع الدول العربية الأخرى لتأسيس مجامعها اللغوية . ويحسن أن نشير هنا إلى تأسيس الاكاديمية الملكية المغربية التي تولي اللغة العربية جانباً كبيراً من عنايتها .

عقد الاتحادُ أولى ندواته بدمشق (١٩٧٢م) ، وعُني فيها بتوحيد مصطلحاتٍ في القانون المدني والتجاري والبحري والإداري والتأمين بلغت (١٨١١) مصطلح ، وتلتها ندوة بغداد (١٩٧٣م) التي عُني فيها بالمصطلح النِّفطي ، وبلغ عدد المصطلحات التي انتهى الاتحاد إلى توحيدها (٩٩٧) مصطلح . أما ندوة الجزائر (١٩٧٦م) فقد عالجت موضوع (تيسير تعليم اللغة العربية) ، وتلتها ندوة عمّان (١٩٧٨م) التي خُصصت لدراسة (تعليم اللغة العربية في ربع القرن الأخير) ، وعُنيت ندوة الرباط (١٩٨٤م) ببحث موضوع هام هو (تعريب التعليم العالي والجامعي في ربع القرن الأخير) ، ونوقش في ندوة عَمّان (١٩٨٧م) موضوعُ الرموز العلمية وطريقة أدائها باللغة العربية . وكانت عودةً إلى المصطلح في ندوة تونس (١٩٩٢م) فنوقش توحيد تعريب المصطلح الطبي ، وقُدّمت بحوث تناولت موضوع توحيد المصطلح ، ومنهجية التوحيد .

وقد صدرت عن هذه الندوات توصياتٌ هامة ، منها ما يساعد على تيسير تعليم اللغة العربية ، وبيان الطرق المسعفة لنشر اللغة الصحيحة بين الطلاب والجماهير ، والتخفّف من العامية . ومنها ما يدعو إلى العناية بوضع المعجمات التعليمية المدرسية ، والمعجمات المتخصصة في مختلف الموضوعات العلمية والفنية والحضارية ، على أن تكون ثلاثية اللغة : بالعربية والانكليزية والفرنسية ، والتوسع في وضع المصطلحات العلمية وتوحيدها وإشاعتها ، والاهتمام بترجمة الكتب العلمية ، واستخدام الحاسوب لجمع كل ما صدر من مصطلحات في العصر الحديث توطئة لتوحيد المصطلح ، وتأليفِ المعجم الموسوعي الشامل .

وهذه التوصيات هي المنارات الهاديات في طريقنا إلى الاصلاح ، ولا بد من المثابرة والمتابعة والجهد لتصبح التوصيات أعمالاً وحقائق منجزة .

وها نحن أولاء نعقد اليوم الندوة الثامنة (كانون الثاني ١٩٩٤م) ، ومحورُها النظرُ في معجم النِّفْط الذي أعدته لجنة مصطلحات النِّفط في مجمع اللغة العربية بالقاهرة . وقد عكفت اللجنة على عملها نحو سبع عشرة سنة حتى استوى لها المعجم على الوجه الذي ارتضته ، وهو يضمُّ نحو أربعة آلاف مصطلح[٢] . ووُزِّع المعجمُ على المجامع والجهات العلمية المعنيّة للنظر فيه ، وإعداد تقاريرها حوله .

ونجتمع اليوم لمناقشة حصيلة هذه الجهود المباركة ، والعمل على إقرارها ، توحيداً للمصطلح ونشره وإشاعته . ويصاحب هذا العمل الجليل

(٢) معجم النفط (مجمع اللغة العربية ـ القاهرة ١٩٩٣م) من مقدمة الأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن .

إلقاءُ بحوث ودراسات في قضايا من علم المصطلح .

إن توحيد المصطلح أمر هام وأساسي لأنه يوحّد لغة العلم العربيّ ، فيتمُّ التفاهم بين الباحثين والعلماء العرب في سهولة ويسر . وهو الخطوة الأولى التي لا بدَّ منها للتأليف والبحث بالعربية ، وتبادلِ المعارف بين العلماء العرب في شتى أقطارهم ، مما يهيِّئ لتكامل البحوث وجمع الطاقات العلمية ، وإسقاط التكرار والهدر .

لقد كان المصطلح العلمي العربي موحّداً في عصور العربية الماضية الزاهرة ، على تنائي المسافات ، وتباعد الأقطار ، وضعف المواصلات ، وقلة الأدوات المسعفة ، فبلوغُ هذا الهدف في العصر الحاضر أيسرُ وأدنى ، ونحن في عصر الثورات الثلاث : ثورة تفجر المعرفة ، وثورة تقدم التقنيات ، وثورة انتشار وسائل الاتصال . وإن التطور الهائل لتقنيات وسائل الاتصال يجعل من الميسور استيعاب كل ما تطالعنا به ثورة تفجر المعرفة .

إن مما يسهّل الوصول إلى توحيد المصطلح هو الاتفاق على منهجية واضحة لوضع المصطلح العربي . وكانت ندوةُ الرباط (١٨ – ٢٠/٢/١٩٨١م) قد أقرت منهجية لوضع المصطلح عدَّدَتْ فيها المبادئ الأساسية التي يحسن اتباعها والتهدّي بها في اختيار المصطلحات العلمية[٣] . ثم عُقدت ندوةُ تطوير منهجية وضع المصطلح في مجمع اللغة العربية الأردني (٦ – ٩/٩/١٩٩٣م) ، فقُدّمت جملة مقترحات لاستكمال المنهجية التي أقرتها ندوة الرباط . وإن الخبرة التي اكتسبها اتحاد المجامع في توحيد المصطلح تؤهله أن يشارك المشاركة المجدية للوصول إلى المنهجية المثلى التي

---

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج٥٦ ج٤ (١٩٨١م) ص٨٨٧ – ٨٩٠ ، مجلة اللسان العربي ١/١٩ : ١٨٨ ، ٢٧ : ٨٤ – ٨٦ .

تتشوف إليها في وضع المصطلح ، ونرجو أن يتمّ ذلك قريباً .

لقد أعدَّ مجمع اللغة العربية بدمشق (على قصر المدة) العدة لاستكمال أسبابَ نجاح هذه الندوة الهامة . وقامت لجنة من الأساتذة المجمعيين والجامعيين والمتخصصين في وزارة النِّفط والثروة المعدنية بدراسة المعجم دراسة متأنية معمقة ستعرض في جلسات الندوة . فإذا ضممنا إلى ذلك ما قدمه الأساتذة المشاركون من تقارير غنية مفيدة ، رجونا أن تؤتي ندوتُنا ثمارها الجنيّة ، وأن نمضي خطوة جديدة في سبيل توحيد المصطلح ونشره ، وأن تكون الندوة ، بأعمالها وتوصياتها قوة تشدّ من أزر الاتحاد ، وتزيده نشاطاً وحيوية ، فيطرد سيره ، وترتفع وتيرة انجازاته ، ويتابع عمله لتحقيق ما نادى به ودعا إليه ، ويقوم بعقد ندوة في كل عام لمواصلة خططه في التوحيد ، وإعداد الدراسات المتصلة باللغة العربية وتراثها اللغوي والعلمي .

إن الهدف العظيم الذي نتطلع إلى بلوغه لَيستأهلُ منا أن نجهد وندأب دون ملل أو كلال . وإننا بعملنا الحثيث المتواصل إنما نرنو إلى اليوم الذي تصبح فيه العربية لغة العلم والمعرفة في الوطن العربي ، وتغدو إحدى اللغات العلمية العالمية كما كانت في سابق عهدها . وما ذلك على الله بعزيز .

أيها الحفل الكريم

لقد اختارت سورية التعليم باللغة العربية وارتضته نهجاً لها منذ زوال الهيمنة العثمانية عام ١٩١٨م ، ولقد زادتها التجربة والخبرة إيماناً بصدق ما ذهبت إليه ، وصواب ما أخذت به عن علم وبصيرة . وهي اليوم أشد محافظة على اتجاهها وأكثر تمسكاً به وإصراراً عليه ، تُهيّئ له كل ما يقوّي

مساره ، ويرسّخ دعائمه .

وإنّ الفضل كل الفضل في هذا التأكيد الجازم على التمسك بالتعليم بالعربية ، وتثبيت قواعدها إنما يعود إلى القائد الأمين السيد الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية الذي رعى العربية ورفع منارها وأعلى رايتها ، وكان له في الحفاظ على العربية ، والتوجيه للعناية بها وإتقان تعلمها الأيادي المشكورة ، والمآثر المعدودة .

لقد وجّه السيد الرئيس إلى تعليم اللغة العربية في جميع كليات الجامعة ، ليتخرج الطالب الجامعي ، مهما يكن اختصاصه ، وقد أتقن العربية ، وأحسن التعبير بها ، وتزود من نفيس تراثها .

ولقد أكّد على عروبة التعليم العالي التأكيد القاطع بموقفه الحازم من قضية التعليم بلغة أجنبية .

ذلك أن جامعة حلب كانت قد اختارت حين إنشائها أن يكون تدريس الطب باللغة الانكليزية ، وكان هذا الاختيار نكسة قاتلة لدعاة العربية ، ووجد فيها أعداءُ التعريب في البلاد العربية الحجج التي تذرعوا بها لمقاومة التعليم بالعربية ، ولم تفلح كلُّ الجهود التي بُذلت لتعدل جامعة حلب عن خطتها .

فلما قامت الحركة التصحيحية المباركة بقيادة الرئيس المناضل حافظ الأسد ، ردّ السيد الرئيس الأمور إلى نصابها ، فجعل التدريس بالعربية ، وأصدر التشريعات التي توجب أن يكون التعليم بالعربية في جميع جامعات القطر .

فللسيد الرئيس راعي العروبة والعربية نرفع آيات الحمد والثناء .

ولعله يحسن أن نذكر هنا أن العناية بالعربية لا تعني الابتعاد عن اللغات الأجنبية ، بل لقد زاد الاهتمام بها ، والحث على تعلمها ، وأصبحت مادةً يطالب الطلاب الجامعيون في كل الكليات بتعلمها وإتقانها لأنها النافذة التي نطلُّ منها على العالم . أما الدراسات العليا بكلّ فروعها واختصاصاتها فقد أوجبت الأنظمة الجامعية ألا يسمح للطالب بالتسجيل لمتابعة الدراسة فيها حتى ينجح باللغة الأجنبية .

أشكر للدكتورة وزيرة التعليم العالي رعايتها للندوة واهتمامها بها ، وما بذلت من جهود لاستكمال أسباب نجاحها . وأشكر للسادة الوزراء والسادة السفراء والسادة الحضور تفضلهم بمشاركتنا في حفل إفتتاح الندوة .

(٣)
كلمة الأستاذ إبراهيم الترزي

الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة
وعضو مجلس إدارة اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

الأستاذة الجليلة الدكتورة صالحة سُنْقر وزيرة التعليم العالي :

الأستاذ الجليل الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع :

أيها السادة الأساتذة الأجلاء :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد فقد شَرَّفني شيخُ المجمعيِّين ، أستاذي الجليل الدكتور إبراهيم مدكور رئيسُ اتحاد المجامع ، وأستاذي الجليل الدكتور شوقي ضيف أمينُه العام ، بأن أَنُوب عنهما في هذه الندوة التي شَرُفَتْ بأن ضَيَّفَها – مشكوراً – مجمعُكم العريق ، حيث تُعقد في دمشقَ الفيحاء إحدى العَواتِكِ من أُمهات بلادنا العربية.. كم شُدَّتْ إليها رواحل العلماء والأدباء ، وكم خَفَقَتْ فوق رُباها أجنحةُ الشعراء ، تَنْثُرُ عليها نَديَّ الأغاريد ، فَوّاحةً بأريج الأُمنيات ، صَدَّاحةً بهوى قلوبٍ تهفو إلى رحابها الغَنّاءِ الغَرّاء .. فالبحتريُّ يَصْدَحُ مُتَغَنِّياً بجمالها ويقول :

أَمّا دمشقُ فقد أَبْدَتْ محاسِنَها ... وقد وَفَى لك مُطْرِيها بما وَعَدا
إذا أردتَ مَلأْتَ العينَ من بلدٍ ... مُسْتَحْسَنٍ .. وزمانٍ يُشْبِهُ البلدا
يُمْسِي السحابُ على أَجبالها فِرَقاً ... ويُصْبِحُ النَّبْتُ في صحرائها بَدَدا

فلستَ تُبصر إلاَّ واكفاً خَضِلاً أو يانعاً خَضِراً ، أو طائراً غَرِدا

وفي عصرنا الحديث يتغنَّى بها أحمد شوقي أمير الشعراء ، ويقول :

لولا دمشقُ لَمَا كانت طُلَيْطلةٌ ولا زَهَتْ ببني العباسِ بَغْدانُ
قال الرِّفاقُ وقد هَبَّتْ خمائلُها الأرضُ دارٌ لها الفيحاءُ بُستانُ
جَرَى وصَفَّقَ يلقانا بها بَرَدَى كما تَلَقَّاكَ دُونَ الخُلْدِ رِضْوانُ
يا فِتْيَةَ الشامِ شكراً لا انقضاءَ له لو أنَّ إحسانَكم يَجْزِيه شُكرانُ

أيها السادة :

كان انطلاقُ الشرارةِ الأولى بدايةً لانطلاقِ حضارة الإنسان .. ثم كان اكتشافُ النِّفْطِ تجديداً لانطلاق هذه الحضارة ، وتطويراً لها في مختلف مجالات العلم بكشوفه ومخترعاته ؛ حتى صار النفطُ سَيِّدَ مصادر الطاقة ، وامتلك صولجانَ القوةِ والرخاء !

وقد أفاء اللهُ على وطننا العربيِّ من كُنُوز هذا الذهب الأسود ما يبلغ نصفَ ما في العالم كلِّه . وقد كان جديراً بنا أن نتحدَّث بنعمة اللهِ علينا ؛ فتنهض عزائمنا للإفادة منه ، علماً وصناعة ، وقوةً ومَنَعة ، لا استيراداً لذلك من بلادٍ أخرى لا تُضْمِرُ أرضُها مثلَ هذه الكنوز ، وقد تُضْمِرُ لنا العَداوة والبغضاء !

فلنتحدَّثْ بنعمة الله علينا ، فنجعل كُنُوزَ ذهبِنا الأسودِ مصدراً لطاقاتٍ خلاَّقةٍ في العلم والصناعة ؛ لتكونَ حضارتُنا عربيةَ الوجه واليد واللسان ، وتَتَبوَّأَ من جديد مكانتَها الجديرة بها ؛ من العزةِ والشرفِ والسِّيادة !

أيها السادة :

قُمتُ برحلةٍ كشفيةٍ لغوية ؛ للتنقيبِ عن مادة « النِّفط » ، في المعجمات والموسوعات ، وكتب البلدان والرحلات . فوجدتُها تضربُ بجذور عريقةٍ عميقةٍ في لغتنا العربية ، تعود إلى العصر الجاهلي ، وهي في القديم لا تَبْعُدُ في مدلولها العامِّ عن معناها في عصرنا الحَديث .

فمما ورد في المعجمات اللغوية القديمة : نَفَطَ فلان : احترق غضباً والنُّفَطة : سريع الغضب . ونَفَطَتِ القِدْرُ : غَلَتْ حتى رَمَتْ بالزَّبَد .

والنَّفاطة : موضعُ استخراجِ النفط ، وضربٌ من السُّرُج يُسْتَصْبَحُ وأداةٌ تُعْمَلُ من النحاس يُرمَى فيها بالنفط والنار ، وقارورةُ النفطِ التي يُرْمَى بها . والنَّفاط : الرامي بالنفط ، جمعُه النَّفاطة .

وقد خَطَّأَ الأصمعيُّ مَنْ فَتح نُونَ النِّفط ، ورَوَى قولَ الراجز :

كأنَّ بينَ إبْطِهـا والإبْطِ ثَوْباً من الثُّومِ ثَوَى في نِفْطِ

وقد كان العرب في جاهليتهم يَطْلُون إبلَهم الجَرْبَى بالكِبْريت والخَضْخاض وهو نوعٌ من النِّفط أسودُ رقيق .

وذكر الطبريُّ في تاريخه أن الخليفةَ المنصورَ العباسيَّ لما عزم على بناء بغداد أَحَبَّ أن ينظر إليها عياناً . فَأَمَرَ أن يخطَّ بالرماد ، ثم أقبل يدخلُ من كل باب ، ويَمُرُّ في فُصْلانها وطاقاتها ورحابها ، وهي مخطوطة بالرماد ... فلما فعل ذلك أمر أن يُجْعَلَ على تلك الخطوط حَبُّ القطن ، ويُصَبَّ عليه النِّفط ، فنظر والنار تشتعل ، ففهمها وعرف رسمها ، وأمر بأن يُحفر أساس ذلك على ما رسم ، ثم ابتدى في بنائها .

وقال الحسن الوزّان في كتابه « وصف إفريقيا » :

« القَطِرانُ نوعان : نوع طبيعي يُلْقَط من فوق أحجار تُوجَد في قلب بعض العيون التي يَنْشُرُ ماؤها رائحةً كريهةً جدّاً ... » وهي يعني بذلك النفط .

وورد في صبح الأعشى :

«وبها – أي بالديار المصرية – معدنُ النفط على ساحل بحر القُلْزُم، يَسيلُ دهنُه من أعلى جبلٍ قليلاً قليلاً ، وينزل إلى أسفله ، فيتحصَّلُ في دَبَارٍ – أو قنوات – قد وضعها له الأَوَّلُون ، وتأتي العربُ فتحمله إلى خزائن السلاح السلطانية » .

وقد وردت إشاراتٌ عديدةٌ في كتب الرحلات العربية إلى النفط ؛ منها ما ذكره ابن جبير حين مرَّ بمدينة تكريت :

« مررنا بموضع يُعرف بالقيّارة من دجلة ، بالجانب الشرقيّ منها ، عن يمين الطريق إلى الموصل ، فيه وَهْدة من الأرض سوداء ، كأنها سحابة ، قد أَنْبَطَ اللهُ فيها عيوناً كباراً وصغاراً تنبع بالقار ، وربما يقذف بعضها بحَبابٍ منه كأنه الغَلَيان ... » .

وتذكر دائرة المعارف البريطانية أن العرب اهتموا بزيت البترول الخام وخاصة بتقطيره للاستعمال في الإنارة ، كما تذكر أن صناعة تقطير البترول الخام قد انتقلت من العرب إلى أوربا من القرن الثاني عشر ، عن طريق إسبانيا ... حيث تَوَسَّعُوا في عمليات التقطير ، وتطوير صناعة الإنارة في أوربا في بداية عصر النهضة .

وقد غزا لفظ « النفط » عالم الأسماء ؛ فلُقِّبَ بـ « نفطويه » عالم من علماء النحو البارزين ، هو إبراهيم بن محمد بن عرفة ، وقد لُقِّب به على

مثال سيبويه ؛ لأنه يجري على طريقة سيبويه في النحو ، ويؤيد مذهبه ، ولأنه كان ساذجَ الثياب ، لا يُعْنَى بإصلاح نفسه وهيئته ، وكانت فيه دمامة وأدمة وفي نفطويه قال أبو عبد الله محمد بن زيد الواسطيّ :

أحرقه الله بنصف اسمه وصَيَّر الباقي صُراخاً عليه

ونفطويه — إلى علمه بالنحو — شاعر رقيق ، ومن شعره في الرَّدِّ على مَنْ عابوا دمامته :

وقالوا : شانه الجُدَرِيُّ فانْظُرْ إلى وجهٍ به أَثَرُ الكُلُومِ
فقلتُ : ملاحةٌ نُثِرَتْ عليه وما حُسْنُ السماءِ بلا نُجُومِ ؟

أيها السادة :

لمجمعكم في القاهرة جهود متواصلة في مصطلحات النِّفط ، منذ سنين عديدة ، ولجنته برئاسة مقررها زميلنا الأستاذ الدكتور محمد يوسف حسن قد جمعت حصادها في معجم ضخم لمصطلحات النفط ، هو الذي بين أيديكم ، والذي يُعَدُّ أساسَ البحث في هذه الندوة ، وقد سبقها من قبلُ ندوةٌ للنفط عقدها اتحاد مجامعنا في بغداد عام ثلاثة وسبعين وتسعمئة وألف ، ونرجو أن تكون هذه وتلك الركيزةَ الأُولى لتوحيد المصطلح النفطيِّ في عالمنا العربيّ .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(٤)

كلمـــة الأستـــاذ الدكتور محمد الهادي بن إسماعيل

ممثل المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون

السيدة الدكتورة صالحة سُنْقر وزيرة التعليم العالي : راعية المؤتمر

السادة الوزراء والسفراء

الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

الأستاذ إبراهيم الترزي الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة

حضرات الأساتذة المشاركين في الندوة ، السلام عليكم ورحمة الله

وبعد ، فإنه ليسعدني أن أنقل لكم تحيّات إخوانكم أعضاء المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون – بيت الحكمة – وأشكرَكم على الدعوة الكريمة لحضور هذه الندوة التي ينظمها إتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بالمشاركة مع مجمع اللغة العربية بدمشق حول توحيد مصطلحات النِّفط وإشاعتها في العالم العربي .

إن مشاركتي في ندوتكم هذه تتنزّل في إطار الاهتمام الذي توليه تونس « العهد الجديد » للّغة العربية عامة ولحركة تعريب العلوم خاصّة ، إذ ورد في الفصل الأول من قانون الإصلاح التربوي الصادر سنة ١٩٩١ بتونس

أن النظام التربوي يهدف إلى تمكين المتعلمين من إتقان اللّغة العربية ، بصفتها اللغة الوطنية ، إتقاناً يمكّنهم من استعمالها ـ تحصيلاً وإنتاجاً ـ في مختلف مجالات المعرفة الإنساني منها والطبيعي والتكنولوجي .

ويعتبر التعريب في تونس اليوم مطلباً حضارياً متأكداً يُحتّمُ السعيَ إلى تطوير اللّغة العربية والارتقاء بها حتّى تنهض بقضايا العلم والتكنولوجيا والفكر المعاصر خلقاً وإبداعاً . لكنّ الضرورة تقتضي ، أيضاً ، التفتُّح على الحضارات واللّغات الأخرى ، خاصّة لغات العلم والتقنية حتّى نحصي تحديث ثقافتنا من الانغلاق وحتّى لا نحرم من الاطّلاع المباشر على إنتاج الفكر العالمي .

حضرات الإخوة الكرام ،

إن المعاجم مهمّة جدّاً في حركة التعريب ولحسن الحظّ أن هناك جهوداً تبذل في سبيل إصدار المعاجم ، التي على الرغم من تنوعها وافتقارها للتنسيق ، تساعد على الدفع بحركة التعريب إلى الأمام . لكنّ المطلوب الآن ـ أكثر من أيّ وقت مضى ـ التفكير بجديّة في التنسيق بين جهود المجامع والمنظمات والاتحادات ، كما أنّه لا بدّ من أن تأخذ هذه المؤسسات ، إن لم تفعل ذلك بعد ، في خزن أرصدة المعلومات التي لديها حتّى يتيسّر التنسيق بينها عبر ربط الشبكات بعضها ببعض وتبادل المعلومات . أمّا في صورة استمرار الحال على ما هي عليه اليوم ، فإن المشكلة قد لا تقتصر على وضع المصطلح العلمي وإشاعته بل تَكْمُن في تعدُّدِ المناهج وتباينها ممّا يؤدي حتماً إلى تعدّد المصطلح للمفهوم الواحد وبالتالي فقدانه الدّقة والخصوصية .

ونظراً لأهمية الجامعات العربية في مجال تعريب العلوم ، وجب تنشيط الباحثين ولجانهم ودعمهم مادّياً ومعنوياً . وفي هذا الباب شرعت

تونس منذ بضع سنوات في تمويل ترجمة الكتب العلمية وفي إعداد كتب المدرسة الأساسية وكذلك المشاركة في توحيد المصطلحات في هذه المرحلة التعليمية بالتنسيق مع الدول العربية .

ولا يسعني في نهاية كلمتي هذه ، إلاّ أن أذكّرَ بأنّه على الرغم من أهمية الترجمة والتعريب فإنّه لا بدّ من الإنتاج والتأليف باللغة العربية في مختلف مجالات العلوم حتّى يتسنّى للأمّة العربية أن تتجاوز دور المستهلك لإنتاج غيرها وأن تصل إلى دور المنتج في مجالات تتطوّر باستمرار يعسُر ، في بعض الأحيان ، على المترجم والمعرّب مسايرة تطوّرها .

وختاماً أجدّد شكري ، عن المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، كما أشكر باسم الوفود العربية المشاركة ، مجمع اللّغة العربية بدمشق على إستضافته هذه الندوة وإتحاد المجامع اللغوية العربية على تنظيمها في القطر السوري الشقيق ومجمع اللّغة العربية بالقاهرة على جهوده القيّمة وأشكر كذلك جميع الحاضرين على مشاركتهم في الندوة التي أتمنّى لها كل التوفيق والنجاح .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

توصيات
مؤتمر مجمع القاهرة
في دورته الستين

١ – يؤكّدُ مؤتمرُ المجْمَعِ توصياتِهِ السَّابِقَةَ بتعريب التعليم الجامعيّ والعالي في الوطن العربي ، تلبيةً لطموح الأمة العربية في أن يعود إليها مجدها العلمي على أيدي علمائها المعاصرين ، وهي قضية قومية لها مقوماتها وأسانيدها وقضية تعليمية ، حتى يستطيع الشباب العربي – بلغته الأم – تمثلَ ما يدرسون من العلوم البحتة والتطبيقية تَمَثُّلاً عِلْمياً قَوِيماً .

٢ – تعريب تدريس العلوم في المرحلة الجامعية الأولى مطلبٌ علمي ولغوي ، ومطلب قومي واجتماعي ، وقد أصبح ضرورة ملزمة لا تحتمل مزيداً من التسويف ، والمؤتمر يهيبُ بالسادةِ وزراءِ التعليم في البلاد العربية والإسلامية أن يحيلوا دراسات مجامع اللغة العربية في هذا الشأن إلى الجامعات لكي تجعلها موضع الدراسة الجادة الناجزة – في غير تباطؤ أو تعجّل – توطئة لاتخاذ قرار التعريب عن بيِّنةٍ واقتناع ، ثم يُشرع بلا توان في تنفيذه مع دفعة جديدة من الطلاب ، مع مواصلة تعريف هؤلاء الطلاب بالمصطلحات العلمية العالمية ورفع مستواهم في اللغات الأجنبية .

٣ – حَثُّ المجامعِ اللُّغَوِيَّةِ على ان يُشَكِّلَ كُلٌّ مِنها لَجْنةً دَائِمَةً مِنْ بَيْنِ أَعْضَائِهِ للإِعْلامِ والنَّشْرِ والتَوزِيْعِ، تكون مُهِمَّتُها الإِعْلامُ عن النشاط

المجمعيّ اللُّغوِي والعِلْمِي والتعريف بمنشورات المجمع وقراراته ، والعمل على إيصال هذه المنشورات والقرارات إلى الجهات التي تفيد منها ، على أن تزوَّد هذه اللجانُ بالمساعدين الإداريين والفنِّيين ، وأن تُخوَّلَ لها الصلاحياتُ اللازمةُ لأداءِ مهمتها .

٤ - حَثُّ المجامعِ اللُّغوية على إنشاء جوائز سَخِيَّةٍ للكتب المؤلَّفة أو المترجمة في العلوم البحتة أو التطبيقية المناسبة لمستوى التعليم الجامعي ، على أن يشترط فيها الالتزام بما أَقَرَّتْهُ مؤتمرات المجمع السنوية بالقاهرة من مصطلحات في باب الكتاب المؤلَّف أو المترجم ، وذلك بالإضافةِ إلى أن يكون تحكيمُ هذه الكتب من قِبَلِ لِجَانٍ عِلْمِيّةٍ ذات مستوى رفيع ، وأن يوصي كلُّ مَجْمَعٍ وزارةَ التَّعْليم في قُطْرِهِ بأن تكون هذه الكتب المجازة من المراجع التي يوصي بها القائمون بالتدريس في الجامعات .

٥ -إنَّ التَّعْرِيْبَ لا يعني بحال من الأحْوالِ التهاونَ في مجال تعليم اللغات الأجنبيَّة ، فإتقان لغة أجنبيَّة واحدة على الأقل بمستوى رفيع ضرورة حضارية تواكب مسيرة التعريب وتَدْعَمُها ، إذ يَتَطَلَّبُ التَّعْرِيْبُ أَنْ يَكُوْنَ المُهَنْدِسُ أو الطَّبِيبُ أو العَالِمُ ضليعاً في لغةٍ أجنبيَّة عالميَّة يتواصلُ فيها وبها مع العلماء ومنجزاتهم في البلدان المتقدمة .

٦ - تعريب التدريس في الكليات العلمية العربية يستلزم إنشاءَ هَيْئةٍ كُبْرى للتَّرْجَمَةِ في مصر تَضُمُّ صفوة من العلماء تنهض بوضع خُطَّةٍ قومية للترجمة تحدد الأولويَّات في ترجمة العلوم والتكنولوجيا وتلاحق التطورات العصرية فيهما خدمةً للتَّعْرِيبِ وإسراعاً به نحو تحقيق الغايات العلميَّةِ - وتُنَسِّقُ الهيئةُ جهودَها في الترجمة مع مراكز الترجمة في البلاد العربية .

٧ -إنشاء مَعْهَدٍ ملحق بهيئة الترجمة لتدريب وتخريج طبقة من المترجمين

الأَكْفَاء تترجم العلوم والتكنولوجيا الغربيتين على أعلى مستوى ، ويُخْتارون من كلية الألّسن ومن أقسام الترجمة في الجامعات .

٨ – إلزام القائمين بالتدريس في الجامعات العربية وكافة مؤسسات التعليم العالي باستعمال الفصحى في التدريس .

٩ – يوصي المؤتمرُ باستخدام الفصحى في جميع وسائل الإعلام وفي المسارح – وخاصة مسارح الدولة – وفي الإذاعتين المسموعة والمرئية ، وبخاصة في المسلسلات التليفزيونية .

١٠ – يوصي المؤتمرُ وزاراتِ الإعْلام وهيئات الإذاعتين المسموعة والمرئية بإعداد العاملين فيهما إعداداً لُغويّاً سديداً ، وأن تهيئ لهم دوراتٍ تدريبيَّة على الضبط الإعرابي والنطق السليم ، مع تنبيههم على ما يشيع على ألسنتهم من أخطاء لغوية .

١١ – يؤكد المجمع ما سبق له من التوصية بالعناية بالخط العربي والإملاء ويزكّي ما قاله سيادة وزير التعليم في هذا الصدد .

١٢ – يؤكد المؤتمر – اعتزازاً بهويتنا العربيّة – ما أوصى به مِراراً من حَظْرِ كتابة اللافتات على المحال التجارية والشركات وغيرها بأي لغة غير العربية ، كما يوصي بحظر كتابة الأسماء الأجنبية بحروف عربية ، ويدعو جميع الدول والحكومات العربية إلى إصدار تشريعات تَحْظُرُ استخدامَ هذا الأسلوبِ وتُجَرِّمُ من يستخدمه .

مسألة في كلمة الشهادة

تلقينا من الأستاذ الفاضل هلال ناجي كلمة جاء فيها :

« قرأتُ في الجزء الأول من المجلد الثامن والستين من مجلتكم نصاً محققاً عنوانه : « مسـألة في كلمة الشهادة » بتحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي (ص٧٧ – ٩٩) وهذا النص سبق نشره بتحقيق الدكتورة بهيجة الحسني في مجلة المجمع العلمي العراقي – المجلد الخامس عشر ، الصادر في بغداد ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م ، محققاً على المخطوطة ذاتها » .

– إن إدارة المجلة تشكر للأستاذ الفاضل هلال ناجي كلمته التي أشار بها إلى نشر للمسألة سابق . وهي تأمل أن تتحقق أمنية رددتها في مناسبة سـابقة (مجلة المجمع ، مج٦١ ج٢ ص٤٣٠ – ٤٣١) تدعو إلى إنشاء مركز لتسجيل كل ما ينشر من موضوعات التراث العربي في المجلات العربية والغربية ليكون في متناول الباحث الدارس ، مما ييسر عليه مهمته العلمية ، ويتيح له أن يقدم على ما ينهض به من تحقيق نص ، أو إنشـاء دراسة بقدم مطمئنة ، ونفس واثقة ، قد ألمَّ بكل ما أنجزه سابقوه ، فيضيف بعمله جديداً ، ويكمل ما بدأه من تقدمه .

الكتب والمجلات المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الثاني من عام ١٩٩٤م

أ ـ الكتب العربية

سامر اليامالي

ابن عساكر ودوره في الجهاد ضد الصليبيين ـ تأليف أحمد عبد الكريم حلواني ـ دمشق ١٩٩١م .

الأبواب مسرحيات عالمية (٣٠) ـ تأليف نظار نظاريان ـ منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٩٣م .

أحاديث القُصَّاص ـ تأليف ابن تيمية ـ تحقيق : د. محمد بن لطفي الصباغ ـ الطبعة الثانية ـ دمشق ١٩٨٥م .

الإدارة البيئية في الوطن العربي ـ إعداد د. محسن عبد الحميد توفيق ـ منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ تونس ١٩٩٣م .

أرض الديس قصص وروايات عربية (٤٠) ـ تأليف أنيس إبراهيم ـ منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٩٣م .

أروع ما قيل في الموشحات ـ تأليف د. يحيى شامي ـ بيروت ١٩٩٣م .

أروع ما قيل في الهجاء ـ تأليف د. يحيى شامي ـ بيروت ١٩٩٢م .

أساليب دعم قدرات أجهزة التطوير الإداري في الدول النامية ـ ترجمة : د. علي عبد الهادي مسلم ، إبراهيم محمد محمود ـ منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية ـ عمان ١٩٩٤م .

استراتيجية عربية للتكنولوجيا الحيوية منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ تونس ١٩٩٣م .

الاستشعار عن بُعد وتفسير المرئيات ـ ترجمة: د. حسن حلمي خاروف ـ منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ دمشق ١٩٩٤م .

أسماء من يُعرف بكنيته من أصحاب رسول الله ﷺ ـ تأليف الحافظ أبي الفتح محمد بن الحسن الأزدي ـ تحقيق : اقبال بن محمد إسحاق سكوهري ـ بومباي ١٩٨٩م .

إصلاح إدارة الخدمة المدنية بالدول النامية ـ إعداد : باربرانبرج ـ ترجمة : فيصل عادل زواتي ـ منشورات المنظمة العربية للتنمية الإدارية ـ عمان ١٩٩٤م .

أفكار خريفية ـ مسرحيات عالمية (٣٢) ـ تأليف بي فنغسي ترجمة : ظاهر عبد الواحد ـ منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٩٣م .

أيام الثقافة الإسبانية في دمشق ـ ترجمة : رفعت عطفة ـ منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٩٣م .

إيليا كازان يتحدث ـ الفن السابع (٦) ـ إعداد : ميشيل سيان ـ ترجمة : محمد جمّول ـ منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٩٣م .

بحث مقارن عن الاتجاهات السائدة في الواقع التربوي في البلاد العربية

– تحرير : د. عبد الله عبد الدائم – منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس ١٩٩٣م .

البرنامج التلفزيوني العربي في تدريب معلمي الكبار – منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس ١٩٩٣م .

البيبليوغرافيا الجزائرية – النصف الثاني لسنة ١٩٩١ – الجزائر ١٩٩٣م .

بصمات عربية ودمشقية في الأندلس – تأليف سلمى الحفار الكزبري – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

تاريخ مساجد الكوفة – تأليف محمد سعيد الطريحي – الجزء الأول – حيدر أباد ١٩٨٢م .

تجارب واتجاهات الدول العربية في إدخال العمل اليدوي والتربية التكنولوجية في مرحلة التعليم الأساسي – إعداد : عبد القادر فضيل – منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس ١٩٩٣م .

تحقيق حول ابن عباس ومكانته في التفسير والمعارف الأخرى – تأليف : د. محمد باقر حجتي – بيروت ١٩٩٠م .

التعليقات والنوادر – ترتيب : حمد الجاسر – القسم الرابع .

تعليم الكبار اتجاهات وقضايا عالمية – تأليف هـ. س بولا – ترجمة : د. عبد العزيز سنبل ، صالح عزب – منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس ١٩٩٣م .

الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية – منشورات أكاديمية المملكة المغربية – مكناس ١٩٩١م .

الثورة السورية الوطنية – مذكرات د. عبد الرحمن الشهبندر – تحقيق : محمد كامل الخطيب – الطبعة الثانية – قضايا وحوارات النهضة العربية (١١) – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

الثورة الفرنسية – دراسات اجتماعية (٩ ، ١٠) – جزآن – تأليف فرانسوا فوريه – ترجمة : صيّاح الجهيم ، زياد العودة – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

جبل البنفسج – رحلة الحظ (مسرحيتان للأطفال) – تأليف نور الدين الهاشمي – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

جبل الشوح – قصص وروايات عربية (٣٦) – تأليف حسن صقر – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

الجزر العربية الثلاث في الخليج العربي ومدى مشروعية التغيرات الإقليمية الناتجة عن استخدام القوة – تأليف : عبد الوهاب عبدول – إصدار مركز الدراسات والوثائق في الديوان الأميري برأس الخيمة .

جغرافية دار الإسلام البشرية حتى منتصف القرن الحادي عشر – الجزء الثالث – القسم الثاني تأليف أندريه ميكيل – ترجمة : إبراهيم خوري – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

الحب بين المسلمين والنصارى في التاريخ العربي – تأليف عبد المعين الملوحي – بيروت ١٩٩٣م .

حكايا السجن – مسرحيات عالمية (٣١) – تأليف أزفالدو دراغون – ترجمة : صالح علماني – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

حلب في مائة عام – تأليف محمد فؤاد عيتاني ، نجوى عثمان – ثلاثة أجزاء – حلب ١٩٩٣م .

حلقة دراسية عن التنسيق بين التعليم العالي المتوسط والتعليم الجامعي في الوطن العربي – منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – دمشق ١٩٩٤م .

خليل مردم بك – تأليف فادية عبد اللطيف المليح – دمشق ١٩٩١م .

دراسات تاريخ الجزيرة العربية :

الكتاب الأول : مصادر تاريخ الجزيرة العربية – جزآن – منشورات جامعة الرياض – ١٩٧٩م .

الكتاب الثاني : الجزيرة العربية قبل الإسلام – منشورات جامعة الملك سعود – ١٩٨٤م .

الكتاب الثالث : الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين – جزآن – منشورات جامعة الملك سعود – ١٩٨٩م .

دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية – تأليف د. أمين توفيق الطيبي – تونس ١٩٨٩م .

دراسات في القراءة السريعة – تأليف جفري أ. ددلي – ترجمة : د. عبد اللطيف الجميلي – منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس ١٩٩٣م .

دراسة مقارنة حول تدريس اللغات الأجنبية في مرحلة التعليم الأساسي في البلاد العربية – منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس ١٩٩٣م .

دليل الكتب – سبعة مجلدات – المعرض الدولي الثاني للكتاب – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ١٤١٢هـ .

دنيا – (رواية) – ديميتير – محمود طرشونة – ١٩٩٣م .

الذرية الطاهرة – لأبي بشر محمد بن حماد – حققه : محمد جواد الحسيني – بيروت – الطبعة الثانية – ١٩٨٨م .

الرؤية المزدوجة – الفن السابع (٨) – تأليف أندريه فايدا – ترجمة : صلاح صلاح – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

الرواية الألمانية الحديثة – دراسات نقدية عربية (٨) – د. عبده عبود – منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٩٣م .

سلسلة الإبريز بالسند العزيز – تأليف الحسن بن علي بن أبي طالب – علق عليه : محمد جواد الحسيني – الطبعة الثانية – بيروت ١٩٩٤م .

السينما فناً – الفن السابع (٩) – تأليف رالف ستيفنسون ، جان دوبري – ترجمة : خالد حداد – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

الصحة في العالم الثالث – تأليف عدد من المؤلفين – ترجمة : عيسى عصفور – دراسات اجتماعية (١١) – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

الصداقة من منظور علم النفس – عالم المعرفة (١٧٩) – تأليف د. أسامة أبو سريع – الكويت ١٩٩٣م .

الصناعات الإعلامية والاتصالية في الوطن العربي – منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس ١٩٩٣م .

صور من بلادي - شعر د. وليد قصاب - الطبعة الثانية - الإمارات العربية المتحدة ١٩٨٦م .

الصيد الثمين - الغابة الخضراء - (مسرحيتان للأطفال) - تأليف نور الدين الهاشمي - منشورات وزارة - الثقافة دمشق ١٩٩٣م .

ضباب - روايات عالمية (٤١) - تأليف ميكائل دي أو نامونو - ترجمة : علي جابر - منشورات وزارة الثقافة - دمشق ١٩٩٣م .

الطائر المتوحد (قصص للأطفال) - تأليف كولين تيل - ترجمة : نور الحلاق - منشورات وزارة الثقافة - دمشق ١٩٩٣م .

العجلة المكسورة -القصة القصيرة العالمية (١٥) - تأليف وليام ساروبان - ترجمة سميرة بريك - منشورات وزارة الثقافة - دمشق ١٩٩٣م .

العرب وعصر المعلومات - عالم المعرفة (١٨٤) - تأليف د. نبيل علي - الكويت ١٩٩٤م .

العصفور الذهبي - تأليف فيصل الحجلي - منشورات وزارة الثقافة - دمشق ١٩٩٣م .

على عتبة العالم الأسطوري - سلسلة العلوم (١١) - تأليف يوري أفدييف - ترجمة : صفوان ريحاوي ، مظفر شعبان - منشورات وزارة الثقافة - دمشق ١٩٩٣م .

عين اليقين في سيرة سيد المرسلين - تأليف محمد سيد كيلاني - الطبعة الثانية - بيروت ١٩٧٨م .

فارس الأحلام القديمة - شعر : د. وليد قصاب - الدوحة ١٩٩٠م .

فرانسوا تروفو والموجة الفرنسية الجديدة ــ الفن السابع (٧) ــ تأليف عدد من المؤلفين ــ ترجمة : إسماعيل جمول ــ وزارة الثقافة ــ دمشق ١٩٩٣م .

الفساد في الحكومة ــ ترجمة : د. نادر أبو شيخة ــ منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ــ نيويورك ١٩٩٠م .

قصة ولد ــ روايات عالمية (٣٨) ــ تأليف الفونس دوديه ــ ترجمة : عيسى عصفور ــ منشورات وزارة الثقافة ــ دمشق ١٩٩٣م .

القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم العربي ــ تأليف د. عبد الرحمن الشهبندر ــ تحقيق : محمد كامل الخطيب ــ قضايا وحوارات النهضة العربية (١٠) ــ منشورات وزارة الثقافة ــ الطبعة الثانية ــ دمشق ١٩٩٣م .

قضايا إحصائية حول التعليم الابتدائي ــ منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ــ تونس ١٩٩٣م .

اللورد الصغير فونتلوري ــ (رواية) ــ تأليف فرانسيس هودغسون برنت ــ ترجمة : موفق شقير ــ منشورات وزارة الثقافة ــ دمشق ١٩٩٣م .

المارانا ــ السوق ــ السياف ــ روايات بلزاك (٨) ــ ترجمة : صلاح الدين برمدا ــ منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٩٣م .

مجنونة الشموس ــ قصص وروايات عربية (٣٩) ــ تأليف جمال سعيد ــ منشورات وزارة الثقافة ــ دمشق ١٩٩٣م .

محضر أحد الاجتماعات ــ مسرحيات عالمية (٢٨) ــ تأليف ألكسندر

غلمان – ترجمة : ضيف الله مراد – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

مدخل إلى قراءة بلزاك – دراسات نقدية عالمية (١٩) – ترجمة : ميشيل خوري – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

مذكرات وخطب – قضايا وحوارات النهضة العربية (١٣) – تأليف د. عبد الرحمن الشهبندر – تحقيق : محمد كامل الخطيب – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

مذكراتي عن الثورة العربية – قضايا وحوارات النهضة العربية (٩) – تأليف د. أحمد قدري – منشورات وزارة الثقافة – الطبعة الثانية – دمشق ١٩٩٣م .

المعرفة والتكنولوجيا – منشورات أكاديمية المملكة المغربية – الدار البيضاء ١٩٩٣م .

المقالات – قضايا وحوارات النهضة العربية (١٢) – تأليف د. عبد الرحمن الشهبندر – تحقيق : محمد كامل الخطيب – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

الممثلون الغافلون – روايات بلزاك (٩) – ترجمة : صلاح الدين برمدا – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

من أجل أنطولوجيا إسلامية –دراسات فكرية (٩)– تأليف محمد مزوز – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

من كتاب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر – تأليف عبد الملك بن محمد الثعالبي – المختار من التراث العربي (٥٦) – جزآن – تعليق :

منير كنعان – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية – تأليف محمد بن عيسى الصالحي – تحقيق : د. حكمت إسماعيل – إحياء التراث العربي (٩٢) – منشورات وزارة الثقافة – جزآن – دمشق ١٩٩٣م .

الموسوعة العلمية الميسرة – تأليف نخبة من المؤلفين – المجلد الخامس : الجزء الثاني . منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

مي زيادة وأعلام عصرها (رسائل مخطوطة لم تنشر) – تحقيق : سلمى الحفار الكزبري – بيروت ١٩٨٢م .

الهروب – تأليف بيوتركر أبو تكين – ترجمة : عبد الكريم البني – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

الهروب من الضباب – قصص وروايات عربية (٣٨) – تأليف حامد ضرار – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

هكذا مات تقريباً – قصص وروايات عربية (٣٧) – تأليف علي عبد الله سعيد – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

الهلاك تأليف جيم آلن – ترجمة : فاضل جتكر – مسرحيات عالمية (٢٩) – منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

وداعاً – النزل الأحمر – روايات بلزاك (١٠) – ترجمة صلاح الدين برمدا – منشوزات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٩٣م .

ب ـ المجلات العربية المهداة

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الآداب الأجنبية	٧٦	١٩٩٣	سورية
الأسبوع الأدبي	٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١٢ ، ٤١٣	١٩٩٤	سورية
بناة الأجيال	٢ ، ٣ ، ٤ ،	١٩٩٢	سورية
	٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ،	١٩٩٣	
	٩	١٩٩٤	
الثقافة	كانون الثاني ، شباط ، آذار	١٩٩٤	سورية
الحياة التشكيلية	٤٩ ـ ٥٠	١٩٩٢ ـ ١٩٩٣	سورية
الحياة الموسيقية	٣ ـ ٤	١٩٩٣	سورية
دراسات تاريخية	٤٧ ـ ٤٨	١٩٩٣	سورية
رسالة معهد التراث العلمي العربي	٦٢	١٩٩٤	سورية
صوت فلسطين	٣١٣ ، ٣١٦	١٩٩٤	سورية
الضاد	١١ ، ١٢	١٩٩٣	سورية
	١	١٩٩٤	
عالم الذرة	٢٨	١٩٩٣	سورية
مجلة بحوث جامعة حلب	١١ (هندسية)	١٩٩٠	سورية
	١٢ (أساسية)	١٩٩٠	
	١٤ (زراعية)	١٩٩٠	
	١٧ ، ١٨ (إنسانية)	١٩٩٠	
المجلة البطريركية	١٣١ ـ ١٣٢ ـ ١٣٣ ـ ١٣٤	١٩٩٤	سورية

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
مجلة جامعة دمشق	١٦ ـ ١٧	١٩٩٣	سورية
المجلة الطبية العربية	١٢٠، ١٢١	١٩٩٣	سورية
المعرفة	من ٣٦٤ ـ ٣٦٨	١٩٩٤	سورية
الموقف الأدبي	٢٧٢	١٩٩٣	سورية
	٢٧٣ ـ ٢٧٤ ـ ٢٧٥	١٩٩٤	
النشرة الاقتصادية	١	١٩٩٤	سورية
أخبار الإدارة	٦	١٩٩٤	الأردن
الأنباء	٥٠٩، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٦، ٥١٧	١٩٩٤	الأردن
دراسات	١، ٢ (مجلد ٢١/سلسلة أ)	١٩٩٤	الأردن
	١ (عدد خاص)	١٩٩٣	
الدواء العربي	٢	١٩٩٣	الأردن
الشريعة	٣٣٨، ٣٤١	١٩٩٤	الأردن
المجلة العربية للإدارة	١	١٩٩٤	الأردن
مؤتة للبحوث والدراسات	٢، ٣ (مجلد ٨/سلسلةب)	١٩٩٣	الأردن
	٢، ٣، ٤ (مجلد ٨/سلسلةأ)	١٩٩٣	
اليرموك	٤٢	١٩٩٤	الأردن
آفاق الثقافة والتراث	١	١٩٩٣	الإمارات المتحدة
المجلة العربية للتربية	١	١٩٩٣	تونس (المنظمة العربية)
المجلة العربية للمعلومات	٢	١٩٩٢	تونس (المنظمة العربية)
الدارة	٤	١٤١٤هـ	السعودية
عالم الكتب	١، ٢	١٩٩٤	السعودية

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
مجلة جامعة أم القرى	٤ ، ٥ ، ٦ ،	١٤١١هـ - ١٤١٢هـ	السعودية
مجلة جامعة الإمام	١ ، ٢	١٩٨٩م	السعودية
محمد بن سعود الإسلامية	٤ ، ٥	١٩٩١	
	٦ ، ٧	١٩٩٢	
مجلة جامعة الملك سعود	١ ، ٢ (مجلد ٥/الأدب)	١٩٩٣	السعودية
أخبار التراث العربي	١٢	١٩٨٤	الكويت
	١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١	١٩٨٥	
	٢٣	١٩٨٦	
حولية كلية الآداب	الرسالة ٩٣ ، ٩٤ (حولية ١٤)	١٩٩٣ - ١٩٩٤	الكويت
علوم وتكنولوجيا	٨	١٩٩٤	الكويت
الشراع	٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٥ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨	١٩٩٤	لبنان
الفكر العربي	٧٤	١٩٩٣	لبنان
الأكاديمية	٩	١٩٩٢	المغرب
اللسان العربي	٣٠ ، ٣١	١٩٨٨	المغرب
	٣٢ ، ٣٣	١٩٨٩	
	٣٤	١٩٩٠	
	٣٥	١٩٩١	
	٣٦	١٩٩٢	
المتخبون العرب	٢	١٩٩٤	المغرب
ألمانيا	٣	١٩٩٣	ألمانيا
	١	١٩٩٤	
الدراسات الإسلامية	٤	١٩٩٢	باكستان
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية	٥١	١٩٩٤	كوريا

ج ـ الكتب والمجلات باللغات الأخرى

سماء الخاسني

1 – **Books:**

– Ermoni Olaylari tarihi/ by Huseyin Nazim Pasa. – Ankara, 1994. – 2.Vols. – (Series: Osmenli Arsivi Daire Baskanligi; No. 15).

– OSMANLI BELGELERINDE ERMENILER (1915 – 1920). 6 – Ankara, 1994. – 222P. – (Series: Osmanli arsivi daire baskanligi, No. 14.

– THE VOCABULARY OF SASANIAN SEALS/by K. Yamauchi. – Tokyo: Institute for the study of Languages and cultures of Asia and Africa, 1993. – 129 P. – (Series: Iranian studies, No. 5).

– IRANIAN STUDIES/by Institute for the study of languages and cultures of Asia and Africa. – Tokyo, 1993. – (Series: Studia Culturae Islamica No. 47).

– ZIONISM AND ARABISM IN PALESTINE AND ISRAEL/ edited by Elie Kedourie and Sylvia G. Haim. – Britain, 1982. – 255 P.

– SYRIA, A COUNTRY STUDY/ edited by Richard F. Nyrop. – Washington: The American|University|1979. – 268 P., with illustrations.

– ANNALS OF JAPAN ASSOCIATION FOR MIDDLE EAST STUDIES, 1993/by Japan Association for Middle East Studies. – Tokyo, 1993. – 458P.

– TRIPOLOGIA DEI SISTEMI E ORIGINE DELLA LORO UNITA/ Par Vittorio Mathieu. – Roma, 1994. – (Series: Atti Della Accademia Nazionale dei Linceli, Methorie, serie IX – vol. IV – Fas. 2.

– LA BIBBIA DI FRRRARA 450 ANNI DOPO LA SUA PUBBLICAZIONE/ Par MARGHERITA MORREALE. – Roma, 1994. – Series: Atti Della Accademia Nazianale dei |lincei , Memorie: Serie IX – vol. IV – Fascicolo 3.

- CONTRIBUTO ALIO DTUDIO DELL'EDITTIO DE TRIBUTORIA ACTIONE/ Par TIZIANA J. CHIUSI. – Roma, 1993. – Series: Atti Della Academia Nazionale dei Lincei, Memorie, Serie IX – Vol.III – Fascicolo 4.
- NUOVI STUDI SULL'IDENTITA FENCIA/ Par SABATINO MOSCATI. – Series: ATTI DELLA ACCADEMIA NAZIONALE DEI LINCEI, Memorie: Serie IX – Vol. IV – Fascicolo I.

2 – JOURNALS:

- AWRAQ/published by INSTITUTO DE COOPERACTION CON EL MUNDO ARABE, Vol. XIII (1992) MADRID.
- BOLETIN DE LA ACADEMIA ARGNTINA DE LETRAS, BUENOS AIRES, Tomo LVII – Enero – Junio de 1992 – No 223 – 224.
- BULLETIN D'ETUDES ORIENTALES, Publ. by: INSTITUT FRANCAIS DE DAMAS, Tome XLV, Annee 1993.
- CATALONIA CULTURE, BARCELONA. No. 36, January, 1994.
- DURHAM UNIVERSITY JOURNAL, Publ. by: THE AUTHORITY OF THE SENATE OF THE UNIVERSITY OF DURHAM, ENGLAND. January, 1994.
- EAST ASIAN REVIEW, Publ. by: THE INSTITUTE FOR EAST ASIAN STUDIES, SEOUL, KOREA.
- ENERGIES, LE MAGAZINE INTERNATIONAL DE TOTAL, PARIS. No. 17 NOV./DEC. 1993.
- IBLA, REVUE DE L'INSTITUT DES BELLES LETTRES ARABES. TUNIS. No. 173, 57 eme Année, 1994.
- MEMORILE SECTILOR STINTIFICE, Publ. by ACADEMIA ROMANA, BUCURESTI?, Seria: IV, tom: IXI No. I, 1988. No. I 1989. No. I, 1991. No: I, 1990, No. 2, 1991.
- THE MIDDLE EAST JOURNAL, Publ. by: MIDDLE EAST INSTITUTE, WASHINGTON, No. 3, VOL. 47 Summer 1993.
- MUSLIM EDUCATION QUARTERLY, Publ. by: THE ISLAMIC ACADEMY, CAMBRIDGE, ENGLAND. No. 3, Vol. 10, 1993, Spring issue.
- THE MUSLIM WORLD, Publ. by: THE DUNCAN BLACK MACDONALD CENTER AT HARTFORD SEMINARY, U.S.A. APRIL 1993, VOL. LXXXIII, NO. 2.

- ORIENS, MOSCOW, Nos.: 4,5;6, 1993.
- ORIENTALIA SUECANA, STOCKHOLM, SWEDEN, Vol. XLI – XLII (1992 – 1993).
- STUDIA ISLAMICA, edited by A.L. VDOVITCH AND A.M. TVRKI, PARIS. VOL. LXXVII.
- SOURCES UNESCO, PARIS. Nos.: 55,56,57, 1994.

فهرس الجزء الثالث من المجلد التاسع والستين

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨١

- فهرس مخطوطات الظاهرية (الفقه الحنفي) ج٢ ، وضع محمد مطيع الحافظ .
- شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف للحسن العسكري (القسم الأول) ، تحقيق د. محمد يوسف . مراجعة الأستاذ أحمد راتب النفاخ .
- شعر منصور النمري ، جمع وتحقيق الطيب العشاش .
- فهرس مخطوطات الظاهرية (الطب والصيدلة) ج٢ ، وضع صلاح الخيمي .
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد) ، تحقيق د. شكري فيصل ، شهابي ، طرابيشي .
- القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لابن طولون ج٢ ، تحقيق محمد أحمد دهمان .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٢

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عبادة بن أوفى ـ عبد الله بن ثوب) تحقيق د. فيصل ، نحاس ، مراد .
- كتاب الأزهية في علم الحروف للهروي (ط٢) ، تحقيق عبد المعين الملوحي .
- التاريخ المنصوري ، تأليف محمد بن علي بن نظيف الحموي ، تحقيق د. أبو العيد دودو ، مراجعة د. عدنان درويش .
- شعر ابن ميادة ، جمع وتحقيق د. حنا حداد ، مراجعة قدري الحكيم .
- كتاب الأفضليات ، تأليف أبي القاسم علي بن منجب المعروف بابن الصيرفي ، تحقيق د. وليد قصاب ، د. عبد العزيز المانع .
- فهرس مخطوطات الظاهرية (قسم الأدب) ج١ ، وضع رياض مراد وياسين السواس .
- زجر النابح (مقتطفات) لأبي العلاء المعري ، جمع وتحقيق د. أمجد الطرابلسي (ط٢) .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٣

ـ مشيخة ابن طهمان	تح د. محمد طاهر ملك
ـ سفر السعادة وسفير الإفادة ج١	تح محمد أحمد الدالي
ـ شعر دعبل بن علي الخزاعي (ط٢)	صنعة د. عبد الكريم الأشتر
ـ الثقافة الإسلامية في الهند (ط٢)	لعبد الحي الحسني
ـ شرح الكافية البديعية لصفي الدين الحلي	تح د. نسيب النشاوي
ـ رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا	تح د. طيان وميرعلم
ـ نظرات في ديوان بشار بن برد	للدكتور شاكر الفحام
ـ التوفيق للتلفيق للثعالبي	تح إبراهيم صالح
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج٣	وضع محمد رياض المالح
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (الأدب) ج٢	وضع مراد وسواس
ـ نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات	الدكتور حسني سبح
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج١	وضع صلاح الخيمي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٤

ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق١	وضع ياسين السواس
ـ سفر السعادة وسفير الإفادة ، ج٢ ، ٣	تح محمد أحمد الدالي
ـ نوح العندليب	لشفيق جبري
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج٢ ، ٣	وضع صلاح الخيمي
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (السيرة النبوية) ق١	تح نشاط غزاوي
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (أحمد بن عتبة ـ أحمد بن محمد)	تح عبد الغني الدقر
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عثمان بن عفان)	تح سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٥

ـ شعر عمرو بن معدي كرب	جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي
ـ معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج١	تح محمد كامل القصار
ـ معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج٢	تح حافظ وبدير
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج١	تح عبد الإله نبهان

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٦

ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، مج ٣٤	تح مطاع الطرابيشي
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، مج ٣٩	تح سكينة الشهابي
ـ لأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ، ج٢	تح غازي طليمات
ـ المسائل المنثورة في النحو لأبي علي الفارسي	تح مصطفى الحدري
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق٢	وضع ياسين السواس
ـ المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر الأصبهاني	تح سبيع الحاكمي
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج٣	تح إبراهيم عبد الله
ـ المستدرك على فهرس (الشعر)	إعداد رياض مراد
ـ تاريخ دنيسر للطبيب أبي حفص عمر بن اللمش	تح إبراهيم صالح
ـ الدكتور شكري فيصل وصداقة خمسين عاماً	للدكتور عدنان الخطيب
ـ الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا	للدكتور أحمد عروة

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٧

ـ المحب والمحبوب للسري الرفاء مج ١ ـ ٤	تح غلاونجي والذهبي
ـ شعر خداش بن زهير العامري	صنعه د. يحيى الجبوري
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، مج٣٨ ، ٤٠	تح سكينة الشهابي
ـ إعراب الحديث النبوي للعكبري (ط٢)	تح عبد الإله نبهان
ـ فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٦	وضع غزوة بدير
ـ الفهرس العام لمخطوطات دار الكتب الظاهرية	وضع الخيمي والحافظ
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ، ج٤	تح أحمد مختار الشريف
ـ علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب	دراسة وتحقيق د. مراياتي وطيان ومير علم
ـ فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٥	وضع محمد خير محمد

الجزء الرابع   المجلد التاسع والستون

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقًا »



ربيع الآخر ١٤١٥هـ
تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٩٤م

مطبعة الصباح

دمشق . هاتف ٢٢٢١٥١٠

كتب الأنساب العربية
١٠

الدكتور إحسان النص

كتاب الإكليل

للسان اليمن أبي محمد الحسن بن أحمد الهَمْداني
المعروف بابن الحائك
٢٨٠ – بعد سنة ٣٥٠هـ

المؤلف(*) :

أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهَمْداني المعروف بابن الحائك . وقد أطلق المؤلف على نفسه لقب « لسان اليمن » فعرف بذلك . وقبيلة همدان تنتمي إلى كَهْلان ، أحد جذمي قحطان . وهي قبيلة ضخمة

(*) من مصادر ترجمته : مقدمة كتاب الإكليل تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع وكتابه عن المؤلف « لسان اليمن » ؛ معجم الأدباء لياقوت ٢٣٠/٧ ؛ روضات الجنّات للخوانساري ص٢٣٨ ؛ تلخيص ابن مكتوم ص٥١ ؛ طبقات الأمم لصاعد الأندلسي ص٥٨ ؛ طبقات ابن قاضي شهبة ٣١٩/١ ؛ ترجمة مفصلة للمؤلف في كتاب إنباه الرواة للقفطي ٢٧٩/١ وفي كتابه أخبار الحكماء ص١١٣ ؛ بغية الوعاة للسيوطي ص٢١٧ ؛ بحث للأستاذ حمد الجاسر حول الجزء العاشر من الإكليل في مجلة مجمع اللغة العربية المجلد ٢٥ الجزء الأول ص٦٢ .

كثيرة البطون وتتفرع إلى فرعين كبيرين هما : حاشد وبَكِيل ، وإلى بكيل ينتسب المؤلف .

وقد علّلَ القفطي سبب تلقيبه بابن الحائك فقال : « فأما تلقيبه بابن الحائك فلم يكن أبوه حائكاً ولا أحد من أهله ولا في أهله ولا في أصله حائك ، وإنما هو لقب لمن يشتهر بقول الشعر ، وكان جدّه سليمان بن عمرو المعروف بذي الدمينة شاعراً ، فسُمّي حائكاً لحوكه الشعر »[1] .

ولد المؤلف بصنعاء عام ٢٨٠هـ – حسبما حققه الأستاذ الأكوع بعد أن وقف على المقالة العاشرة من كتاب « سرائر الحكمة »[2] – وفيها انكبّ على طلب العلم ، فأخذ الفقه والأدب وعلم النسب والجغرافية والتاريخ عن جلّة من الشيوخ ، وكان شيخه في علم النسب أبا نصر البهري نسّابة حمير ، ومن شيوخه أيضاً محمد بن أحمد الأوساني الحميري . وكان إلى ذلك يتجوّل في البلاد فدخل حضرموت واتّصل بعلمائها وتعرّف معالمها وجاب بلاد الحجاز ونجد وجاور بمكة زمناً وأخذ عن مشايخها وأخذ الناس عنه . وكانت صلته قوية برجالات اليمن وملوكها وأمرائها .

استقرّ بمدينة ريدة مدة من الزمن واتصل بسلطانها أبي جعفر الضحّاك سيّد همدان في زمنه ، ثم غادرها إلى مدينة صَعْدة فأقام بها عشرين سنة ، قال : « وقد سكنت بها عشرين سنة فأطللت على أخبار خَولان وأنسابها ورجالها كما أطللت على بطن راحتي ... »[3]وقد تعرض الهمداني للسجن مرتين – حسبما حقق الأستاذ الأكوع – أولاهما بصَعدة ، سجنه

---

(١) إنباه الرواة للقفطي ٢٧٩/١ .

(٢) انظر : مقدمة كتاب الإكليل ٥١/١ في الحاشية .

(٣) الإكليل ٢٧٥/١ .

الناصر لدين الله أحمد بن يحيى العلوي ، ولا يعرف سبب سجنه على وجه التحقيق ، ذكر بعضهم أنه لهج بتفضيل قبيلة قحطان على عدنان وحقّر ما عظّم الله وتجاسر على انتقاص من اصطفاه الله[٤] .

واضطر الناصر إلى اطلاق سراحه لأن قبائل خولان تألّبت عليه بسببه ، ويشير الهمداني إلى سجنه واطلاق سراحه بصعدة فيقول في سياقة نسب سعد بن خولان : « فأولد عبدُ الله يحيى بن عبد الله سيّد أكيل ، وأمّه بنت عبد الله بن محمد بن عبّاد ، وهو – أي يحيى بن عبد الله – أحد من قام في فكّ الهَمْداني من سجن العلوي بصَعدة وأوجب فيه ، وكان رجل خولان ولسانها وذا رأسها[٥] . »

وبعد اطلاق سراحه انتقل الهمداني إلى صنعاء ، وهناك تعرض للسجن مرة ثانية ، سجنه ملك حمير أبو حسّان أسعد بن أبي يُعفِر الحوالي بإيعاز من الناصر أحمد العلوي . ومن الأسباب التي أوردها الأخباريون عن سبب سجنه بصنعاء أنه قال شعراً يهجو فيه الناصر ويثلبه ، فكتب هذا إلى أسعد بن أبي يعفر ، وهو بصنعاء ، أن يسجنه . فأوعز إلى أخيه أبي الفتوح أمير صنعاء فسجنه[٦] ، وقيل أيضاً إن مهاجاة وقعت بينه وبين شعراء مدينة صعدة فلما أوجعهم بهجائه دسّوا له عند الناصر فكتب إلى أسعد بن أبي يعفر يطلب إليه سجنه[٧] . والسبب الأخير هذا قد يعلل سبب سجنه بصعدة أما سجنه بصنعاء فسببه ، فيما يبدو لي ، هجاؤه الناصر لحبسه إياه بصعدة . وقد مكث الهمداني في سجن صنعاء ست سنوات من سنة ٣١٥هـ حتى سنة ٣٢١هـ .

(٤) الإكليل ٦٢/١ .

(٥) الإكليل ٣١٢/١ .

(٦) انظر مقدمة الجزء الثاني من الإكليل ص١٦ .

(٧) انظر مقدمة الجزء الثاني من الإكليل ص١٧ .

وقد تحدّث الهمداني عن سجنه في صنعاء في سياقة نسب صُحار بن خولان فقال : « حتى سجن الهمداني بيد أسعد بن أبي يعفر ، فطلبوا فيه ، فأعلمهم أنه لم يسجنه ، وأن أسعد سجنه في جرم أجرمه إليه ، فركب منهم الحسن بن محمد بن أبي العباس إلى أبي حسّان طالباً فيه ، فاعتذر وقال : إنما كتب إليّ فيه الناصر أن أسجنه له ، فهو في سجنه عندي ، فاطلبوا إليه ، فإذا أنعم ، فيكتب إليّ حتى أطلقه . فانصرف وعادوا جماعة العشيين الناصر في الطلب ، وأعلموه بما قال أسعد ، فأبعدهم وأغلظ لهم ، فأغلظوا له وتباعدوا أمرهم ، وأظهروا له الخلاف ، وقاد له الحسن بن أبي العباس بني جماعة وقاتله بمصنعة كَتفى ، فسأل الناصر وجوه خولان أن يصرفوه ويعلموه أنه قد فتح له الهمداني – أي أطلق سراحه – »[٨] . فكذلك نرى أن قبيلة خولان القضاعية – وهي ليست قبيلة المؤلف – كان لها فضل إطلاق سراحه من سجنه في صعدة وصنعاء ، وكان الهمداني مدّاحاً لرؤسائها وأشرافها . وقد انتقم الهمداني من أبي حسان أسعد بن أبي يعفر بهجائه بقصيدة مطوّلة سمّاها « قصيدة الجار » وقد أوردها المحقق في الإكليل[٩] .

يذكر القفطي أن الهمداني كان رجلاً محسَّداً في أهل بلده وارتفع له صيت عظيم وصحب أهل زمانه من العلماء وراسلهم وكاتبهم ، ومن العلماء الذين كان يكاتبهم ويعاشرهم أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري ، وأبو عمر النحوي صاحب ثعلب ، وأبو عبد الله الحسين بن خالويه . وممن كان يكرمه من ملوك اليمن ويرعى حقّه إسماعيل بن إبراهيم النَبْعي الحميريّ »[١٠] .

(٨) الإكليل ١/٤٢٦ .

(٩) انظر : الإكليل ١/٦٣ .

(١٠) انباه الرواة ١/٢٨٠ – ٢٨١ .

ويصفه القفطي ويثني على علمه وسعة اطلاعه فيقول : « نادرة زمانه ، وفاضل أوانه ، الكبير القدر ، الرفيع الذكر ، صاحب الكتب الجليلة ، والمؤلّفات الجميلة . لو قال قائل : إنه لم تخرج اليمن مثله لم يَزِلّ ، لأن المنجّم من أهلها لاحظ له في الطب ، والطبيب لا يدَ له في الفقه ، والفقيه لا يدَ له في علم العربيةِ وأيام العرب وأنسابها وأشعارها ، وهو قد جمع هذه الأنواع كلّها وزاد عليها »(١١) .

ووصفه الخزرجي(١٢) بقوله : هو الأوحد في عصره ، الفاضل على من سبقه ، المبرّز على من لحقه ، لم يولد في اليمن مثله علماً وفهماً ، ولساناً وشعراً ، ورواية وفكراً ، واحاطة بعلوم العرب من النحو واللغة والغريب والشعر والأيام والأنساب والسير والمناقب والمثالب ، مع علوم العجم من النجوم والمساحة والهندسة والفلك »(١٣)

عرف الهمداني بعصبيته الغالية للقحطانية وقد جرّت عليه هذه العصبية عداوة النزارية ، وقيل إنه عرّض بالرسول عليه السلام أثناء تعرضه للعدنانية وأنه سجن بسبب ذلك . وهو أمر مستبعد ، وربما كان في الأمر دسيسة من قِبل شعراء صعدة الذين هاجاهم الهمداني . وبدافع هذه العصبية قال قصيدة طويلة سمّاها « الدامغة » يفاخر فيها بالقحطانية ويعارض قصيدة الكميت التي فخر فيها بالعدنانية والتي أوّلها :

ألا حُيّيتِ عنا يا مَدينا وهل بأسٌ نَقُول مُسَلّمينا

---

(١١) إنباه الرواة ١/٢٧٩ .

(١٢) الخزرجي هو علي بن الحسن الخزرجي الزبيدي (ت ٨١٢هـ) من أعلام المؤرخين اليمنيين . من كتبه : « طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن » و« العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولةالرسولية » و« العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن » .

(١٣) بغية الوعاة للسيوطي ١/٤٩٨ .

ومطلع قصيدة الهمداني :

ألا يـا دارُ لولا تنـطـقـيـنـا فـإنـا سـائـلوك فخبِّـرينـا

كما أنه وقف الجزء الثالث من كتاب الإكليل على ذكر مفاخر قحطان .

لا تعرف سنة وفاة الهَمْداني ومكانها على وجه التحقيق ، فقد ذكر القاضي صاعد في « طبقات الأمم » ما نصّه : « وجدت بخط أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله بن الناصر عبد الرحمن الأموي أن أبا محمّد الهمداني توفي بسجن صنعاء في سنة أربع وثلاثين وثلاثمئة »[١٤] . وقد تابع صاعداً في هذه الرواية طائفة من الباحثين القدامى والمحدثين . وأغفل آخرون ذكر سنة وفاته . على أن القفطي الذي أورد خبر صاعد ذكر ما يناقض هذا الخبر وهو قوله : « وسار في آخر زمانه إلى رَيْدة من البَون الأسفل من أرض هَمْدان ، وبها قبره وبقية أهله »[١٥] ، فهذا الخبر يناقض خبر صاعد أنه توفي في السجن بصنعاء ، لأنه سار في آخر حياته إلى ريدة ، ومن هنا يستدل على أنه توفي بريدة ودفن فيها . وقد استبعد الشيخ حمد الجاسر أن يموت الهمداني في صنعاء ثم ينقل جثمانه إلى ريدة وهي تبعد عنها مسافة ٢٠ ميلاً ، أي ما يقارب من مسيرة يوم للإبل ، إذ ليس من عادة العرب نقل موتاهم إلاّ في حالة الحرب[١٦] ، وهو يرجح لهذا السبب ولأسباب أخرى أن يكون الهمداني قد عاش مدة من الزمن بعد خروجه من السجن . وإلى هذا الرأي ذهب كذلك الأستاذ الأكوع محقق الإكليل واستند إلى خبر

(١٤) طبقات الأمم ص٥٩ ؛ إنباه الرواة ١/٢٨٤ .

(١٥) إنباه الرواة ١/٢٨٠ .

(١٦) مجلة المجمع المجلد ٢٥ ص٦٨ .

مرويّ في الجزء الثاني من الإكليل هذا نصه : « قال أبو محمد عبد الله بن سليمان الحلملي : رويت عن محمد هذا – أراد به محمد بن أحمد الأوساني شيخ الهمداني – سنة ست وخمسين وثلاثمئة ، وهو من عمره في ثمانين ، وكتبت عنه . وقتل في سنة ستين وثلاثمئة ، رحمه الله »[١٧] ، فإيراد الهمداني هذا الخبر في كتابه يدل على أنه عاش إلى سنة ستين وثلاثمئة على الأقل .

مؤلفاته :

للهمداني مؤلفات كثيرة ولكن أكثرها مفقود ومنها كتاب « المسالك والممالك باليمن » و« السير والأخبار » و« اليعسوب » . وقد ذكر القفطي أنه « في فقه الصيد وحلاله وحرامه والأثر الوارد فيه وكيفية الصيد وعمل العرب فيه وغريب ذلك ونحوه والشعر فيه ، وهو كتاب جيد جداً مفيد للمتأدبين »[١٨] ، وكتاب « القوى » في الطب ، وكتاب « الجواهر العتيقة » ، وكتاب « الزيج » .

ومنها القصيدة النونية « الدامغة » في فضائل قحطان ، وقد شرحها ولده ، وهي التي أحدثت له العداوة من النزارية ، وله ديوان شعر في ستة أجزاء .

من مؤلفاته التي انتهت إلينا كتاب « الإكليل » الذي سأتحدث عنه فيما يأتي ، وكتاب « صفة جزيرة العرب » وهو من أجود كتبه ، وصف فيه معالم جزيرة العرب ، ولا سيما القسم الجنوبي منها ، وصفاً يعتمد على المشاهدة لا على السماع والنظر في المؤلفات فحسب . إذ كانت له جولات شملت جميع هذه البقاع . والكتاب مطبوع بمصر بتحقيق المؤرخ محمد بن

(١٧) الإكليل ٢/٣٣٢ .

(١٨) إنباه الرواة ١/٢٨٢ .

عبد الله بن بليهد النجدي . ومنها كتاب « سرائر الحكمة » في علم النجوم ، ويذكر الأستاذ الأكوع أنه وقف على المقالة العاشرة منه واستخلص منها زمن ولادة الهمداني[١٩] .

الكتاب :

كتاب « الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير » هو أعظم كتب الهمداني ، ومما يؤسف له أن بعض أجزائه العشرة مفقود ، ووصلنا منه فقط الأجزاء الأول والثاني والثامن والعاشر ؛ وقد طبعت[٢٠] .

وقد تحدّث القفطي عن هذا الكتاب وعن موضوعات أجزائه العشرة فقال : « وكتابه في معارف اليمن وعجائبه وعجائب أهله المسمّى بالإكليل ، وهو عشرة أجزاء ، الجزء الأول في المبتدأ ونسب مالك بن حمير ، والجزء الثاني في أنساب ولد الهميسع من ولد حمير ونوادر من أخبارهم ، والجزء الثالث في فضائل اليمن ومناقب قحطان ، والجزء الرابع في سيرة حمير الأولى ، والجزء الخامس في سيرة حمير الوسطى ، والجزء السادس في سيرة حمير الأخيرة إلى الإسلام ، والجزء السابع في ذكر السيرة القديمة والأخبار الباطلة المستحيلة ، والجزء الثامن في القبوريات وعجائب ما وجد في قبور اليمن ، وشعر علقمة بن ذي جَدَن وأسعد تُبّع ، والجزء التاسع في كلام حمير وحكمهم وتجاربهم المرويّة بلسانهم والموضوع للرطانة عندهم ، والجزء العاشر في معارف هَمْدان وأنسابها ونتف من أخبارها .

---

(١٩) انظر مقدمة الجزء الأول من الإكليل ص٧٥ .

(٢٠) حقق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الجزأين الأول والثاني ونشرهما ، وحقق الجزء الثامن ونشره الأب أنستاس الكرملي ببغداد سنة ١٩٣١م ، ثم أعاد تحقيقه ونشره الأستاذ نبيه أمين فارس سنة ١٩٤٠م في برنستن ، وحقق الجزء العاشر ونشره بالقاهرة الأستاذ محب الدين الخطيب سنة ١٣٦٨هـ .

وهو كتاب جليل جميل ، عزيز الوجود ، لم أر منه إلا أجزاء متفرقة وصلت إليّ من اليمن وهي : الأول والرابع يعوزه يسير ، والسادس ، والعاشر والثامن . وهي على تفرقها تقرب من نصف التصنيف ، ووصلت في جملة كتب الوالد المخلّفة عنه ، حصّلها عند مقامه هناك . وقيل إن هذا الكتاب يتعذر وجوده تاماً لأن المثالب المذكورة فيه في بعض قبائل اليمن ...... وأعدم أهل كل قبيلة ما وجدوه من الكتاب وتتبعوا إعدام النسخ منه ، فحصل نقصه لهذا السبب[٢١] . وفي الجملة الأخيرة خلل فخبر (لأن) غير مذكور ، ولعل مرد الخلل إلى الناسخ .

ونستخلص من نص القفطي كذلك أن بعض أجزاء الكتاب كانت مفقودة منذ زمنه (القرن السابع الهجري) وأن سبب ذلك تعريض المؤلف ببعض قبائل اليمن . وفي ظني أن الجزء الثالث فقد بسبب تعريض المؤلف بالعدنانية فيه وتطاوله عليهم بسبب عصبيته القحطانية .

ومما تقدم يتبين لنا أن كتاب الإكليل ليس كتاباً في الأنساب فحسب وإنما يشتمل على موضوعات أخرى ، وسوف أقصر حديثي على الأجزاء الحاوية للأنساب وهي الأول والثاني والعاشر .

ففي الجزأين الأول والثاني تناول المؤلف الأنساب الحميرية ، وفي الجزء العاشر ذكر أنساب كهلان بن سبأ – الجذم الثاني من قحطان – وأنساب همدان خاصة .

وكان الجزآن الأول والثاني مفقودين إلى أن عثر عليهما الأستاذ محمد بن علي الأكوع لدى أحد أصدقائه فحققهما ونشرهما وأضاف إلى الكتاب حواشي وافية . وقد سرد في مقدمة الجزء الأول تفصيل عثوره على

---

(٢١) إنباه الرواة ١/٢٨٢ .

هذين الجزأين ، وكان قد عثر على مخطوطة في برلين تشتمل على هذين الجزأين ولكنها نسخة رديئة فيها بياض في مواضع كثيرة ، فنشر الجزء الأول اعتماداً عليها ، وبعد عثوره على الجزأين في اليمن أعاد نشر الجزء الأول فصحح ما وقع فيه من أغلاط في الطبعة الأولى نبهه إليها الأستاذ الشيخ حمد الجاسر في مقالات نشرها في مجلة العرب وكذلك نبهه الشيخ محمد بن علي الأشول إلى بعض الأخطاء فتداركها في هذه الطبعة ، ثم نشر الجزء الثاني سنة ١٩٦٦م .

على أن النسخة التي عثر عليها الأستاذ الأكوع لدى القاضي محمد بن عبد الله العمري ليست في الواقع عين كتاب الإكليل ، وإنما هي قسم من كتاب ألّفه الأمير اليمني محمد بن نشوان بن سعيد الحميري ، وأبوه نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ) هو أحد ملوك اليمن ومؤلف مشهور له كتاب « شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم » ومؤلفات أخرى ، وابنه الأمير محمد من أعيان علماء اليمن وشعرائها ، صنّف جملة من الكتب منها كتاب اختصر فيه كتاب أبيه شمس العلوم وسمّاه « ضياء الحلوم مختصر شمس العلوم » ، وكان على مخلاف خولان صعدة ثم قامت بينه وبين الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة حرب شارك فيها أنصارهما وانتهت بالموادعة بينهما ، ولا تعرف سنة وفاة محمد هذا .

وممّا يدل دلالة صريحة على أن الكتاب لمحمد بن نشوان ما جاء في مقدمته، بعد البسملة والحمدلة وهو قوله: « قال محمد بن نشوان بن سعيد الحميري : الحمد لله موجد الأشياء بعد العدم ، والمنفرد بأوصاف الوحدانية والقدم ... سألت أكرمك الله بأنواع كرامته ، وأعاذك من صرعة الباطل وندامته ، أن أوضّح شيئاً من أنساب حمير وأخبارها ، وما حفظ من سيرها وآثارها ، فأجبتك إلى ما سألت ، وأشفعتك منه بما طلبت ، مؤمّاً بما ذكره

الشيخ الفاضل المؤتمن لسان اليمن ، وفائق من كان فيه من الزمن ، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهَمْداني ، رحمه الله ، مما صحّحه من علمه الجليل ، وحققه في كتابه المعروف بالإكليل ...» .

وبعد أن يثني على الهمداني وعلمه الغزير يقول : « فأثبتُّ في النسب ما أتى به ذاكراً لما ذكره في كتابه ، غير أني اختصرت شيئاً ممّا ذكره في النسب ، ليس هو من جملته بمحتسب »[٢٢] .

وفي الكتاب أكثر من إشارة دالة على أن مؤلف الجزأين الأول والثاني اللذين عثر عليهما المحقق في اليمن ليسا عين كتاب الإكليل وإنما هما من تأليف محمد بن نشوان ، ومن ذلك مثلاً ما نجده في ص٢٩٨ من الجزء الأول وهو : « وهم الذين ذكرهم الهمداني في برية القسي » ، فهو يتحدث عن الهمداني بصيغة الغائب . وكتاب محمد بن نشوان هو اختصار لما ذكره الحسن بن أحمد الهمداني من أنساب حمير ، وقد أضاف إليه إضافات يسيرة . على أن تصريح محمد بن نشوان بأنه نقل ما في الإكليل بنصه لم يكد يغير فيه إلاّ أشياء يسيرة يأذن بأن ينظر إلى هذين الجزأين على أنهما صورة لكتاب الإكليل للهمداني ، وهذا ما فعله محقق الجزأين . وقد ألف محمد بن نشوان كتابه تلبية لطلب صديق له طلب إليه بيان أنساب حمير[٢٣] .

تحدث الهمداني في الجزء الأول عن أنساب حمير ولكنه بدأ أولاً بذكر مبدأ الخلق وتناسل ولد آدم حتى بلغ أبناء نوح ومن تناسل منهم ، ثم ذكر نسب هود عليه السلام واختلاف أقوال النسابين في نسبه واختلافهم

---

(٢٢) الكتاب ١/٨١ .

(٢٣) الكتاب ١/٨٠ .

كذلك في نسب قحطان وهل هو من نسل إسماعيل أو لا ، حتى انتهى إلى نسب حمير .

وفي ذكره لأنساب حمير وقف أولاً عند نسب قبيلة قضاعة ، وهي حميرية عند جمهور النسابين ، ففصّل القول في نسبها وعدّد قبائلها وبطونها ، ووقف وقفة مطوّلة عند قبيلة خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . وبذلك انتهى الجزء الأول . .

وفي الجزء الثاني استمرّ المؤلف في سرد الأنساب الحميرية ، وذكر الخلاف بين النسّابين في نسب « الصَّدِف » . وهل هم من حمير أو من حضرموت أو من كندة ، ثم أخذ في سرد نسب من تناسل من الهميسع بن حمير ، فلما فرغ من الهميسع انتقل إلى مالك بن حمير الفرع الثاني من حمير وأخذ في سرد نسب قضاعة بن مالك بن حمير على وجه الإيجاز ، ولكنه حينما بلغ قبيلة خولان وقف عندها وقفة طويلة وقال في ذلك : « قد ذكرنا قبائل قضاعة ذكراً مجملاً لشهرتها عند الناس ووقوف العامة عليها واستعمالهم لها ، وعمران قلوبهم بها وأسماعهم ، سوى خولان فإننا رأينا أن نشبع القول فيها لتلحق في التشجير والتعريف بباقي إخوتها من قضاعة ، ونحرص أن نأتي من ذلك بما يعرفه أهل نجد وبعض أهل الحجاز وكافة أهل اليمن ونجران . ومن يبلغه رحلتهم ويبلغهم رحلته . ولو كانت صعدة في القديم من البلدان التي رحل إليها أصحاب الحديث – أي الحديث النبوي – لانتشرت أخبارها كما انتشرت أخبار صنعاء ، فهذه الآن بطونها على ما روى خولان وحمير بصعدة ، وقد سكنت بها عشرين سنة فأطللت على أخبار خولان وأنسابها ورجالها كما أطللت على بطن راحتي ، وقرأت بها سجلّ محمد بن أبان الختفريّ المتوارث من الجاهلية »[٢٤] .

---

(٢٤) الكتاب ١/٢٧٤ .

فهذا النص يطلعنا على أحد الدوافع التي حملت الهمداني على العناية بنسب خولان فقبيلة خولان كانت بصعدة ، ولذلك لم تعرف كما عرفت القبائل التي نزلت صنعاء . على أن هناك سبباً أخر وراء عناية الهمداني بأنساب خولان ، وهو تلك الرعاية التي أحاطته بها قبيلة خولان ورؤساؤها ابان أقامته بمدينة صعدة ، ونهوضها لمؤازرته حين سجنه الإمام العلوي حتى اضطر إلى اطلاقه .

ومما يلفت النظر هنا أن الهمداني ذكر قبيلة خولان المنحدرة من جذم قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ ، وخولان هذه لا ذكر لها في جمهرة ابن الكلبي وكتب من تابعه من النسّابين ، أمّا خولان الأخرى المعروفة بِقُكل فهي تنتسب إلى كهلان بن سبأ .

وفي سياق سرده لأنساب خولان يستطرد الهمداني إلى ذكر نسب قبيلة عَنْز بن وائل لصلتها ببعض رجال خولان ، ثم يعود إلى خولان فيتمّ سرد أنسابها . وقد استغرق ذكر نسب خولان وحدها ستين ومئتي صفحة من الجزء الأول .

والجزء الثاني وقفه المؤلف على نسب الهميسع بن حمير. ومن المحقق أن كتاب الإكليل هو أوسع مصدر لهذا النسب ، وقد استغرق نسب الهميسع الجانب الأكبر من هذا الجزء ، ولما فرغ منه أورد مشجّرة لهذا النسب ، ثم الحق بنسب حمير أبواباً تتصل بالأسماء الحميرية : ما اتفق من أسمائها في الحروف وما اختلف ، وكذلك ما اتفق في أسمائها مع أسماء قبائل أخرى ، ونحو ذلك . وبذلك تم الجزء الثاني من الكتاب .

وفي الجزء العاشر — وهو الأخير — من الكتاب ينصرف الهمداني إلى ذكر أنساب كهلان بن سبأ ، وهو الجذم الثاني من قحطان ، فيذكر أولاً

تفرّع كهلان فروعاً ثلاثة : عريباً ، ومالكاً ، وغالباً ، ثم يسرد الأنساب المتفرعة من هؤلاء . ومنها قبيلة خولان العالية (فَكْل)[٢٥] التي تنتسب إلى عمرو بن مالك بن الحارث بن مُرّة بن أُدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن كهلان .

ونسب كهلان في هذا الجزء غاية في الاختصار ، باستثناء هَمْدان ، فالمؤلف اكتفى بذكر قبائلها في صفحات قليلة ، ولم يعن بتفصيل أنسابها ، على خلاف ما صنع في ذكر الأنساب الحميرية . أمّا همدان فقد فصّل القول في أنسابها تفصيلاً لا مزيد عليه . ولا غرابة في ذلك فهي قبيلته . ويكاد يكون الجزء العاشر وقفاً على أنساب همدان .

نهج المؤلف في ذكر الأنساب :

جرى الهمداني على النهج الذي سلكه جُلّ النسّابين في التفريع من الأصول بأسلوب الجملة الفعلية التي يبدؤها بلفظ (أولدَ) أو (وَلَدَ) .

ولكن المؤلف لم يقتصر على ذكر الأنساب وإنما أضاف إليها أشعاراً وأخباراً واستطرادات كثيرة حتى لتكاد هذه الإضافات تملأ من الصفحات أكثر مما ملأته الأنساب . وجل الأشعار التي أوردها هي لشعراء يمانين وقلة منها لشعراء عدنانيين ، والمؤلف نفسه كان شاعراً والكتاب يشتمل على طائفة كبيرة من أشعاره .

مصادر الكتاب وقيمته : .

للكتاب في طبعته التي انتهت إلينا مقدمتان متداخلتان ، أولاهما

(٢٥) خولان هذه غير خولان القضاعية التي ذكرها الهمداني في الجزء الأول ، وكانت منازل خولان العالية في مخلاف يقع جنوبي صنعاء ، أما خولان قضاعة فكانت منازلها في صعدة وما حولها ، وهي التي نزل المؤلف فيها .

لمحمد بن نشوان الحميري ، وقد ذكر فيها أنه أخذ ما في كتاب الإكليل من أنســاب حمير وأثبتـه في كتـابه ، وتليهـا مبـاشرة مقدمة الهمداني لكتاب الإكليل ، وقد ذكر فيها مصـادره في الأنساب الحميرية ، فقد أخذ جُلّ هذه الأنساب عن نسّابة حمير أبي نصر البهري محمد بن عبد الله بن سعيد الحميري ، كما أخذ عن شيخ آخر هو محمد بن أحمد الأوساني ، واستمدّ كذلك من سجلّ كان يحتفظ به الصعديّون من قبيلة خولان القضاعية . وهو سجل محمد بن أبان الخنفري المتوارث من الجاهلية . وقد ذكره المؤلف مرّات في كتابه[٢٦] . وأخذ كذلك عن علماء آخرين وعن نسّابي القبائل التي اتّصل بها . وهو يأخذ على النسّابين الكلبيين (مثل محمد بن السائب الكلبي وابنه هشام) أنهم استقصوا أنساب القبائل الحميرية التي اتصلوا بها والتي تمتّ في نسبها إلى مالك بن حمير – ومنها قضـاعة – في حين أنهم أغفلوا أنساب الهميسع بن حمير، يقول في ذلك: « لم أزل كلفاً بالبحث عن الأنساب ، والفحص على صحيحها ، والوقوف على سقيمها ، والتصفح لما أتى به النُسّـاب ، فأُخذنا عن ناسب كل قبيلة متقناً لأنسابها من قاربه وعاشره وساكنه وخالطه ، راجماً فيمن نأى عنه بالغيب ، يجمع من سيرهم الحقير ، ومن أنسابهم اليسير ، ومن علمهم وحكمهم النزر من الكثير . ويزلّ عنـه منهـا الجمّ الغفـير . ورأيت نُسّـاب تلك النواحي – ولا سيما الكلبيين – استقصوا في أنساب ولد مالك بن حمير ، لما كان منهم بمرأى ومسمع ، وأتوا من نسب أخيه الهميسع بن حمير بمثل أثر في عفر ، لا دارس فيعفو ، ولا بيّن فيبدو ، لمّا قلت رحلتهم إلى من قطن منهم باليمن ، ولم يلقوا بنهوجهم من ذوي معرفتهم غير أعقاب من ظعن ، فنتف ذلك واختصر ذا ، وأتوا من أنســابها بعنق يختـلف عنها بدنها ، وكذلك غيرهم من

---

(٢٦) انظر مثلاً ١/٢٧٤ .

النُسّــاب ، حتى إن محمد بن إسحاق أتى ، فيا سمعنا عنه ، بنسب ولد الهميسع في خمسة أسطر ، فقلت : أين مّمن لم يزل بعدهم مُوجفاً (يقصد نفسه) يغور وينجد ، ويقرب ويبعد . في طلب من يعلم ذلك على كماله . مثل شيخ حمير ونابها وعلامتها وحامل سفرها ووارث ما ادّخرته ملوك حمير في خزائنهـا . من مكنون علمهـا ، وقارىء مســاندها ، والمحيط بلغاتها ، أبي نصر محمـد بن عبـد الله بن سـعيـد ... ويشـهـر بصـنعـاء بأبي نصر الحنبصي ... فمـا أخذته عنـه ما أثبتّـه في كتـابي هذا من أنســاب بني الهميسـع بن حمـير وعدّة الأذواء ، وبعض مـا يتبع ذلك من أمثـال حمير وحكمها ، إلا ما أخذته عن رجال حمير وكهلان من سجلّ خولان القديم بصعدة ، وعن علماء صنعاء وصعدة ونجران والجوف وخيوان ، وما خبّرني به الآباء والأسلاف »[٢٧] .

لكتاب الإكليل قيمة كبيرة في بيان أنساب حمير وهمدان ، فليس بين أيدينا مصدر عنهما أوفى مما ذكره الهمداني في كتابه . وابن الكلبي لم يعن في كتابه إلا بأنساب مالك بن حمير ، أما نسب الهميسع بن حمير فهو غاية في الإيجاز ، وقد علل الهمداني جهله به بعدم ارتحاله إلى اليمن واتصاله بنسّـابيها ، وقد أتيح للهمداني من مصـادر الأنساب الحميرية ما لم يتح لسواه من علماء النسب .

إلى ذلك نجد في الأجزاء التي تحدثت عنها أخباراً عن اليمن وملوكها وأحداثها وأشعـاراً لشعراء اليمن الذين استقرّوا فيهـا ولم يرتحلوا إلى مواطن أخرى ، وأشعاراً لغيرهم . فهو إذن مرجع في الأنساب والتاريخ والأدب لا نظير له في مصنفات اليمنيين .

(٢٧) الكتاب ٨٣/١ .

تحقيق الكتاب يفتقر إلى مزيد من العناية ، فقد وقع المحقق في أخطاء كثيرة لا موضع لتعدادها هنا ، وكذلك لم يخل الجزء العاشر الذي حققه الأستاذ محيي الدين الخطيب من بعض الأخطاء ، وقد نبه الأستاذ حمد الجاسر إلى طائفة منها في مقالته في مجلة المجمع[٢٨] ، والإنصاف يقتضينا أن نشيد بما بذله المحققان من جهد كبير في التحقيق ، فليس من اليسير تحقيق كتب علماء اليمن لغرابة ما فيها من أسماء أعلام الأشخاص والأماكن وصعوبة التثبت من ضبطها ، بالقياس إلى قبائل شمالي الجزيرة وبلاد الشام . ونرجو أن يسعف الدهر بالعثور على سائر أجزاء الكتاب المفقودة فهو على الجملة موسوعة عظيمة الفائدة عن اليمن وقبائلها وأخبارها ولغاتها وشعرائها..

(٢٨) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٢٥ الجزء الأول سنة ١٩٥٠م ص٦٢ وما بعدها .

علم العربية في المراحل القرآنية(*)

الدكتور عوض القوزي

بلغت اللغة العربية درجة النضج اللغوي قبل نزول القرآن الكريم ، وأدرك أهلها ما تتميز به لغتهم من حيث الشمول والقدرة على احتواء المعاني ، وتفاضل المتكلمين بها في الفصاحة ، وعن طريق اتصال العرب في الحج والأسواق عرفت العربية البلغاء والشعراء وتمايز العرب في لهجاتها ، كما عرفت أيضاً علو شأن لغة قريش ، وسيطرتها في الساحة اللغوية والأدبية ، واعجاب العرب من غير قريش بما وصلت إليه قريش من فصاحة اللسان وهيمنة اللغة .

وجاء القرآن الكريم ليؤكد هذه الحقيقة فكان في عمومه بلغة قريش ، فقد روي : عن عمر ، رضي الله عنه ، أنه أوصى أن يكتب القرآن بلسان قريش فإنما أنزل بلسانهم(1) ، ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِيْنٍ ﴾(2) ، أفحم البلغاء وتحداهم ببيانه فما استطاعوا أن يأتوا بعشر سور مثله(3) ، بل لقد عجزوا أن يأتوا بسورة من مثله(4) . ونزولُ القرآن بهذا الإعجاز أضاف إلى

---

(1) انظر : إيضاح الوقف والابتداء ١٣/١ .

(2) سورة الشعراء الآية/١٩٥ .

(3) قال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِه مُفْتَرَياتٍ ، وادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُوْنِهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ سورة هود ، الآية/١٣ .

(4) قال تعالى : ﴿ وإِنْ كُنْتُم فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلى عَبْدِنَا ، فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِّنْ دُوْنِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ ﴾ سورة البقرة ، الآية/٢٣ ، وقال جل

العربية رصيداً تقوّي به بلاغتها ، وتحتكم إليه فصحاؤها . تلقّاه الصحابة ، رضوان الله عليهم ، مشافهة من رسول الله ، ﷺ ، وكان بعضهم يكتب آياته ، ولكن أكثرهم كان يعتمد على الحفظ دون الكتابة . ثم لما لحق الرسول عليه السلام بالرفيق الأعلى ، ولحق به خلق كثير من حفظة الكتاب العزيز ، خاصة بعد معركة اليمامة(٥) ، خاف المسلمون أن يُقضى على القرآن بالقضاء على حفظته في حروب الفتح . فهرعوا إلى أبي بكر ، يعرضون الأمر عليه ، ويلتمسون الحل لديه ، وكان في مقدمتهم عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يشرح لخليفة رسول الله ، أن القتل قد استحرّ بالقُرَّاء يوم اليمامة ، ويخشى أن يستحرَّ القتلُ فيهم في المواطن كلها ، فيذهب كثير من القرآن ، واقترح أن يُجمع القرآن بحال ، وتَرَدَّدَ أبو بكر ، رضي الله عنه ، وهاب الإقدام على عمل لم يفعله رسول الله ، ﷺ ، وأخذ عمر يراجعه ويقنعه بجدوى جمع القرآن ، حتى شرح الله صدره لما كان قد شرح له صدر عمر ، فوكل أبو بكر تلك المهمة إلى زيد بن ثابت وقال له : إنك رجل شاب عاقلٌ لا نتَّهمك ، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ، ﷺ ، فتتبع القرآن واجمعه ، قال زيد : فوالله لنقل جبل من الجبال ما كان أثقلَ عليّ من الذي أمرني به من جمع القرآن(٦) . ولنا أن نسأل : لماذا هرع المسلمون إلى أبي بكر يطلبون منه جمع القرآن ؟ لِمَ لَمْ يتطوع أحدهم أو بعضهم

= ذكره : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ ، فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، سورة يونس ، الآية/٣٨ .

(٥) بعد وفاة النبي ﷺ ارتد بعض قبائل العرب عن الإسلام ، فقاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكانت أقسى المعارك ضراوة على المسلمين تلك التي خاضوها مع المرتدين في اليمامة سنة اثنتي عشرة للهجرة ، انظر معجم البلدان ، (جـ٥ ، ص٤٤٢ ، يمامة) .

(٦) انظر الفهرست : ٢٤ .

بذلك ؟ ، الجواب أن القرآن وإن كان الله قد حفظه[٧] فإن مسؤولية رعايته في الأرض نيطت بمن يتولى أمر المسلمين ، وأن عليه مسؤوليته ، وأُطْر المسلمين إلى أحكامه . ونظامُ الإسلام جعل للحاكم الطاعة وعليه الرعاية لما يصلح أمر المسلمين ، ومن إصلاح حالهم المحافظة على كتاب الله نوراً يهديهم . لذلك ما كان أحد ليجرؤ على عمل يتصل بالقرآن غير أبي بكر ، ولو كان ذلك في مقدور أي أحد لكان عمر جديراً بالإقدام عليه وتنفيذه ، ولأنه عمل يتصل بالأمة كلها ، كان خليفة المسلمين هو المسؤول عنه . وجُمع القرآنُ من الرقاع ، واللخاف ، والعُسُب ، وصدور الرجال ، وبقيت صحفه عند أبي بكر حياته ، وانتقلت إلى عمر بن الخطاب حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة ابنة عمر ، رضي الله عنهما . وخلال هذه المدة أخذ المسلمون في نشر الدعوة الإسلامية شرقاً وشمالاً وغرباً ، وكان الفاتحون يقرؤون كتاب الله كل بالحروف التي بلغتهم ، وطبيعي أن تظهر بينهم اختلافات في القراءة ، لكن تلك الاختلافات أخذت تشتد عندما اجتمع في غزو أذربيجان وأرمينية أهل الشام وأهل العراق ، واستمع بعضهم إلى بعض وهم يتلون القرآن ، فلاحظوا اختلافاً ، وتنازعوا حتى كاد بعضهم يكفّر بعضاً[٨] ، ثم إن حذيفة بن اليمان ، قدم على عثمان بن عفان ، فقال له : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، وأبلغه خلاف الناس في القراءة ، ففزع عثمان لذلك فزعاً شديداً ثم أرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك ،

---

(٧) قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ سورة الحجر/٩ . وقال سبحانه : ﴿ بل هو قُرْآنٌ مَجِيدٌ ، فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ سورة البروج/٢١ ـ ٢٢ .

(٨) انظر السبعة لابن مجاهد/١١ (م) .

فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر رضي الله عنه ، زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف ، حتى إذا نسخ المصحف ، ردّ عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق مصحفاً ، وأمر بكل ما سوى ذلك من القرآن أن يحرق[٩] . إن جمع الناس على مصحف واحد ليس بالأمر اليسير ، ولقد كان من جلائل الأعمال ، ولولا إرادة الله المتمثلة في حفظ كتابه ، ثم لولا سلطة الخلافة ، لما استطاع عثمان جمع الأمصار على مصحف واحد ، لا سيما وقد غبروا على قراءة ما يخالفه مدة ليست بالقليلة ، فضلاً عن أنهم تلقوه من ثقات إنْ في الشام أو في العراق . وهذه الخطوة في خدمة القرآن ما كانت لتقوم بها قوة غير قوة الولاية لأمور المسلمين ، وهي لا تقل في خطرها عن سابقتها التي تمثلت في جمعه في الصحائف بعد أن كان مبعثراً في صدور الرجال .

وما إن يُقْضى على مشكلة حتى تقوم أخرى ، ويكون على ولي أمر المسلمين مواجهتها بما يلائمها من الحلول ، فما إن عولجت قضية اختلاف القراءة حتى ظهرت قضية هي من الخطر بمكان ، وأعني بها قضية اللحن في قراءة القرآن . هذه القضية نشأت وكبرت بتزايد الداخلين في دين الإسلام من الأمم الأخرى غير العربية ، فكانوا يقرؤون القرآن لا يقيمون حروفه لصعوبة ذلك عليهم ، وكان عليهم أن يقرؤوه كما تعلموه وكما أنزل ، فكان طبيعياً أن يدفعهم الحرص على قراءة القرآن إلى التماس كل ما من شأنه تذليل تلك الصعوبة . يضاف إلى ذلك أن الحياة الجديدة أخذت تجذبهم إلى تعلم العربية باعتبار أنها لغة الدين الذي ارتضوه ، ولما لم يكن أمامهم من وسيلة لحذق هذا اللسان غير المشافهة ، رأيت اللحن يسري في كل ناحية ،

(٩) انظر المصدر السابق/١١ ، والفهرست/٢٤ ـ ٢٥ .

وأدركوا فضل العرب على من سواهم ، وشرعوا في طلب العربية بكل سبيل يؤدي إلى فهم الكتاب العزيز ، وإقامة حروفه ، وفهم معانيه وأسراره ، وأدركوا أن الوصول إلى ذلك لا يتحقق إلا عن طريق حذق العربية ، فقد حدَّث التاريخي بإسناد رفعه إلى سلمة بن قتيبة قال : كنت عند ابن هبيرة الأكبر ، قال : فجرى الحديث حتى ذكر العربية ، فقال : والله ما استوى رجلان دينهما واحد ، وحسبهما واحد ، ومروءتهما واحدة ، أحدهما يلحن ، قال : فقلت : أصلح الله الأمير ، هذا أفضل في الدنيا لفضل فصاحته وعربيته ، أرأيت الآخرة ما باله فضِّل فيها ؟ ، قال : إنه يقرأ كتاب الله على ما أنزل الله ، والذي يلحن يحمله لحنه على أن يدخل في كتاب الله ما ليس فيه ، ويخرج منه ما هو فيه ، قال : قلت : صدق الأمير وبرّ[١٠] .

ولم يقف أمر اللحن عند الأعاجم ومن في حكمهم ، بل تعدى إلى الناشئة العربية ، وأصبح يشكل ظاهرة تدفع إلى التندر تارة ، وإلى التخوّف على مستقبل الفصاحة العربية تارة أخرى .

وأخذ اللحن ينتشر حتى بين سراة القوم فرأوه هجنة على الشريف ، ونظروا إليه فكان في أنظارهم أقبح من آثار الجدري في الوجه[١١] ، وهو في الكتاب أقبح منه في الخطاب ، ولذلك عندما تلقى عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، كتاباً من الحصين بن أبي الحر[١٢] ، فلحن في حرف منه ، كتب عمر إليه أن قنّع كاتبك سوطاً[١٣] ، وكان عبد الملك بن مروان

---

(١٠) إرشاد الأريب ١/٨٣ – ٨٤ .

(١١) انظر البيان والتبيين ٢/٢١٦ ، العقد الفريد ٢/٤٧٨ .

(١٢) قيل إن الذي بعث بالكتاب إليه هو أبو موسى الأشعري ، انظر أدب الكتاب/١٢٩ .

(١٣) البيان والتبيين ٢/٢١٦ – ٢١٧ .

يقول : اللحن أقبح من التفتيق في الثوب النفيس[١٤] ، وتحرج بعضهم من مساءلة شيخه ، وما كان له من سبب غير أن لحنه يمنعه[١٥] . ويصل الحال بعضهم إلى أن يتقزز من سماع اللحن ، فعمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، يقول : أكاد أضرس إذا سمعت اللحن[١٦] ، وكان ابن عمر يضرب ولده على اللحن كما كان يضربهم على تعليم القرآن[١٧] وكان سراة القوم لا يتركون تفقد أبنائهم ومتابعة تلقينهم الفصاحة والأدب فهذا معاوية ، رضي الله عنه ، يكتب إلى زياد يطلب عبيد الله ابنه ، فلما قدم عليه كلّمه ، فوجده يلحن ، فردّه إلى زياد ، وكتب إليه كتاباً يلومه فيه ويقول : أمثل عبيد الله يضيّع ؟[١٨] ، ويقف عبد الملك بن مروان على لحن ابنه الوليد بن عبد الملك ، فيلوم نفسه في ذلك قائلاً : أضرّ بنا في الوليد حُبُّنا له ، فلم نلزمه البادية[١٩] ، بل إنهم ليعدون سريان اللحن إلى ألسنة الأبناء نتيجة لتفريط الآباء وإهمالهم ، فهذا أبو جعفر المنصور وهو من هو في الشرف والمجد ، عندما سمعه الأعرابي يلحن قال لآخر كان يجلس إلى جانبه : ما كان أهون هذا القرشي على أهله[٢٠] ، ولم يعدّوا اللحن في الرجل السري نقصاً فحسب ، بل تجاوزوا بذلك إلى أنهم أصبحوا لا يرون للاحن

---

(١٤) عيون الأخبار ١٧٣/٢ .

(١٥) انظر البيان والتبيين ٢١٩/٢ .

(١٦) انظر الأضداد/٢٤٥ .

(١٧) انظر : ارشاد الأريب ٨٩/١ ، والأضداد/٢٤٤ .

(١٨) المحكم في نقط المصاحف/٣ ، إيضاح الوقف والابتداء ٣٩/١ ــ ٤٠ ، روى الجاحظ أنه كانت في عبيد الله لكنة ، لأنه كان نشأ بالأساورة (وهم قوم من العجم بالبصرة) مع أمه مرجانة . انظر البيان والتبيين ٢١٠/٢ .

(١٩) انظر العقد الفريد ٣٠٩/٢ . وكان الوليد بن عبد الملك لحاناً .

(٢٠) انظر : إرشاد الأريب ٨٥/١ .

حرمة[٢١] ، وإن كان إماماً أُخَر[٢٢] ، وأن الرجل - وإن بهر الآخرين بمظهره - فإنه إذا لحن يخف في أعينهم[٢٣] ، ولا أدل على ذلك من تقدير الأعرابي لأبي جعفر المنصور ، وعندما سمعه يكثر من اللحن قال : أشهد لقد وليتَ هذا الأمر بقضاء وقدر[٢٤] ، ويرى بعضهم أن اللحن لو كان من الذنوب لعدّ من الكبائر[٢٥] ، وقد يعدّون استماع اللحن مؤدياً إلى تردّي الحال الصحية لمريض لا يطيق سماعه[٢٦] ، بل يصل الأمر ببعضهم إلى أن يستغفر الله إذا وقع في اللحن[٢٧] .

هذا إذا كان اللحن في الكلام العادي فما بالك به وقد وقع في القرآن الكريم ، إنه بلا شك أمر يستوجب استنهاض الهمم ويدعو إلى الاستنكار ، وهاك بعض المواقف التي استنكر فيها الأعراب لحناً سمع في بعض حروف القرآن الكريم ، روى ابن قتيبة قال : « سمع أعرابي إماماً يقرأ ﴿ وَلاَ تَنْكِحُوا المشركين حتى يؤمنوا ﴾[٢٨] بفتح تاء تَنْكِحُوا ، فقال : سبحان الله ، هذا قبل الإسلام قبيح فكيف بعده ؟ فقيل له : إنه لحن ، والقراءة ﴿ ولا تُنْكِحُوا ﴾ فقال : قبحه الله ، لا تجعلوه بعدها إماماً فإنه يحل ما حرم الله »[٢٩] ثم قصة ذلك الأعرابي الذي قدم في زمان عمر بن الخطاب

---

(٢١) انظر إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل ٤٨/١ .
(٢٢) العقد الفريد ٣٠٨/٢ .
(٢٣) إرشاد الأريب ٨٣/١ .
(٢٤) انظر : المصدر نفسه ٨٥/١ ، وانظر : عيون الأخبار ١٧٥/٢ .
(٢٥) أدب الكاتب/١٣٢ .
(٢٦) انظر : المصدر السابق/١٣٢ .
(٢٧) انظر : المصدر نفسه/١٢٩ ، إيضاح الوقف والابتداء ٣٣/١ .
(٢٨) سورة البقرة ، الآية ٢٢١ .
(٢٩) عيون الأخبار ١٧٥/٢ .

يطلب أن يقرئه بعضهم شيئاً مما أنزل على محمد ، فأقرأه رجل « براءة » فقال « أن الله بريء من المشركين ورسولِه » بالجر ، فقال الأعرابي : أو قد برئ الله من رسوله ؟! إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه ، فبلغ عمر مقالة الأعرابي ، فدعاه وبيّن له صواب القراءة ، فما كان من الأعرابي إلا أن قال : وأنا أبرأ ممن برئ الله ورسوله منه[30] .

وتدور الخواطر في أذهان المفكرين من الأمة ، كلٌ يريد أن يصنع شيئاً يقيم به اللسان الذي فارق سبيل العرب في أصواتها وإعرابها ، على غرار ما نرى من أبي الأسود عندما سمع اللحن في كلام بعض الموالي فقال : « هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام ، ودخلوا فيه فصاروا لنا إخوة ، فلو علمناهم الكلام »[31] .

وبالمقابل ترتفع الدعوة إلى تعلم الإعراب ، وهو سبيل العرب في الإبانة عن أغراضها ، يقول مالك بن أنس : « الإعراب حَلْيُ اللسان فلا تمنعوا ألستكم حليها »[32] ، ويأتي الحث على التماس الإعراب في قراءة القرآن على وجه الخصوص ، فيقول عمر ، رضي الله عنه ، مثلاً : « تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه »[33] ، ويروى عن ابن مسعود أنه قال : « جرِّدوا

---

(٣٠) انظر : إيضاح الوقف والابتداء ٣٨/١ ـ ٣٩ ، وفي رواية أن الأعرابي لما سمع اللحن في القراءة قال : والله ما أنزل الله هذا على نبيه محمد ، فبلغ الأمر عمر ، رضي الله عنه ، ولم ينكر الأعرابي مقولته المبنية على ما سمع من لحن القارئ ، فقال عمر : صدق الأعرابي ، إنما هي « ورَسُولُه » انظر إيضاح الوقف والابتداء ٣٧/١ ـ ٣٩ ، وانظر أيضاً تفسير القرطبي ٢٤/١ .

(٣١) انظر أخبار النحويين البصريين/١٨ .

(٣٢) انظر : المصدر نفسه/٢٣ .

(٣٣) إيضاح الوقف والابتداء ٣٥/١ .

القرآن وزينوه بأحسن الأصوات وأعربوه ، فإنه عربي ، والله يحب أن يُعْرَب »[٣٤] وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : « أعرِبُوا القرآن »[٣٥] .

وتتواتر الآثار عن صحابة رسول الله ، ﷺ ، في الحث على إعراب القرآن ، وما يترتب على إعرابه من الثواب[٣٦] ، ويرقى ذلك إلى عهد رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ، فعن أُبيّ بن كعب ، رضي الله عنه ، أنه كان يقرئ رجلاً فارسيّاً ، فكان إذا قرأ عليه ﴿ إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ ﴾[٣٧] قال : « طَعَامُ اليَتِيْم » فمر به النبي ، ﷺ ، فقال : « طَعَامُ الظَّالِم » ففصح به لسانه ، فقال النبي ، ﷺ ، لأبي بن كعب : قوّم لسانه وعلّمه ، فإنك مأجور ، وإن الذي أنزله لم يلحن فيه ، ولا الذي نزل به ، ولا الذي أنزل عليه ، وإنه قرآن عربي »[٣٨] .

إن الفصاحة مطلب عظيم ، والعرب تتوخّى مواطنها بين البدو الخلّص ذوي السليقة السليمة ، فتلحق أبناءها وهم في طور الاكتساب وطراوة اللسان بتلك القبائل التي تميزت بالإعراب والبيان ، وكان الموسرون من قريش يبعثون أولادهم إلى البادية لهذا الغرض ، ولا أدل على ذلك من

---

(٣٤) المصدر نفسه ١٦/١ ، تفسير القرطبي ٢٣/١ وفيه « جوّدوا القرآن ... » وأظن الرواية الأولى أصح ، لأن المعنى يفضي إلى تجريد القرآن مما كان بعض الصحابة يثبت في مصحفه من تفسير لغريبه ، أو نحو ذلك .

(٣٥) تفسير القرطبي ٢٣/١ .

(٣٦) انظر : المصدر السابق ٢٣/١ ، إيضاح الوقف والابتداء ١٦/١ ، ميزان الاعتدال ٥٤١/٤ .

(٣٧) سورة الدخان الآية/٤٣ .

(٣٨) مقدمتان في علوم القرآن/٢٢٩ – ٢٣٠ ، وانظر حديثاً آخر في إيضاح الوقف والابتداء ١٦/١ .

إيفـاد محمد بن عبد الله ، ﷺ ، وهو صغير إلى بني سعد واسـترضـاعه حليمة السعدية ، وهناك بدأ نشأته الطيبة ، واكتسب الفصاحة ، ونجا مما قد يصيب ناشئة مكـة من فســاد السـليقة نظراً لما يلابسهم من الرقيق والخدم[٣٩] . وكان عـليـه الســلام يفخر بذلك الاســترضــاع ، فيقول لأصحــابـه : « أنـا أَعْرَبُكُـم ، أنَا قرشي ، واستُرضِعْتُ في بني سعد بن بكر »[٤٠] ، وقد مرّ بنا تأسف عبد الملك بن مروان على فساد سليقة ابنه الوليد لعدم إلزامه البادية .

ولما كانت العربية هي المروءة الظاهرة التي ترفع الوضيع إلى مراتب الأشراف[٤١] ، وأن الفصاحة إحدى المروءتين[٤٢] ، وأن تعلُّم النحو جمال للوضيع[٤٣] . كان الإقبـال على التحلي بحليتهـا كبيراً ، والتنافس على بابها شـديداً ، وكان على مفكري الأمة وقادتها أن يستجيبوا لرغبـات الرعية ، ويحافظوا على ما تقيم به ألسنتها عند قراءة كتاب ربها .

لقد انطلق علم النحو من منطلق قرآني ، والذي وضع أوّل لبنة فيه ما كان ليخطر بباله أنه يؤسس لعلم سيصبح له خطره وشأنه في الثقافة العربية الإسـلامية ، ولم يدر بخلده وهو يضع تلك الإشارات على أواخر الكلمات القرآنية أنه قد أعرب المصحف ـ على ما تعارفت عليه الأجيال من بعـده ـ . نظر مؤســـو النحو إلى الإعراب بمعنـاه الواسع المتضمن للإبانة ، أو قل طريق العرب في التعبير ، فحرصـوا على تمكـين إخوانهم

(٣٩) انظر سيرة النبي ، ﷺ ، ١٧٢/١ ـ ١٧٨ ، حياة محمد/٧١ .
(٤٠) سيرة النبي ، ﷺ ، ١٧٨/١ .
(٤١) انظر إيضاح الوقف والابتداء ٤٥/١ ـ ٤٦ .
(٤٢) انظر المصدر السابق ٤٧/١ .
(٤٣) انظر البيان والتبيين ٢١٩/٢ .

المستعربين من تلك الآلة وبالأخص عند قراءة كتاب الله الكريم ، لم ينظروا إلى إكساب غير العربي فصاحة العربي وبلاغته ، ولكنهم أخذوا على عاتقهم وضع علامات يهتدي بها غير العربي فينطق الحرف صحيحاً كما ينطقه العرب ، ليحموا الناس من الوقوع في شيء من اللحن في كتاب الله ، أو قل ليحموا كتاب الله من لحن اللاحنين .

وسواءٌ اتفقت الروايات أو اختلفت فيمن وضع تلك اللبنة الطيبة وأسس للدراسة النحوية ، فإنه لا خلاف في أن نقط الإعراب كان أول خطوة في هذا الميدان[٤٤] .

وهذا العمل وإن بدا بسيطاً في نظر المتأخرين ، فلقد كان جليلاً لم ينهض به إلا رجل كيّس ، وهبه الله الفطنة ، ويسّر له من ولاة الأمر من يشد أزره ويعينه على مهمة إعراب القرآن الصعبة . ولئن كانت فكرة الإعراب هذه هاجس المسلمين الغيورين على كتاب الله ، لا سيما وقد تفشى اللحن ، وسمعوه في بعض حروف القرآن ، إنّ أحداً لن يجرؤ على عمل شيء في كلام الله تحرجاً من أن يزيدوا في الحروف أو ينقصوا ، يضاف إلى ذلك أن مثل هذا الموقف لا يستطيعه فرد ، ولكن مسؤوليته تتعلق بوليّ أمر المسلمين . ثم لما شرح الله لها الصدور ، قيض الله لها أن تكون ، يستوي في ذلك إن كانت هذه الخطوة بتأييد من الخليفة عمر[٤٥] ، أو كانت بتوجيه

---

(٤٤) الآراء في هذه القضية ثلاثة :

الأول : يرى أن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، هو أول من صنع شيئاً .

الثاني : يرى أن أبا الأسود هو صاحب الخطوة الأولى دون غيره .

الثالث : يتردد بين أبي الأسود ونصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز ويحيى بن يعمر .

انظر : مراتب النحويين/٣٢ ، الفهرست/٣٩ ، أخبار النحويين البصريين/١٣ ، ١٥ ، إنباه الرواة ١/٤ ــ ٥ ، نزهة الألباء/٤ .

(٤٥) انظر : إيضاح الوقف والابتداء ١/٣٩ .

من علي بن أبي طالب رضي الله عنه(٤٦) ، أو كانت بأمر من زياد(٤٧) أو من عبيد الله بن زياد(٤٨) المهم أن مرحلة نقط الإعراب هذه ما كانت لتقوم لولا أنه كان للحاكم يد في تأييدها .

غَبَرَ الناس على ذلك بضع سنين ، وقد استبشروا بالتغلب على مشكلة اللحن في كتاب الله . لكن ذلك لم يدم طويلاً حيث ظهرت مشكلة أخرى ، تستدعي بذل جهد جديد ومواجهة جديدة ، تلك هي قضية التصحيف ، وتبدو هذه القضية أكثر خطراً من سابقتها لأنه قد يقع في التصحيف العربيُّ الصليب ، وقد يرتكبه في القرآن من تسعفه سليقته بالمرادف اللفظي الذي يوافق التنزيل في المعنى وفي الرسم ففي مثل قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيْلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا .. ﴾(٤٩) فيقرؤها « فَتَثَبَّتُوا » ، وفي قوله تعالى ﴿ مَا نُنَزِّلُ المَلائِكَةَ إلاَّ بِالْحَقِّ ﴾(٥٠) تقرأ (تُنَزَّل) ، أو (تَنَزَّل) ولئن كانت هذه الحروف قد قرأت بها القَرَأَةُ ، إن بعض التصحيف يذهب بعيداً عن الروايات المتواترة في وجوه القراءات ، وهذا لا يقره مسلم ، حتى ولو كان موافقاً للرسم والمعنى ، لأن القراءة سنة ،

(٤٦) انظر نزهة الألباء/٤ .

(٤٧) انظر أخبار النحويين البصريين/١٦ .

(٤٨) المصدر السابق/١٧ .

(٤٩) سورة النساء الآية/٩٤ .

(٥٠) سورة الحجر ، الآية/٨ . وهناك حروف كثيرة وقعت في القرآن الكريم تحتمل هجاءين وقراءتين منها ﴿ هنالك تَبْلو (تَتْلو) كل نفس ما أسلفت ﴾ الحجرات/٦ ، وقوله تعالى : ﴿ تقاسموا بالله لنبيِّتَنَّه (لَنُبَيِّنَنَّه) ﴾ النمل/٤٩ ، وقوله تعالى : ﴿ ولا تَجَسَّسُوا (تَحَسَّسُوا) ﴾ الحجرات/١٢ ، وقوله تعالى : ﴿ والعنهم لعناً كَبِيْراً (كَثِيْراً) ﴾ الأحزاب/٦٨ ، وقوله تعالى : ﴿ فمن خاف من موصٍ جَنَفاً (حَيْفاً) ﴾ البقرة/١٨٢ ، وغير ذلك في القرآن الكريم كثير .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « اتَّبِعُوا وَلاَ تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُم » ، وعن علي رضي الله عنه « أنَّ رسولَ الله ﷺ يأمُرُكُمْ أَنْ تَقْرَؤُوا القُرآنَ كَمَا عُلِّمتَم »(٥١) . قال أبو عمرو بن العلاء : « لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قد قرئ به لقرأت حرف كذا : كذا ، وحرف كذا : كذا »(٥٢) .

إن مما يدعو إلى التصحيف في العربية تشابه بعض الحروف الهجائية شكلاً ، وهذا ما يجعل قراءة بعضها مُشْكِلاً ، خاصة وأن الوجه الملفوظ قد يصل إلى المعنى نفسه وإن اختلف القصد ، ولعل في ما يلي من الأمثلة ما يكشف عن خطر التصحيف ، وكان في مثله دافع للمهتمين بالعربية إلى التماس مخرج يجنبهم مزالق التصحيف .

يروى أن امرأة جاءت إلى الفرزدق تستنجد به قائلة : إن ابني مع تميم بن زيد القيني بالسند ، وقد اشتقت إليه ، فإن رأيت أن تكتب إليه في أن يقفله إليّ ، فكتب إلى تميم :

تَمِيمَ بْنَ زَيْدٍ لاَ تَكُونَنَّ حَاجَتِي بِظَهْرٍ فَلاَ يَخْفَى عَلَيَّ جَوَابُهَا
أَتَتْنِي فَعَاذَتْ يَا تَمِيمُ بِغَالِبٍ وَبِالْحُفْرَةِ السَّافِي عَلَيْهِ تُرَابُهَا
فَهَبْ لِي (خُنَيْساً) وَاتَّخِذْ فِيهِ مِنَّةً أَهَبْهُ لأُمٍّ لاَ يَسُوغُ شَرَابُهَا

فلما ورد الشعر إلى تميم أشكل عليه الاسم ، لفقدان النقط على الحروف ، فقال : أقفلوا كل من اسمه خنيس ، أو حبيش ، أو حنيش ، أو حشيش ، أو خشيش ، فعُدّوا فكانوا ثمانين رجلاً(٥٣) .

(٥١) انظر السبعة/٤٦ ، ٤٧ .
(٥٢) المصدر السابق/٤٨ ، وانظر ما روي عن الحجاج بن يوسف من كتابة بعض الحروف في مصحف عثمان . كتاب المصاحف/٤٩ ـ ٥٠ .
(٥٣) الأضداد/٢٥٦ .

ويروى أن أبا نواس تهكم برجل فقال :

رَأى الصَّيْفَ مَكْتُوباً فَظَنَّ بِأنَّهُ لِتَصْحِيْفِهِ (ضَيْفٌ) فَقَامَ يُوَاثِبُهْ[٥٤]

حقاً لقد رُصدت مثل هذه الأمثلة بعد معرفة الإعجام ونقط الإعراب ، وما سبق مرحلة الإعجام كان بلا شك أكثر وأوسع ، ولعله لما وقع في قراءة القرآن أو أحاديث رسول الله ﷺ ، هُرِعُوا لصنع شيء تقيم به العامة لسانها . قال الحسن : « أهلكتكم العجمة ، يقرأ أحدهم الآية فيُعنى بوجوهها حتى يفتري على الله »[٥٥] ، ولعلنا نتصورهم سمعوا قارئاً يقرأ :

« وَلاَ يَغُوْثَ وَيَعُوْقَ وَبِشْراً »[٥٦] ، أو يقرأ : « جَعَلَ السَّفِيْنَةَ فِي رِجْلِ أَخِيْهِ »[٥٧] ، أو يقرأ : « وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْخَوَارِجِ مُكَلِّبِيْنَ »[٥٨] أو يقرأ : « ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ زَيْتَ فِيْهِ »[٥٩] ، فما تراهم يفعلون إزاء مثل هذا ؟! ما تراهم صانعين إزاء فقيه يقرأ قوله : « وَلاَ يَكُونُ النَّذْرُ إلاَّ فِي قَرْيَةٍ » وهو يعني « قُرْبَة » ؟ أو آخر يحدث بقول الشافعي فيقول : « ويُسْتَحَبُّ فِي الْمُؤَذِّنِ أَنْ يَكُونَ صَبِيّاً » ، فقيل له : ما العلة في ذلك ؟ قال : ليكون قادراً على الصعود في درج المئذنة ، وإنما هو « صَيِّتاً » ، من الصوت »[٦٠] .

---

(٥٤) انظر : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف/٢٠ . وهناك أمثلة مشابهة لهذا كثيرة .

(٥٥) مقدمة ابن عطية/٢٦١ .

(٥٦) سورة نوح ، الآية/٢٣ .

(٥٧) سورة يوسف ، الآية/٧٠ .

(٥٨) سورة المائدة ، الآية/٤٨ .

(٥٩) البقرة ، الآية/٢ .

(٦٠) انظر تصحيح التصحيف/١٦ .

ليس ثمة من علاج غيرِ صنع علامات يفرّق بها بين تلك الحروف المتشابهة . وقد روي لذلك أن السبب في نقط المصاحف أن الناس غبروا يقرؤون في مصاحف عثمان رحمةُ الله عليه نَيّفاً وأربعين سنة ، إلى أيام عبد الملك بن مروان ، ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ، ففزع الحجاج إلى كُتّابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات[٦١] .

وليس يهمنا في هذا المقام ذكر من قام بهذه المهمة الصعبة من العلماء ، بقدر ما يهمنا أن هذه الخطوة لم تكن لتقوم لولا اهتمام ولي الأمر بشأن القرآن الكريم ، والحرص على حمايته من تحريف التصحيف . على أن بعضهم يرتفع بتاريخ النقط هذا إلى عهد الصحابة رضوان الله عليهم[٦٢] ، لكن يبدو أن هذا كان خاصاً ببعضهم ولم يكن عليه الإجماع .

وكما كان أمر جمع القرآن في مكان صعباً ، وكَتْبُه في مصحف أصعب ، كما لم يكن نقطه بالإعراب أقل منهما خطورة ، كذلك فإن نقط الإعجام ليس أقلّ خطراً من الجميع ، وما أُثر عن المسلمين من خلاف في واحد من الأمور السابقة بقدر ما أثر عنهم من الخلاف في الإعجام ، وينطلق اختلافهم هذا من الخوف من زيادة حرف في القرآن أو نقص آخر منه ؛ ولذلك كانوا يحبون أن يُجرّد القرآن ، وألا يخلط بشيء ، فالحسن البصري وابن سيرين كانا يكرهان أن ينقط المصحف بالنحو[٦٣] ، وروي أن مالك بن أنس كان قد سئل : هل ينقط المصحف على ما أُحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا ، إلا على الكتبة الأولى »[٦٤] ، ويصل الأمر إلى حد

(٦١) انظر شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف/١٣ .

(٦٢) انظر المحكم في نقط المصاحف/٢ ـ ٣ .

(٦٣) انظر المحكم في نقط المصاحف ١٠ ، وغيرهم كثير ، انظر المصاحف/١٤١ .

(٦٤) انظر الإتقان ، ٢/١٦٧ .

الحرج واستفتاء بعضهم فيه ، فيروى أن مالكاً سئل عن نقط القرآن فقال : أما الإمام من المصاحف فلا أرى أن ينقط ، ولا يزاد في المصاحف ما لم يكن فيها ، أمّا المصاحف الصغار التي يتعلم فيها الصبيان ، وألواحهم فلا أرى بذلك بأساً »[٦٥] وأخذ الذين يُرغّبون الناس فيه بالحث عليه وقالوا : العَجْمُ نورُ الكِتَاب[٦٦] وهم يسمون النقط (العربية) ، ويرونه عملاً مستقلاً عن القرآن ، وهذا الليث يقول : لا أرى بأساً أن ينقط المصحف بالعربية[٦٧] .

وليميزوا بين نقط الإعراب ونقط الإعجام اختاروا لونين مختلفين من الحبر ليضعوا كل نقط بلون يخالف لون الآخر ، ومضوا على ذلك زمناً حتى جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) الذي كان الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس ، مع زهد في الدنيا وانقطاع إلى العلم[٦٨] ، نظر الخليل إلى الحروف ، فأدرك أنها تختلف بين مشدّد ومخفف ، وأن النقط لم يعالج هذه الجزئية فهدي إلى أن يجعل على الحرف المشدد سنينات ثلاث ، هكذا (ـ) ، مأخوذة من صدر كلمة (شديد) ، وعبّر عن الحرف الخفيف بوضع حرف الخاء صغيراً عليه (خ) وهو مأخوذ من أول كلمة (خفيف)[٦٩] ، ويبدو أن هذا دفعه إلى التفكير في صنع علامات للإعراب يفرق بها بين نقط الإعجام ونقط الإعراب ، ويهون على النساخ متاعب الحصول على الألوان المختلفة للحبر ، ويتقدم بالعلم خطوات أوسع وأرحب .

---

(٦٥) انظر المصاحف/١٤٢ ـ ١٤٣ ، المحكم في نقط المصاحف/١١ .

(٦٦) المحكم في نقط المصاحف/١٣ .

(٦٧) المصدر السابق/١٣ .

(٦٨) أخبار النحويين البصريين/٣٨ .

(٦٩) انظر المحكم في نقط المصاحف/٧ .

فقد روى أبو الحسن بن كيسان عن أبي العباس المبرد أن الشَّكل الذي في الكتب من عمل الخليل ، وهو مأخوذ من صور الحروف ، فالضمة بعض الواو ، والفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء[٧٠] ، قال أبو الفتح : « كان متقدمو النحويين يسمّون الفتحة الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة ، وقد كانوا على طريق مستقيمة »[٧١] .

ويظهر أن عمل الخليل هذا كان ذاتيّاً دون أن يكون وراءه أمر من سلطان أو مساندة من والٍ ، وقد تقبلته النفوس ، لأنه انطلق من رجل عُرف بذكائه وفطنته وسعة علمه بالعربية وأسرارها ، يضاف إلى ذلك ما اتصف به من زهد وورع أكسبه ثقة الناس جميعاً ، فتقبلوا عملهِ دون تردد ، اقتناعاً برجاحة عقله ، بالإضافة إلى ما لمسوا في عمله هذا من تذليل للصعوبات التي يعجز النقط عن معالجتها . ثم إنه لم يضف جديداً إلى ما استقر ، ولكنه أجرى تعديلاً لما هو قائم ، منتقلاً به من مرحلة لا تخلو من اللبس والاضطراب ، ليبلغ مرحلة من النضج والتطور ، معالجاً لقضايا لم يكن نقط أبي الأسود ليصنع فيها شيئاً .

الخطوات المارّ ذكرها كانت بمثابة اللبنات الأولى في علم العربية لكن لم يسمها أحدٌ بما عرف بعد بالنحو ، وبالرغم من عظم أمرها في الدرس النحوي فإنّ النحو تجاوز تلك الحدود ، إذ أخذ ينمو بسرعة أذهلت الناظرين في مجال تطور العلوم ، ودعت بعض الغربيين إلى الشك في نشأته ، ودفعت الظنون بعضهم إلى أن ينسبوا الخطوات الأولى فيه إن لم يكن كله

(٧٠) انظر المصدر السابق/٧ ، سر صناعة الإعراب ١/ ١٧ .

(٧١) انظر سر صناعة الإعراب ١/ ١٧ ، وانظر نتائج الفكر/٨٤ .

إلى غير العرب[٧٢] ، في حين لم يعدم من ردّ ذلك الزعم ، مثبتاً أن النحو العربي « أثر رائع من آثار العقل العربي ... ويحق للعرب أن يفخروا به »[٧٣] .

ولم تقف الجهود عند هذا الحد في مجال خدمة القرآن الكريم ، فهم يدرسون ألفاظه ، ويبينون غريبه ، ويفسرون معانيه ، ومنهم من استعان بالشعر في توضيح معاني بعض ألفاظه ، لأن الشعر ديوان العرب ، كما أن الفقهاء اهتموا باستخراج الأحكام الشرعية منه ، وبتأييد ما جاء فيه بشيء من سنة الرسول ، ﷺ .

وباختصار لقد اشتغلوا بالقرآن تعلماً ودرساً . ونتج عن اهتمامهم هذا تلك العلوم الجليلة ، من تفسير ، وقراءات ، ونحو ، ومن النحو انبثقت علوم مختلفة أهمها علم التجويد ، وعلم الأصوات ، ودراسة اللهجات ، والبلاغة وغيرها .

وعلم النحو لم ينفصل عن القرآن إلا بعد مرور زمن ليس بالقصير ، تخلله عناية العلماء بجمع اللغة ، ومشافهة الأعراب في أماكن الفصاحة ، ورصد الظواهر اللغوية لاستخراج القواعد المبنية على الاطراد والانسجام ، ثم معرفة كثير من خصائص اللهجات العربية المختلفة ، وهكذا بدأ علم العربية يتصل بروافد أخرى غير القرآن الكريم ، إذ اتجه العلماء إلى الشعر والموروث اللغوي عند القبائل الموثوق بفصاحتها ، المشهود بخلوها من شوائب العجمة ومخالطة الأمم الأخرى . وفي هذا الخضم الكبير من اهتمام العرب والمستعربين

(٧٢) انظر الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية/٩٠ .

(٧٣) انظر تاريخ الفلسفة في الإسلام/٥٧ ، وانظر أيضاً مقدمة ابن خلدون/٥٤٥ .

بجمع اللغة من مصادرها الصافية وسلائق القبائل العربية أخذ علم النحو يتشكل ، وأخذت مصطلحاته تظهر ، وقواعده ترسم ، ليصبح علماً له كيانه وقوانينه ورجاله ، وبدأت الكتب تؤلف في علم شب عن طوق نقط الإعراب والإعجام أو حركات أواخر الكلم ، ليشكل ذاتاً مستقلة شمخت فوق تلك البذرة التي وضعها أبو الأسود الدؤلي ، وأصبحت دوحة عظيمة يتفاخر الناس بمعرفتها ، ويتسابقون إلى كنفها ، إدراكاً منهم بفضيلة من تحلى بحليتها ، ولذلك قال بعضهم :

النَحْوُ يَبْسُطُ مِنْ لِسَانِ الأَلْكَنِ ... وَالْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَّهَا ... فَأَجَلُّهَا عِنْدِي مُقِيْمُ الأَلْسُنِ[٧٤]

بل إنهم أخذوا يتفاخرون بالفصاحة وسلامة ألسنتهم من اللحن ، يقول بعضهم مفاخراً :

إِمَّا تَرَيْنِي وَأَثْوَابِي مُقَارِبَةٌ ... لَيْسَتْ بِخَزٍّ وَلاَ مِنْ نَسْجِ كَتَّانِ
فَإِنَّ فِي الْمَجْدِ هِمَّاتِي وَفِي لُغَتِي ... عُلْوِيَّةٌ ، وَلِسَانِي غَيْرُ لَحَّانِ[٧٥]

أخذ الناس – عربُهم وعجمُهم – في تعلم النحو ، وحرصوا على تقويم الألسنة بتعلم قوانينه إدراكاً منهم بأن تعلمه جمال للوضيع ، وتركه هجنة على الشريف[٧٦] ، ورحم الله الكسائي إذ قال في فضل النحو ، والفرق بين صاحب النحو ومن لا نحو عنده :

إِنَّمَا النحوُ قِيَاسٌ يُتَّبَعْ ... وَبِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُنْتَفَعْ
وَإِذَا مَا أَبْصَرَ النَّحْوَ الْفَتَى ... مَرَّ فِي الْمَنْطِقِ مَرّاً فَاتَّسَعْ

(٧٤) انظر عيون الأخبار ، ٢/١٧٢ – ١٧٣ .
(٧٥) المصدر السابق ٢/١٧٥ ، إرشاد الأريب ١/٨٥ .
(٧٦) انظر العقد الفريد ٢/٤٧٨ ، البيان والتبيين ٢/٢١٩ .

وَاتَّقَاهُ كُلُّ مَنْ جَالَسَهُ … مِنْ جَلِيْسٍ نَاطِقٍ أَوْ مُسْتَمِعْ
وَإِذَا لَمْ يَعْرِفِ النَّحْوَ الْفَتَى … خَافَ أَنْ يَنْطِقَ جُبْناً فَانْقَمَعْ
يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لاَ يَعْلَمُ مَا … صَرَّفَ الإِعْرَابُ فِيْهِ وَصَنَعْ
فَتَرَاهُ يَخْفِضُ الرَّفْعَ وَإِنْ … كَانَ مِنْ نَصْبٍ وَمِنْ خَفْضٍ رَفَعْ
وَإِذَا يُبْصِرُهُ يَقْرَؤُهُ … وَإِذَا مَا شَكَّ فِي حَرْفٍ رَجَعْ
نَاظِراً فِيْهِ وَفِي إِعْرَابِهِ … فَإِذَا مَا عَرَفَ الْحَقَّ صَدَعْ[٧٧]

وهاك قول الآخر في وصف النحو :

اقْتَبِسِ النَّحْوَ فَنِعْمَ الْمُقْتَبَسْ … وَالنَّحْوُ زَيْنٌ وَجَمَالٌ مُلْتَمَسْ
صَاحِبُهُ مُكَرَّمٌ حَيْثُ جَلَسْ … مَنْ فَاتَهُ فَقَدْ تَعَمَّى وَانْتَكَسْ
كَأَنَّ مَا فِيْهِ مِنَ الْعِيِّ خَرَسْ … شَتَّانَ مَا بَيْنَ الْحِمَارِ وَالْفَرَسْ[٧٨]

وأخذ طلاب العربية يتسابقون إلى علمائها ، ويشدّون الرحال إليهم ، ما كان لأحد طلبة إلا تعلّمُ هذا العلم الذي أصبح طلبه من المروءة ، قال الزهري : « ما أحدث الناس مروءة أحبَّ إليّ من تعلم النحو »[٧٩] ، وارتفع شأن أهل هذا العلم لعلو شأنه ، وأصبحت مجالس الولاة لا تنتظم إلاّ بهم ، وإذا أنشد الشاعرُ قصيدة كان لا يخشى إلا من النحوي ، وموقفُ عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي مع الفرزدق أشهر من أن يذكر . بل إن بعض النحاة فضل النحو على الفقه ، وما ذاك إلا لما في النحو من توسيع للنظر والفكر ، وما يتمتع به النحوي من القدرة على القياس والاستنتاج[٨٠] ، وبهذه النظرة استطاعوا أن يتبوأوا مكانة مرموقة في

(٧٧) انظر الورقة/٢٥ ، تاريخ بغداد ٤١٢/١١ .
(٧٨) إرشاد الأريب ٧٨/١ .
(٧٩) المصدر السابق ٧٨/١ .
(٨٠) المصدر نفسه ١٥/١ .

بلاط الولاة ودواوين الوزراء ، فقد أُثر أن أبا يوسف القاضي أستاذ محمد بن الحسن الشيباني ، وأحمد بن حنبل وغيرهما ، أثر أنه دخل يوماً على الرشيد والكسائي النحوي يمازحه ، فقال أبو يوسف : هذا الكوفي قد استفرعك ، وغلب عليك ، فقال : يا أبا يوسف ، إنه ليأتيني بأشياء يشتمل عليها قلبي ، فأقبل الكسائي على أبي يوسف وقال : يا أبا يوسف ، هل لك في مسألة ؟ قال : نحو أو فقه ؟! قال : بل فقه ، فضحك الرشيد حتى فحص برجله ، ثم قال : تُلقي على أبي يوسف فقهاً ؟! قال : نعم ... »[٨١] ، بل إن الولاة أخذوا في التنافس على فضلاء النحاة واستقطابهم إلى كنفهم رغبة منهم في أن يُحَلُّوا مجالسهم بالأدب ، وأن يقوموا على تأديب أبنائهم وتعليمهم ، فذللوا لهم الصعاب ، وهونوا عليهم مؤونة طلب الرزق ، وخصُّوهم بالاهتمام والرعاية ؛ ليتفرغوا للكتابة والتأليف . وأخذت كتب النحو تنتشر شرقاً وغرباً ، وبانتشارها كثر العلماء حتى أصبحت لهم مذاهبهم المختلفة ومدارسهم المتخصصة ، وكان لكتاب سيبويه في النحو النصيب الوافر من اهتمام الناس في كل زمان ومكان ، حتى إنهم أطلقوا عليه اسم « قرآن النحو » ؛ إذ حظي هذا الكتاب بإقبال الطلاب عليه درساً وحفظاً وشرحاً وتعليقاً واستدراكاً ، ولا يزال هذا الكتاب إلى يوم الناس هذا هو الإمام في كتب النحو ، كما أن صاحبه إمام النحاة .

بقيت كلمة أخيرة أود أن أختم بها المقام وهي أن اهتمام النحاة بتجويد قواعدهم وأقيستهم ، وتشددهم في بعض الأحكام ، وتجويزهم بعض الروايات الشعرية دون بعض ، وتوجيههم لبعض المأثور الشعري ولو بدا متكلفاً ، هذا الموقف جعل بعض الناس يُحجم عن النحو والنحاة ،

---

(٨١) انظر طبقات النحويين واللغويين/١٢٧ .

ويرغب عن النحو ، بل أدى الموقف إلى التهكّم بالنحاة وبصناعتهم ، قال بعضهم :

مَـاذَا لقيتُ مِنَ الْمُسْتعـربـينَ ومِنْ ... قِيَاسِ نَحْوِهِمُ هَذا الَّذي ابْتَدَعُوا
إنْ قُلْتُ قَـافِيـةً بِكْراً يَكونُ بِهَـا ... بَيْتٌ خِلاَفُ الَّذي قَاسُـوهُ أو ذَرَعُوا
قَالُوا : لَحَنْتَ ، وَهذَا لَيْسَ مُنتصباً ... وَذَاكَ خَفْـضٌ وهـذَا لَيْسَ يَـرْتَفِعُ
وَحَرَّضُوا بَيْنَ عَبدِ اللهِ منْ حَمَقٍ ... وَبَيْنَ زَيْدٍ فَطَالَ الضَّرْبُ وَالوَجَعُ
كَمْ بَيْنَ قَومٍ قَدِ احْتَالُوا لِمَنْطِقِهِمْ ... وَبَيْنَ قَوْمٍ عَلى إعْرَابِهِمْ طُبِعُوا(٨٢)

لقد كان خروج النحو إلى مرحلة متطورة من التجريد وراء التبرم بالنحو وأهله ، فليس طلاب العربية على مستوى واحد من تقبل أحكام النحويين التي أخذت تتعقد بتتابع السنين ، لا سيا وقد لابس النحو المنطق والفلسفة ، وغاص في فقه اللغة واكتنه أسرارها ، فمن تجشم بالصبر وثابر على ملازمة أصحاب الصناعة فربما يحصل له مراده من هذا الفن ، لكن من ضـاق صـدره ، وكلّ ذهنـه عن تقبـل تلك الأسرار والنُّظُم اللغوية فإنه لا يلبث أن يعزّي نفسه ويردد قول الخليل بن أحمد :

إذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيئـاً فَدَعْهُ ... وَجَـاوِزْهُ إلى مَـا تَسْتَطِيْعُ

حقاً لقد حصل مثلُ هذا الموقف مع أحد تلاميذ المازني في النحو ، وكان قد قرأ من النحو أبواباً ، حتى إذا جاء عند قول الخليل وأصحابه : إن ما بعد الواو والفاء يكون منصوباً بإضمار (أنْ) ، ساء فهم الرجل لهذه القاعدة ، ولم يستطع تجاوزها ولا تمثلها ، فكتب إلى أستاذه المازني يشكو صعوبة هذا الباب ، وأن إضمار (أنْ) في هذا الباب قد اعتاص عليه والتاث أمره :

تَفَكَّرتُ في النَّحوِ حتّى مـلِلْتُ ... وَأتْعَبْتُ نَفْسِـي بـه والبَـدَنْ

(٨٢) الكوكب الدري/٥٩ .

وأتعبت بكـراً[٨٣] وأصحـابَـهُ بطُـول المَسَـائـلِ في كُلِّ فَنّ
فَمِـنْ عِـلْمِـهِ ظَـاهِـرٌ بَيِّـنٌ وَمِنْ عِـلْمِـهِ غَـامِضٌ قَدْ بَطَنْ
فَكُـنتُ بِظَـاهِـرِهِ عَـالِمـاً وَكُنْتُ بِبَـاطِنِـهِ ذَا فِطَـنْ
خَـلاَ أَنَّ بَـابـاً عَـلَيْـهِ العَفَـا ءُ ، لِلْفَـاءِ يَـا لَيْتَـهُ لَمْ يَكُـنْ
وَلِلْوَاوِ بَـابٌ إلى جَنْبِـهِ مِنَ الْمَـقْتِ أَحْسَبُـهُ قَدْ لُعِنْ
إِذَا قُـلْتُ هَـاتُـوا لِمَـاذَا يُقَـا لُ « لَسْتُ بـآتِيْـكَ أَوْ تَـأْتِيَنْ »
أُجِيبُـوا ، لِمَـا قِيْـلَ هَذَا كَذَا عَلَى النَّصْب ، قَالُوا لإضْمَارِ (أَنْ)
وَمَـا إِنْ رَأَيْتُ لَهـا مَـوْضِعـاً فَـأَعْـرِفَ مَـا قِيْـلَ إلاَّ بِظَنْ
فَقَـدْ خِفْتُ يَا بَكْرُ مِنْ طُوْلِ مَا أُفَكِّـرُ فِي أَمْـرِ (أَنْ) أَنْ أُجَنْ

قـال القـالي : قال أبو العبـاس : فبـلغ ذلك المـازني فقـال : والله ما أحسب أنه سألني قط ، فكيف أتعبني ؟![٨٤] . ويبدو أن تلك الشكوى منذ أن انطلقت في تلك القرون لم تجد استجابة من النحاة ليتخلصوا من بعض القواعد العويصـة التي تنفر طلاب العربية من تعلم النحو والإقبال عليه ، حتى إذا بلغتنا تلقفناها نرددها دونما فهم لحقيقتها ، ولم نتعب الذهن ولا البدن لمعرفة ما إذا كانت الصعوبة حقيقية أو غير حقيقية ، ولم نبذل من الجهود ما يستحق الذكر في تعلم هذا العلم الجليل الذي يرقى بعضهم بتعلمه إلى أن يجعله واجباً . وَقَفَتْ جهودُنا عند حدّ التذمر والشكوى من صعوبة النحو والصرف ، وواقعنا يؤكد أننا لم نبذل في تعلمهما ما يتناسب مع فضـلهمـا ، فهل آن الأوان لنبذ الشكوى واكتناه أغوار هذا الفن ، والرجوع إلى منابعه الأصيلة في كتب التراث ، وعدم التعويل على الحواشي والمذكرات والمختصرات ؟

(٨٣) بكر بن بقية هو أبو عثمان المازني أستاذه .

(٨٤) أمالي المقالي ١٨٦/٣ ، وانظر عيون الأخبار ١٧١/٢ ـ ١٧٢ ، إنباه الرواة ٥/٢ ـ ٦ .

المراجع

* البحث في أصول الإعراب وتاريخ النحو العربي مدين لعدد غير قليل من الباحثين المعاصرين ولعل أبرز الأعمال التي كان لها فضل السبق في هذا الميدان هي :

(١) تاريخ النحو وأصوله : للدكتور عبد الحميد السيد طلب .

(٢) تطور الدرس النحوي : للدكتور حسن عون .

(٣) الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي : للدكتور عبد العال سالم مكرم .

(٤) في النحو العربي : للدكتور مهدي المخزومي .

(٥) المدارس النحوية : للدكتور شوقي ضيف .

(٦) المدارس النحوية : للدكتور إبراهيم السامرائي .

(٧) مدرسة البصرة : للدكتور عبد الرحمن السيد .

(٨) مدرسة الكوفة : للدكتور مهدي المخزومي .

(٩) من تاريخ النحو : للأستاذ سعيد الأفغاني .

(١٠) نشأة النحو : للأستاذ محمد الطنطاوي .

أما المراجع المباشرة في هذا الموضوع فهي :

(١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر :

ـ الشيخ أحمد بن عبد الغني الشهير بالبناء ، صححه وعلق عليه علي محمد الضباع ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ .

(٢) أخبار النحويين البصريين :

ـ أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي ، اعتنى بنشره وتهذيبه فرتس كرنكو ، نشر معهد المباحث الشرقية بالجزائر (خزانة الكتب العربية) ١٩٣٦م .

(٣) أدب الكتاب :

ـ تأليف أبي بكر محمد بن يحي الصولي . تحقيق محمد بهجة الأثري ، وراجعه محمد شكري الألوسي ، المطبعة السلفية بمصر ١٣٤١هـ .

(٤) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) :
ـ ياقوت الحموي ، الطبعة الأخيرة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ .

(٥) الأضداد :
ـ تأليف محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(٦) أمالي القالي :
ـ أبو علي إسماعيل بن القاسم ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، بيروت ، بلا تاريخ .

(٧) إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل :
ـ تأليف أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري ، تحقيق محي الدين عبد الرحمن رمضان ، دمشق ، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م .

(٨) البيان في غريب إعراب القرآن :
ـ أبو البركات الأنباري ، تحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

(٩) إنباه الرواة على أنباه النحاة :
ـ علي بن يوسف القفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م .

(١٠) البيان والتبيين :
ـ الجاحظ عمرو بن بحر ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الخانجي بمصر ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

(١١) تاريخ بغداد أو مدينة السلام :
ـ للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ .

(١٢) الجامع لأحكام القرآن :
ـ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٧م .

(١٣) حجة القراءات :
– للإمام الجليل أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، تحقيق وتعليق سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(١٤) الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية :
– تعريب مصطفى بدر ، دار الفكر العربي .

(١٥) ذيل الأمالي والنوادر :
– أبو علي القالي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، لبنان (مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية) ١٩٢٦م .

(١٦) الرسالة :
– للإمام محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م . المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان .

(١٧) السبعة في القراءات :
– لابن مجاهد ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة الثانية (منقحة) ، دار المعارف بمصر ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

(١٨) سر صناعة الإعراب :
– أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق الدكتور حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(١٩) سيرة النبي ﷺ :
– لأبي محمد عبد الملك بن هشام ، راجع أصولها محمد محي الدين عبد الحميد دار الفكر ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م .

(٢٠) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف :
– تأليف أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري ، تحقيق عبد العزيز أحمد مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

(٢١) طبقات النحويين واللغويين :
– أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م .

(٢٢) العقد الفريد :
ـ تأليف الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق الدكتور/ مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٢٣) عيون الأخبار :
ـ تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، شرحه وطبعه الدكتور يوسف علي الطويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٢٤) الفهرست :
ـ ابن النديم ، نشره غوستاف فلوغل ، ليبزغ ١٩٨٧م .

(٢٥) المحكم في نقط المصاحف :
ـ أبو عمرو الداني ، عني بتحقيقه الدكتور عزة حسن ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

(٢٦) معجم البلدان :
ـ للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي ، نشر دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بلا تاريخ .

(٢٧) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع :
ـ تأليف عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ، حققه وضبطه مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٢٨) مقدمة ابن خلدون (المقدمة) :
ـ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، الطبعة الثالثة ، بولاق ١٣٢٠هـ/١٩٠٠م .

(٢٩) مقدمتان في علوم القرآن : (مقدمة كتاب المباني ـ ومقدمة ابن عطية) :
ـ نشرهما آرثر جفري ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م . مطبعة دار الصاوي بالقاهرة .

(٣٠) نتائج الفكر في النحو :
ـ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ، تحقيق الدكتور/محمد إبراهيم البنا ،

منشــورات دار الاعتصــام ، دار النصر للطبـاعـة الإســلاميـة ، القـاهرة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٣١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء :

- أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار النهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م .

(٣٢) النشر في القراءات العشر :

- الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ، الشهير بابن الجزري ، أشرف على تصحيحه علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بلا تاريخ .

شرح أبيات الداني الأربعة
في أصول ظاءات القرآن
لمؤلف مجهول

تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن

نال حرفا الضاد والظاء نصيباً وافراً من اهتمام العلماء ، وسبب ذلك صعوبة النطق بهما على مَنْ دخل الإسلام من الأمم المختلفة فضلاً عن قسم من القبائل العربية .

قال الصَّاحب بن عبَّاد[1] ، المتوفَّى سنة ٣٨٥هـ : (إذْ كانا حرفين قد اعتاص معرفتهما على عامة الكُتّاب ، لتقارب أجناسهما في المسامع ، وإشكال أصل تأسيس كلّ واحد منهما ، والتباس حقيقة كتابتهما ...) .

وقال ابن مكّيّ الصقلّيّ[2] ، المتوفَّى سنة ٥٠١هـ : (فأمّا العامّةُ ، وأكثر الخاصة ، فلا يفرِّقون بينهما في كتاب ولا قرآن ..) .

وقال ابن الجَزَري[3] المتوفَّى سنة ٨٣٣هـ : (والضاد انفرد بالاستطالة ، وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله ، فإنّ ألسنة الناس فيه مختلفة ، وقلّ مَنْ يحسنه ، فمنهم مَنْ يخرجه ظاء ، ومنهم من يمزجه

(١) الفرق بين الضاد والظاء ٣ .
(٢) تثقيف اللسان ٩١ .
(٣) النشر في القراءات العشر ١/٣١٠ .

بالذال ، ومنهم من يجعله لاماً مفخّمة ، ومنهم مَنْ يُشمّه الزاي ، وكلٌّ ذلك لا يجوز) .

والضاد حرف مجهور ، وهو أحد الحروف المستعلية ، وهو للعرب خاصة . ولا يوجد في كلام العجم إلاّ في القليل[٤] .

أمّا الظاء فهو حرف مجهور ، وهو عربيّ خُصَّ به لسان العرب لا يشركهم فيه أحد من سائر الأمم[٥] .

إن ما ورد في القرآن الكريم من الظاء ثلاثة وخمسون وثمان مئة ، ترجع إلى واحد وعشرين أصلاً .

أمّا الضاد فقد جاء في أربعة وثمانين وست مئة وأُلف موضع ، ترجع إلى واحد وثمانين أصلاً[٦] .

وقد كثرت المؤلفات فيهما ، وقد استقصينا ذلك في مقدمتي كتابي الصقلّي[٧] وابن مالك[٨] فلا موجب لذكرها .

وأفرد قسم من الباحثين مصنّفات مستقلة لذكر ظاءات القرآن الكريم ، ليُعلم أنّ ما عداها إنّما هو بالضاد .

ومن هذه المصنّفات منظومات شعرية تشتمل على أصول الكلمات الظائية في القرآن الكريم فقط ، وقد اختلفت في عدد أبياتها وأصولها[٩] .

(٤) ينظر : الكتاب ٤٠٦/٢ ، وسر صناعة الإعراب ٢١٣/١ ، والرعاية ١٨٤ .

(٥) ينظر : سر صناعة الإعراب ٢٢٧/١ ، والرعاية ٢٢٠ ، واللسان والتاج (حرف الظاء) .

(٦) منظومات أصول الظاءات القرآنية ٦٣٦ .

(٧) في معرفة الضاد والظاء ٩ ــ ١٠ .

(٨) الاعتماد في نظائر الظاء والضاد ٦ ــ ١٢ .

(٩) تُنظر في : منظومات أصول الظاءات القرآنية ٦٣٧ ــ ٦٤٢ .

واتسمت هذه المنظومات بالإيجاز ، لذا فقد قام ناظموها أو غيرهم بشرحها ، وبيان مُبهمها ، وذكر الآيات المتعلقة بها .

ومن هذه المنظومات منظومة أبي عمرو الداني المتوفَّى سنة ٤٤٤هـ ، وتقع في أربعة أبيات هي[١٠] :

ظَفِرَتْ شُوظُ بحظِّها من ظُلمنا ... فكَظَمْتُ غيظَ عظيم ما ظَنَّتْ بنا
وظَعَنْتُ أنظرُ في الظهيرة ظُلَّةً ... وظَلِلْتُ أنتظرُ الظِّلالَ لحِفْظنا
وظَمِئْتُ في الظَّلْما ففي عظمي لظىً ... ظَهرَ الظِهارُ لأجلِ غِلظةِ وَعْظِنا
أَنْظَـرْت لفظي كي تيقّظ فَظَّـهُ ... وحَظرْتُ ظهرَ ظهيرِها من ظُفْرِنا

وقد شرحها بإيجاز الناظم نفسه[١١] . وشرحها ابن الجَزَريّ في كتابه : (التمهيد في علم التجويد)[١٢] .

وثمة شرح لمؤلف مجهول وقفنا عليه ضمن مجموع رقمه ٢٥٤٧ ، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، ويقع في (ق ٥٢ ب – ٥٤ أ) ، في كلّ صفحة خمسة وعشرون سطراً ، كُتِب بخطٍّ مغربي يعود إلى القرن العاشر تقديراً ، وعلى المجموع تملك باسم عبد الجليل بن سعد القاضي بالمحاكم الأهلية[١٣] . وقد وافاني به مشكوراً أخي الدكتور صالح بن حسين العائد حفظه الله تعالى .

(١٠) ذكرها الجعبري في كتابه : الإرصاد في شرح المرصاد ق ١ ب ، وابن الجزري في كتابه : التمهيد في علم التجويد ٢١٠ .

(١١) نشر هذا الشرح الدكتور محسن جمال الدين ، رحمه الله ، ببغداد عام ١٩٧٠ بعنوان : (أبو عمرو الداني ورسالته في الظاءات القرآنية) .

(١٢) التمهيد ٢١٠ – ٢١٩ .

(١٣) فهرس المخطوطات والمصورات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١/١٠٥ .

وقد بذلت جهداً كبيراً لمعرفة هذا الشارح المجهول ، ولكنني لم أوفق في ذلك ، وعسى أنْ يقف أحد الباحثين عليه فيفيد العلم وأهله .

وتكمن أهمية هذا الشرح في انفراده بشرح ظاءات القرآن الكريم ، وبلغ عدد الآيات التي ذكرها الشارح اثنتين وأربعين ومئة آية ، وترك الباقي مشيراً إليه بقوله : وشبهه ، أو : وما أشبهه ، أو : وما أشبه ذلك .

وعرض المؤلف عند حديثه عن ظاءات القرآن الكريم لنظائر الظاء من الضاد في ثمانية مواضع هي : (حظ وحض ، غيظ وغيض ، ظنّ وضنّ ، نظر ونضر ، ظلّ وضلّ ، العظة والعضة ، فظّ وفضّ ، حظر وحضر) .

فكلّ لفظة من هذه الألفاظ إذا جاءت بالظاء يكون لها معنى وإذا جاءت بالضاد فيكون لها معنى آخر . وهذا ما يُسمّى بالنظائر ، وقد أفرد ابن مالك الطائي كتابه (الاعتماد في نظائر الظاء والضاد) في هذا الموضوع .

وقد استعمل الشارح مصطلح (مرفوع) لحرف الظاء ، قال : (الظلم وما تصرّف منه مرفوع حيث وقع ...) . وقال : (الكظم وما تصرّف منه مرفوع حيث وقع ...) . وقال : (النظر المرفوع على خمسة معان ...) .

واستعمل مصطلح (مسقوط) لحرف الضاد ، قال : (فأمّا قوله تعالى : ﴿ وقَيَّضْنا ﴾ فهو مسقوط ، لأنّ معناه : يسَّرنا) . وقال : (وأمّا في هود : ﴿ وغيض الماء ﴾ ، وفي الرعد : ﴿ وما تغيض الأرحام ﴾ فهما مسقوطان ، لأنهما بمعنى النقصان) . وقال : (فأمّا قوله تعالى في التكوير : ﴿ بضنين ﴾ فهو مسقوط ، لأنّ معناه : بخيل ، وهو في جميع

المصاحف بالضاد المسقوطة ، وقُرِئَ في السبع بالظاء المرفوع ، بمعنى : بمُتَّهم . فاعلم ذلك) .

واستعمل مصطلح (ساقط) لحرف الضاد أيضاً في موضع واحد ، قال : (فأمّا قوله في الحجر : ﴿ عضين ﴾ فهو ساقط ، لأنه من العضة ، وهو القطعة من الشيء ، يعني : أنّهم جعلوا القرآن قِطَعاً ، يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض) .

وجاءت ظاءات القرآن في المنظومة والشرح في اثنين وثلاثين أصلاً ، وعدد هذه الأصول غير متساوٍ عند الناظمين ، وسبب هذا التفاوت أنّهم ينظرون إلى معنى اللفظ لا إلى مادته وجذره .

فعدد الأصول في منظومة المهدويّ[١٤] ، المتوفّى سنة ٤٤٠هـ هو تسعة وعشرون أصلاً .

وعدد الأصول في منظومة السرقوسيّ[١٥] ، المتوفّى نحو سنة ٥٩١هـ ، هو واحد وعشرون أصلاً .

فالدانيّ ذكر من مادة (ظهر) خمسة ألفاظ ، هي : ظَهَرَ ، والظهار ، والظهيرة ، والظّهر ، والظهير .

والمهدويّ ذكر أربعة ألفاظ ، هي : الظهور ، والظّهر ، والمظاهرة ، والظهيرة .

أمّا السرقوسيّ فقد ذكر هذه المادة مرّةً واحدةً ، وسار على منهج اللغويين في ردّ مشتقات الكلمة إلى أصل واحد ، فجعل ظاءات القرآن في منظومته في واحد وعشرين أصلاً .

---

(١٤) على هذه المنظومة شرح انتهينا من تحقيقه ودفعناه إلى المطبعة .

(١٥) ظاءات القرآن ٢٦٣ .

ورأينا إتماماً للفائدة أنْ نذكر في مقدمة هذا الشرح عدد المواضع التي جاءت فيها الألفاظ الظائية في القرآن الكريم ، والتي ترجع إلى احدى وعشرين مادة لغوية .

وهذه الألفاظ الظائية هي :

١ ــ مادة (حظر) : وقعت في موضعين .

٢ ــ مادة (حظظ) : وقعت في سبعة مواضع .

٣ ــ مادة (حفظ) : وقعت في أربعة وأربعين موضعاً .

٤ ــ مادة (شوظ) : وقعت في موضع واحد .

٥ ــ مادة (ظعن) : وقعت في موضع واحد .

٦ ــ مادة (ظفر) : وقعت في موضعين .

٧ ــ مادة (ظلل) : وقعت في ثلاثة وثلاثين موضعاً .

٨ ــ مادة (ظلم) : وقعت في خمسة عشر وثلاث مئة موضع .

٩ ــ مادة (ظمأ) : وقعت في ثلاثة مواضع .

١٠ ــ مادة (ظنن) : وقعت في تسعة وستين موضعاً .

١١ ــ مادة (ظهر) : وقعت في تسعة وخمسين موضعاً .

١٢ ــ مادة (عظم) : وقعت في ثمانية وعشرين ومئة موضع .

١٣ ــ مادة (غلظ) : وقعت في ثلاثة عشر موضعاً .

١٤ ــ مادة (غيظ) : وقعت في أحد عشر موضعاً .

١٥ ــ مادة (فظظ) : وقعت في موضع واحد .

١٦ ــ مادة (كظم) : وقعت في ستة مواضع .

١٧ ــ مادة (لظى) : وقعت في موضعين .

١٨ ــ مادة (لفظ) : وقعت في موضع واحد .

١٩ ـ مادة (نظر) : وقعت في تسعة وعشرين ومئة موضع .

٢٠ ـ مادة (وعظ) : وقعت في خمسة وعشرين موضعاً .

٢١ ـ مادة (يقظ) : وقعت في موضع واحد .

فهذه إحدى وعشرون مادة يرجع إليها ثلاث وخمسون وثمانمئة لفظة ظائية ، خلافاً لما ذكره أبو عمرو الداني في مقدمة منظومته إذ عدّها ثمانمئة واثنين وأربعين ظاء[١٦] .

وثمة أمر لا بُدَّ أنْ نشير إليه وهو ما جاء في الصفحةَ الأولى من المخطوط ، إذ جاء فيها : (قال الشيخ الإمام العالم الفقيه أبو محمد عثمان الداني المُقْرئ) . ولم نعرف من أبنائه إلاّ واحداً اسمه (أحمد) ذكره ابن الجَزري[١٧] من بين تلامذة الداني ، كما لم نعرف سبب كنيته بأبي عمرو . فلعلّ ما جاء في المخطوط وهم من الناسخ ، والله أعلم .

وأخيراً أسأل الله تعالى أنْ يلهمنا السَّداد والصواب ، ويجنِّبنا المزالق والعثرات ، إنّه نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

---

(١٦) وذهب علي النوري الصفاقسي في كتابه (تنبيه الغافلين) ص٦٥ إلى أنها ثمانمئة وثلاثة وأربعون . وهو وهم أيضاً .

(١٧) غاية النهاية ١/٥٠٤ .

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على [illegible] وسلم
قال الشيخ الإمام العالم الفقيه
أبو عمرو عثمان الداني المقرئ رحمه الله
الحمد لله اعلم أني اطلعت على قراءات القرآن العظيم فوجدتها
ثمانمائة واثنين وأربعين كلمة ووجدت أصولها التي تتفرع
منها بأصولها اثنين وثلاثين أصلا فنظمت تلك الأصول
في أربعة أبيات وضمنتها على كلمات منها [illegible]
تسهيلا للطالبين وتقريبا على المتعلمين والحافظين وهي

كلمات شواذ بعضها من كلمنا • وكلمة [illegible] عليهم ما اقتسمنا

قال الشارح اعلم أرشدك الله أن أبا عمرو رحمه الله تعالى
في بعض الأوزان يأتي بكلم القرآن الواقعة في القرآن وما
جاءت فيه أن النظم أبياتا توجيه [illegible] في النثر وأنا أتي بتفسيره
الأبيات بكلمة يقاس على [illegible] ومعانيها لا على وزنها [illegible]
في قوله تعالى في [illegible] من بعد أن [illegible] عليهم لا غير شواذ [illegible]
سورة الرحمن يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] وما [illegible] وأما قوله تعالى في [illegible]
[illegible] بمعنى البحث على الخبر [illegible]
[illegible] الكلم وما [illegible] منه [illegible] حيث [illegible]
[illegible] للقبيح [illegible] [illegible] الكظم وما [illegible]
منه [illegible] حيث [illegible] الكاظمين فهو كظيم وهو مكظوم وما أشبهه
[illegible] بمعنى الغضب والحرج [illegible] من الغيظ
ليغيظ بهم ما يغيظ [illegible]
في [illegible] وغيض الماء وفي الرعد وما تغيض الأرحام [illegible]
[illegible]

الصفحة الأولى

٥٤

في ضد النوم وتحسبهم أيقاظا وهم رقود لا غيرها ما قوله تعالى ونبعثنا فتنة
مستنوكما ان معنا . يبصرنا فكنه يريد قوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب
لا غير ومعناه الفظاظة والغلظة فأما قوله لانفضوا من حولك وحتى ينفضوا
انفضوا اليها فليس من الفظاظة معناه التفريق يعني لا يفترقوا [illegible] الرجل
المتجرد في سرته المتفلقة في ناصيته وحيث يريد به الحظر الذي هو
مرقوم معناه المنع وهما موضعان في سبحان وما كان عطاء ربك محظورا
وفي سورة القمر فكانوا كهشيم المحتظر لا غير وأما الحضور الذي هو ضد
الغيبة فهو منقوط حيث وقع نحو محضرون وكل شرب محتضر حتى إذا حضر
أحدكم الموت فلما حضروه وما أشبهه فمنقوط الضاد من الانس وغيره [illegible]
حيث وقع نحو [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] التظاهر [illegible]
معناه التعاون عليهم [illegible]
أحد إلا الذي أن يكتنفكم [illegible] الذين كانوا [illegible] يريد في سورة [illegible]
[illegible] لا غير [illegible] بحمد الله وحسن عونه

وقيل أربعة لا توجد في هذا الزمان علم من غير ريا وصلاة من
غير عيب ومال من غير شبهة والرابعة لا تتعلم [illegible]
وقال بعضهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه من كان من [illegible]
هذا الزمان [illegible]
[illegible] بعض مشايخ المغرب [illegible]
[illegible] الكلمة فلتت [illegible]
[illegible]

الصفحة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم
صلّى الله على سيِّدنا محمد وسلّم

قال الشيخ الإمام العالم الفقيه أبو محمد عثمان الداني المُقْرِئ ، رحمه الله :

الحمدُ لله . اعْلَمْ أنّي اطّلعتُ على ظاءاتِ القرآنِ العظيم فوجدتُها ثمانمئة واثنين وأربعين ظاءً ، ووجدتُ أصولها التي تفرعُ منها اثنين وثلاثين أصلاً ، فنظمتُ تلكَ الأصول في أربعة أبيات ، وضمَّنتُ على كلِّ بيتٍ منها ثماني كلم ، تسهيلاً للطالبين ، وتقريباً على المتحفِّظين والحافظين ، وهي :

ظَفِرَتْ شـواظُ بحظِّهـا مِن ظُلْمِنا   فكَظَمْتُ غيظَ عظيمِ ما ظَنَّتْ بنا

قال الشّارحُ :

اعلمْ ، أَرْشَدَكَ اللهُ ، أنّ أبا عَمْرٍو ، رحمه الله تعالى ، لم يعطه الوزنُ أنْ يأتي بكلم الظاء الواردة في القرآن على نحو ما جاءتْ فيه ، لأنّ النظم لا يتأتّى فيه ما يتأتّى في النثر ، وإنّما أتى في هذه الأبيات بكلمٍ يُقاسُ على لفظها ومعناها ، لا على وزنها .

(ظَفِرَتْ) : يريد قوله تعالى في الفتح[1] : ﴿ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُم عليهم ﴾ ، لا غير .

(١) آية ٢٤ . ينظر : الظاءات في القرآن الكريم ٤٦ ، وظاءات القرآن ٢٦٣ . وظَفِر : فاز ، والظافر : الغالب .

(شُواظ) : في سورة الرحمن[٢] : ﴿ يُرْسَلُ عليكما شُواظٌ من نارٍ ونُحاسٌ ﴾ ، لا غير .

(بَحظِّها) : يعني الذي في آل عمران[٣] : ﴿ حَظّاً في الآخرةِ ﴾ ، ﴿ فَنَسُوا حظّاً ﴾[٤] ، ﴿ حَظٍّ عظيم ﴾[٥] ، « حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ »[٦] ، وما أشْبَهه[٧] .

وأمّا قوله تعالى في الحاقّة[٨] ، وأرأيت[٩] : ﴿ ولا يَحُضُّ ﴾ ، وفي الفجر[١٠] : ﴿ ولا تحضّون ﴾ ، فهو مسقوط ، لأنّه بمعنى : الحثّ على الخير .

(من ظُلْمِنا) : الظلم وما تصرَّف منه مرفوع حيث وقع ، نحو : ﴿ لا تَظْلِمون ولا تُظْلَمون ﴾[١١] ، و﴿ بظلّامٍ للعبيدِ ﴾[١٢] ، و﴿ لَظَلومٌ

---

(٢) آية ٣٥ . ينظر : الظاءات في القرآن الكريم ٤٦ ، وظاءات القرآن ٢٧٢ . والشواظ : اللهب . والنحاس : الدخان . (ينظر : تفسير القرطبي ١٧/١٧١) .

(٣) آية ١٧٦ . والحظّ : النصيب .

(٤) المائدة ١٤ .

(٥) القصص ٧٩ ، فصلت ٣٥ .

(٦) النساء ١١ و١٧٦ .

(٧) جاءت مادة (حظظ) في القرآن الكريم في سبعة مواضع .

(٨) آية ٣٤ .

(٩) آية ٣ . وهي سورة الماعون في المصحف الشريف .

(١٠) آية ٨ . وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر . أمّا الكوفيون عاصم وحمزة والكسائي فقرؤوا : ولا تُحاضّون . (السبعة ٦٨٥ ، المبسوط في القراءات العشر ٤٧٠ – ٤٧١) .

(١١) البقرة ٢٧٩ .

(١٢) آل عمران ١٨٢ ، الأنفال ٥١ ، الحج ١٠ ، فصلت ٤٦ ، ق ٢٩ .

كفّارٌ ﴾[١٣] ، وشبهه[١٤] .

(فكَظَمْتُ) : الكَظْمُ وما تصرّف منه مرفوع حيثُ وَقَعَ ، نحو : ﴿ الكاظِمينَ ﴾[١٥] ، ﴿ فهو كَظيمٌ ﴾[١٦] ، ﴿ وهو مكْظومٌ ﴾[١٧] ، وما أشبهه[١٨] .

(غَيْظ)[١٩] : يعني الذي بمعنى الغضب والحَرَج ، نحو : ﴿ تَمَيَّزُ من الغَيْظِ ﴾[٢٠] ، ﴿ لِيَغيظَ بهم ﴾[٢١] ، ﴿ ما يَغيظُ ﴾[٢٢] ، ﴿ لنا لغائِظون ﴾[٢٣] ، ﴿ لها تَغَيُّظًا ﴾[٢٤] ، وما أشبهه[٢٥] .

وأمّا في هود[٢٦] : ﴿ وغِيضَ الماءُ ﴾ ، وفي الرعد[٢٧] :

---

(١٣) إبراهيم ٣٤ .

(١٤) جاءت مادة (ظلم) وما تصرّف منها في ثلاثة مئة وخمسة عشر موضعاً ، منها ستة وعشرون موضعاً في الظلام وما تصرّف منه .

(١٥) آل عمران ١٣٤ . والكظم : الحبس .

(١٦) يوسف ٨٤ .

(١٧) القلم ٤٨ .

(١٨) وقعت مادة (كظم) في القرآن الكريم في ستة مواضع .

(١٩) في الأصل : فغيظها .

(٢٠) الملك ٨ .

(٢١) الفتح ٢٩ .

(٢٢) الحج ١٥ .

(٢٣) الشعراء ٥٥ .

(٢٤) الفرقان ١٢ .

(٢٥) وقعت مادة (غيظ) وما تصرّف منها في القرآن الكريم في أحد عشر موضعاً .

(٢٦) آية ٤٤ .

(٢٧) آية ٨ .

﴿ وما تَغِيضُ الأرحامُ ﴾ فهما مسقوطان ، لأنهما بمعنى النقصان[٢٨] .

(عظِيم) ، والعَظَمة ، وما اشتقّ من ذلك مرفوع ، [٥٣أ] حيث وقع ، نحو : ﴿ نَبأٌ عظيمٌ ﴾[٢٩] ، و﴿ العَلِيُّ العظيم ﴾[٣٠] ، و﴿ أعْظَمُ درجةً ﴾[٣١] ، و﴿ أعْظَمَ أجراً ﴾[٣٢] ، و﴿ عَرْش عظيم ﴾[٣٣] ، و﴿ أجرٌ عظيم ﴾[٣٤] ، وشبهه[٣٥] .

(ما ظَنَّتْ بنا) : الظنّ المرفوع يكون بمعنى اليقين ، وبمعنى الشكّ ، فاليقين : ﴿ الذين يظنّون أنّهم ﴾[٣٦] ، ﴿ وظَنّوا أنْ لا مَلْجأَ ﴾[٣٧] ، و﴿ إنّي ظَنَنْتُ ﴾[٣٨] ، وشبهه[٣٩] .

والذي بمعنى الشكّ نحو : ﴿ إنْ نظُنُّ إلاّ ظَنّاً ﴾[٤٠] ، ﴿ وتَظُنُّونَ

---

(٢٨) ينظر في الغيظ والغيض : الفرق بين الحروف الخمسة ١٦٦ ، وزينة الفضلاء ٩٧ ، والاعتماد في نظائر الظاء والضاد ٤٨ .

(٢٩) ص ٦٧ .

(٣٠) البقرة ٢٥٥ ، والشورى ٤ .

(٣١) التوبة ٢٠ ، والحديد ١٠ .

(٣٢) المزمل ٢٠ .

(٣٣) النمل ٢٣ .

(٣٤) آل عمران ١٧٢ ، ومواضع أُخر (ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ١٣) .

(٣٥) وقعت هذه المادة في القرآن الكريم في ثمانية وعشرين ومئة موضع .

(٣٦) البقرة ٤٦ و٢٤٩ .

(٣٧) التوبة ١١٨ .

(٣٨) الحاقّة ٢٠ .

(٣٩) وقعت مادة (ظنّ) في القرآن الكريم في تسعة وستين موضعاً .

(٤٠) الجاثية ٣٢ .

باللهِ الظُّنُونا ﴾[٤١] ، و﴿ ظنُّوا كما ظَنَنْتُم ﴾[٤٢] ، وشبهه[٤٣] .

فأمّا قوله تعالى في التكوير[٤٤] : ﴿بضَنين﴾ فهو مسقوط ، لأنّ معناه : بخيل ، وهو في جميع المصاحف بالضاد المسقوطة ، وقُرِئَ في السبع بالظاء المرفوع[٤٥] ، بمعنى : بُمتَّهم . فاعلم ذلك[٤٦] .

* * *

وظَعَنْتُ أَنْظُرُ في الظَّهِيرةِ ظُلَّةً وظَلِلْتُ أَنْتَظِرُ الظِّلالَ لِحِفْظِنا

(وظَعَنْتُ) : يريد قوله تعالى : ﴿ يومَ ظَعْنِكُمْ ﴾[٤٧] ، لا غير .

(أَنْظُرُ) : النظر المرفوع على خمسة معانٍ :

منها المعاينة ، نحو ﴿ وانظرْ إلى إلهك ﴾[٤٨] و﴿ أَرِني أَنْظُرْ إليك ﴾[٤٩] ، و﴿ إلى ربِّها ناظِرة ﴾[٥٠] ، وشبهه .

---

(٤١) الأحزاب ١٠ .

(٤٢) الجنّ ٧ .

(٤٣) ينظر : الأضداد لقطرب ٧١ ، وللأصمعي ٣٤ ، ولابن الأنباري ١٤ ، وللتوزي ٢٥ ، ولأبي الطيب اللغوي ٤٦٦ .

(٤٤) آية ٢٤ .

(٤٥) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي ، وقرأ باقي السبعة بالضاد . (ينظر : السبعة في القراءات ٦٧٣ ، والإقناع ٨٠٥) .

(٤٦) ينظر في الظنّ والضنّ : الاقتضاء للفرق بين الذال والضاد والظاء ٣٤ ، والفرق بين الحروف الخمسة ١٥١ ، والاعتماد ٣٨ .

(٤٧) النحل ٨٠ .

(٤٨) طه ٩٧ .

(٤٩) الأعراف ١٤٣ .

(٥٠) القيامة ٢٣ .

ومنها التفكّر والاعتبار ، نحو : ﴿ أَفَلا ينظرون ﴾[٥١] ، ﴿ أَوَلَمْ ينظروا في مَلَكُوتِ ﴾[٥٢] ، ﴿ فلينْظُرِ الإنسانُ ﴾[٥٣] ، وشبهه .

ومنها التعطّف ، نحو : ﴿ ولا يَنْظُرُ إليهم ﴾[٥٤] ، أي : لا يتعطّف عليهم .

ومنها الانتظار ، نحو : ﴿ هل ينظرونَ إلاّ تأويله ﴾[٥٥] ، و﴿ ما ينظرون إلاّ صيحةً واحدةً ﴾[٥٦] ، و﴿ غيرَ ناظِرينَ إناه ﴾[٥٧] ، وشبهه .

ومنها الاستماع ، < نحو >[٥٨] : ﴿ وقُولُوا انْظُرْنا واسْمَعُوا ﴾[٥٩] ، ﴿ واسْمَعْ وانْظُرْنا ﴾[٦٠] ، وما أشبه ذلك .

فأمّا قولُهُ في القيامة[٦١] : ﴿ وجوهٌ يومئذٍ ناضِرةٌ ﴾ ، وفي الإنسان[٦٢] : ﴿ لقّاهم نَضْرَةً وسروراً ﴾ ، وفي المطففين[٦٣] : ﴿ نَضْرَةَ

(٥١) الغاشية ١٧ .
(٥٢) الأعراف ١٨٥ .
(٥٣) الطارق ٥ .
(٥٤) آل عمران ٧٧ .
(٥٥) الأعراف ٥٣ .
(٥٦) يس ٤٩ .
(٥٧) الأحزاب ٥٣ .
(٥٨) يقتضيها السياق .
(٥٩) البقرة ١٠٤ .
(٦٠) النساء ٤٦ . وينظر : الظاءات في القرآن الكريم ٣٠ ــ ٣٢ .
(٦١) آية ٢٢ .
(٦٢) آية ١١ .
(٦٣) آية ٢٤ . وينظر : التمهيد في علم التجويد ٢١٤ ، ولطائف الإشارات ٢٣٤/١ .

النَّعِيم ﴾ فهو مسقوط لأنّه بمعنى التَّنعِيم .

(في الظّهيرة) : يريد به حَرْفَيْن : في النور[٦٤] : ﴿ ثيابَكم من الظهيرة ﴾ ، والرُّوم[٦٥] : ﴿ وعَشِياً وحينَ تُظْهِرون ﴾ ، لا غير .

(ظُلَّة) : الظُّلّة مرفوعة حيثُ وَقَعَتْ ، نحو : ﴿ كأنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾[٦٦] ، و﴿ عذابُ يومِ الظُّلَّةِ ﴾[٦٧] ، و﴿ في ظُلَلٍ من الغَمام ﴾[٦٨] ، وما أشبهه .

(وظَلِلْتُ) : يريد ظَلَّ الذي بمعنى صار ، وهي مرفوعة : وجملتُها تسعة مواضع :

أولها في الحجر[٦٩] : ﴿ فظَلُّوا فيه يعرجون ﴾ ،

وفي النحل[٧٠] : ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً ﴾ ،

وفي طه[٧١] : ﴿ ظَلْتَ عليه عاكفاً ﴾ ،

وفي الشعراء[٧٢] : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْناقُهُم ﴾ ،

وفيها[٧٣] : ﴿ فنَظَلّ لها عاكِفِين ﴾ ،

(٦٤) آية ٥٨ .

(٦٥) آية ١٨ .

(٦٦) الأعراف ١٧١ .

(٦٧) الشعراء ١٨٩ .

(٦٨) البقرة ٢١٠ .

(٦٩) آية ١٤ .

(٧٠) آية ٥٨ .

(٧١) آية ٩٧ .

(٧٢) آية ٤ .

(٧٣) الشعراء ٧١ .

وفي الروم[٧٤] : ﴿ لظَلُّوا من بَعْدِهِ ﴾ ،

وفي الشورى[٧٥] : ﴿ فَيَظْلَلْنَ رواكِدَ على ظهرِهِ ﴾ ،

وفي الزخرف[٧٦] : ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ ﴾ ،

وفي الواقعة[٧٧] : ﴿ فظَلْتُم تَفَكّهون ﴾ ، لا غير[٧٨] .

وما سوى ذلك فهو مسقوط ، نحو : ﴿ ضَلَلْنا في الأرض ﴾[٧٩] ، ﴿ ضلالٍ بعيدٍ ﴾[٨٠] ، و﴿ ضلالٍ مُبِينٍ ﴾[٨١] ، و﴿ ضالِّين ﴾[٨٢] ، و﴿ ضالاًّ فهدى ﴾[٨٣] ، معناه : الحيرة ، والحَيدة عن الطريق الجادة .

(أَنتَظِرُ) : الانتظار وما تصرّف منه كلُّهُ مرفوعٌ [٥٣ب] حيثُ وَقَعَ ، نحو : ﴿ فهَلْ يَنتَظِرُونَ ﴾[٨٤] ، ﴿ وانتَظِرْ إنَّهم مُنتظِرون ﴾[٨٥] ، ﴿ فانْتظِروا إنّي معكم من المنتظرين ﴾[٨٦] ، وما أشبه ذلك .

(٧٤) آية ٥١ .

(٧٥) آية ٣٣ .

(٧٦) آية ١٧ .

(٧٧) آية ٦٥ .

(٧٨) ينظر : الظاءات في القرآن الكريم ٣٣ ـ ٣٤ ، وظاءات القرآن ٢٦٨ .

(٧٩) السجدة ١٠ .

(٨٠) إبراهيم ٣ ، والشورى ١٨ ، وق ٢٧ .

(٨١) آل عمران ١٦٤ ، ومواضع أُخَر . (ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٤٢٣) .

(٨٢) المؤمنون ١٠٦ ، والصافات ٦٩ .

(٨٣) الضحى ٧ .

(٨٤) يونس ١٠٢ .

(٨٥) السجدة ٣٠ .

(٨٦) الأعراف ٧١ . وفي الأصل : وانتظروا .

(الظِّلال) : المفرد والمجموع وما تصرّف منه مرفوعٌ حيثُ وقع ، نحو : ﴿ في ظِلالٍ وعيونٍ ﴾(٨٧) ، ﴿ وظِلالهم بالغُدُوِّ ﴾(٨٨) ، ﴿ وظَلَّلْنا عليهم ﴾(٨٩) ، و﴿ لا ظليلٍ ﴾(٩٠) ، ﴿ وظِلٌّ من يحموم ﴾(٩١) ، و﴿ ظِلاًّ ظليلاً ﴾(٩٢) ، وشبهه .

(لِحفْظِنا)(٩٣) : الحِفْظُ وما تصرّف منه مرفوع حيثُ وَقَعَ ، نحو : ﴿ بما حَفِظَ الله ﴾(٩٤) ، ﴿ ويَحْفَظْنَ فُروجَهُنَّ ﴾(٩٥) ، ﴿ لكلِّ أوّابٍ حفيظٍ ﴾(٩٦) ، ﴿ في لوحٍ محفوظٍ ﴾(٩٧) ، ﴿ فالله خَيْرٌ حِفْظاً ﴾(٩٨) .

* * *

وظَمِئْتُ في الظَّلْما ففي عَظْمي لَظًى ظَهَرَ الظِهارُ لأَجْلِ غِلْظَةِ وَعْظِنا

(وظمئت) : الظمأ مرفوع حيث وقع ، معناه : العطش ، نحو : ﴿ ظَمَأٌ ولا نَصَبٌ ﴾(٩٩) ، ﴿ لا تَظْمَؤُا فيها ولا تَضْحَى ﴾(١٠٠) ،

(٨٧) المرسلات ٤١ .

(٨٨) الرعد ١٥ .

(٨٩) الأعراف ١٦٠ .

(٩٠) المرسلات ٣١ .

(٩١) الواقعة ٤٣ . وفي الأصل : وظل من تدعون . وهو وهم .

(٩٢) النساء ٥٧ .

(٩٣) في الأصل : بحفظنا ، في النظم والشرح . ووقعت مادة (حفظ) في القرآن الكريم في أربعة وأربعين موضعاً .

(٩٤) النساء ٣٤ .

(٩٥) النور ٣١ . وفي الأصل : وليحفظن ، وهو وهم .

(٩٦) ق ٣٢ .

(٩٧) البروج ٢٢ .

(٩٨) يوسف ٦٤ . وهي قراءة . وفي المصحف الشريف : حافِظاً . (ينظر : السبعة ٣٥٠ ، وحجة القراءات ٣٦٢ ، وارشاد المبتدي ٣٨٢) .

(٩٩) التوبة ١٢٠ . وفي الأصل : لا ظمأ . وهو وهم .

(١٠٠) طه ١١٩ .

﴿ يَحْسَبُهُ الظمآنُ ماءً ﴾[١٠١] ، وما أشبهه[١٠٢] .

(في الظـلمـا) : الظلامُ وما تصرّف منه مرفوعٌ حيثُ وَقَعَ ، < نحو >[١٠٣] : ﴿ في ظُلُماتٍ ثلاثٍ ﴾[١٠٤] ، ﴿ ولا الظُلماتُ ﴾[١٠٥] ، ﴿ وجَعَلَ الظلماتِ ﴾[١٠٦] ، ﴿ وإذا أَظْلَمَ عليهم ﴾[١٠٧] ، ﴿ فإذا هُم مُظلِمون ﴾[١٠٨] ، و﴿ من الليلِ مُظْلِماً ﴾[١٠٩] ، وشبهه[١١٠] .

(ففي عَظْمي) : العَظْمُ : واحدُ العظامِ ، مرفوع حيثُ وَقَعَ ، نحو : ﴿ أَوْ ما اختـلطَ بعَظْمٍ ﴾[١١١] ، ﴿ وَهَنَ العَظْمُ مني ﴾[١١٢] ، ﴿ والمضغةَ عِظاماً ﴾[١١٣] .

(لَظًى) : يريد حرفين ، في سأل سائل[١١٤] : ﴿ إنّها لَظًى ﴾ ،

---

(١٠١) النور ٣٩ .

(١٠٢) ليس في القرآن الكريم إلاّ المواضع الثلاثة التي ذكرها الشارح .

(١٠٣) يقتضيها السياق .

(١٠٤) الزمر ٦ .

(١٠٥) فاطر ٢٠ .

(١٠٦) الأنعام ١ .

(١٠٧) البقرة ٢٠ .

(١٠٨) يس ٣٧

(١٠٩) يونس ٢٧ .

(١١٠) تنظر الحاشية رقم ١٤ .

(١١١) الأنعام ١٤٦ . وفي الأصل : وما اختلط . وهو وهم .

(١١٢) مريم ٤ .

(١١٣) المؤمنون ١٤ . ووقع العظم والعظام في القرآن الكريم في خمسة عشر موضعاً .

(١١٤) آية ١٥ . وهي سورة المعارج في المصحف الشريف .

وفي الليل[١١٥] : ﴿ ناراً تَلَظَّى ﴾ ، لا غير .

(ظَهَرَ) : الإظهار والظهور ، وما تصرّف منه ، مرفوعٌ حيثُ وَقَع ، نحو : ﴿ عليها يَظْهَرونَ ﴾[١١٦] ، ﴿ الظاهِرُ والباطِنُ ﴾[١١٧] ، ﴿ لِيُظْهِرَهُ على الدينِ كلِّه ﴾[١١٨] ، و﴿ ظاهِرينَ ﴾[١١٩] ، وما أشبهه .

(الظِهار) : مأخوذ من الظهر ، وهو في ثلاثة مواضع ، في الأحزاب[١٢٠] : ﴿ اللائي تَظَّهَّرونَ ﴾ ، وفي المجادلة[١٢١] : ﴿ الذينَ يُظاهِرونَ منكم من نسائهم ﴾ ، لا غير .

(لأَجْلِ غِلْظَة) : الغِلْظة وما تصرّف منها ، مرفوعٌ حيثُ وَقَعَ ، نحو : ﴿ عذابٍ غليظٍ ﴾[١٢٢] ، و﴿ واغْلُظْ عليهم ﴾[١٢٣] ، و﴿ فيكم غِلْظَةً ﴾[١٢٤] ، ﴿ فاسْتَغْلَظَ ﴾[١٢٥] ، وما أشبهه[١٢٦] .

---

(١١٥) آية ١٤ .

(١١٦) الزخرف ٣٣ .

(١١٧) الحديد ٣ .

(١١٨) التوبة ٣٣ .

(١١٩) غافر ٢٩ .

(١٢٠) آية ٤ . وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو . وثمة قراءات أُخَر . (ينظر : السبعة ٥١٩ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/١٩٤) .

(١٢١) آية ٢ . والموضع الثالث في المجادلة ٣ : « والذين يظاهرون من نسائهم » . وينظر في قراءات هاتين الآيتين : السبعة ٦٢٨ ، والتيسير ٢٠٨ ـ ٢٠٩ .

(١٢٢) هود ٥٨ ، ولقمان ٢٤ ، وفصّلت ٥٠ .

(١٢٣) التوبة ٧٣ .

(١٢٤) التوبة ١٢٣ .

(١٢٥) الفتح ٢٩ .

(١٢٦) وقعت (غلظ) وما تصرّف منها في ثلاثة عشر موضعاً .

(وَعْظِنا) : الوَعْظُ والمَوْعِظَةُ وما تصرَّف منه مرفوعٌ حيث وَقَعَ . ومعنـاه : ذكر الخير[١٢٧] ، وانشـراح الصـدر ، ولين القـلب ، نحو : ﴿ وعِظْهُمْ ﴾[١٢٨] ، ﴿ فعِظُوهُنَّ ﴾[١٢٩] ، ﴿ يُوعَظُ بِهِ ﴾[١٣٠] ، و﴿ لِمَ تَعِظُونَ قوماً ﴾[١٣١] ، و﴿ أَوَعَظْتَ أَمْ لم تكنْ مِن الواعظـين »[١٣٢] ، وشبهه[١٣٣] .

فأمّا قولُهُ في الحجر[١٣٤] : ﴿ عِضِـين ﴾ فهو سـاقط ، لأنّه من العِضَة ، وهو القطعةُ من الشيء ، يعني : أنّهم جعلوا القرآن قِطَعاً ، يؤمنونَ ببعضٍ ويكفرونَ ببعض[١٣٥] . انتهى .

* * *

أنظـرْت نَفْظِي كي تَيَقَّظَ فَظّـهُ وحَظَرْتُ ظَهْرَ ظَهِيرها مِن ظُفْرِنا

قوله : (أُنظرت)[١٣٦] : الإنظـار[١٣٧] والنَّظِرة ، وما تصرّف منها

---

(١٢٧) في الأصـل : ومعناه تذكر وانشراح . وما أثبتناه من الظاءات في القرآن الكريم ٢٧ .

(١٢٨) النسـاء ٦٣ .

(١٢٩) النساء ٣٤ . وفي الأصل : فعظوهم . وهو وَهْمٌ .

(١٣٠) البقرة ٢٣٢ .

(١٣١) الأعراف ١٦٤ .

(١٣٢) الشعراء ١٣٦ .

(١٣٣) وقعت مادة (وعظ) ومشتقـاتها في القرآن الكريم في خمسـة وعشـرين موضعاً .

(١٣٤) آية ٩١ .

(١٣٥) ينظر : تفسـير الطبري ٦٤/١٤ ، والمحرر الوجيز ١٥١/١٠ ، وتفسـير القرطبي ٥٨/١٠ .

(١٣٦) في الأصل : انتظرت ، في النظم والشرح . والصواب ما أثبتنا .

(١٣٧) في الأصل : الانتظار . والصواب ما أثبتنا .

مرفوع أبداً حيثُ وَقَعَ ، ومعناه : التأخير والإمهال ، نحو ﴿قالَ ربِّ فأَنْظِرْني إلى يوم يُبعثون ﴾[١٣٨] ، ﴿ قالَ فإنَّكَ من المُنْظَرين﴾[١٣٩] ، ﴿ فنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ ﴾[١٤٠] .

(لَفْظِي) : يريد قوله تعالى : ﴿ ما يَلْفِظُ من قَوْلٍ ﴾[١٤١] لا غير .

(كي تَيَقَّظَ) : يريد [٥٤أ] في ضدّ النوم : ﴿وتَحْسَبُهُم أَيقاظاً وهُمْ رُقُودٌ ﴾[١٤٢] ، لا غير .

فأَمَّا قوله تعالى : ﴿ وقَيَّضْنا ﴾[١٤٣] فهو مسقوط ، لأنّ معناه : يَسَّرْنا .

(فَظّه) : يريد قوله تعالى : ﴿ولو كُنْتَ فَظّاً غليظَ القلبِ ﴾[١٤٤] لا غير . ومعناه : الفَظَاظة[١٤٥] والغِلْظَةُ .

فأَمَّا قوله : ﴿ لانْفَضُّوا من حَوْلكَ ﴾[١٤٦] ، و﴿ حتى

---

(١٣٨) الحجر ٣٦ . وفي الأصل : أنظرني . وأثبتنا ما في المصحف الشريف .

(١٣٩) الحجر ٣٧ .

(١٤٠) البقرة ٢٨٠ .

(١٤١) ق ١٨ .

(١٤٢) الكهف ١٨ .

(١٤٣) فصلت ٢٥ .

(١٤٤) آل عمران ١٥٩ .

(١٤٥) في الأصل : الفضاضة ، بالضاد . وهو وَهْمٌ . وينظر : حصر حرف الظاء ١٨٢ .

(١٤٦) آل عمران ١٥٩ .

ينفضُّوا ﴾[١٤٧] ، ﴿ انفضُّوا إليها ﴾[١٤٨] ، فليس من الغِلْظة ، معناه : التفريق ، يعني : لافترقوا . والأول هو الرجل المتحدد في موته المتغلّظ في مخاصمته[١٤٩] .

(وحَظَرْت)[١٥٠] : يريد بها الحَظْر الذي هو مرفوع معناه : المنع ، وهما موضعان : في سبحان[١٥١] : ﴿وما كانَ عطاءُ رَبِّكَ مَحْظوراً ﴾ ، وفي سورة القمر[١٥٢] : ﴿ فكانوا كهشيمِ المُحْتَظِر ﴾ ، لا غير .

فأمّا الحضور الذي هو ضدّ الغيبة فهو مسقوطٌ . حيثُ وَقَعَ ، نحو : ﴿ مُحْضَرُونَ ﴾[١٥٣] ، و﴿ كلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ﴾[١٥٤] ، ﴿ حتى إذا حَضَرَ أَحَدَهُم الموتُ ﴾[١٥٥] ، ﴿ فلمّا حَضَرُوه ﴾[١٥٦] ، وما أشبهه[١٥٧] .

---

(١٤٧) المنافقون ٧ .
(١٤٨) الجمعة ١١ .
(١٤٩) ينظر في الفظ والفض : الفرق بين الحروف الخمسة ١٥٥ ، وزينة الفضلاء ٩٨ ، وظاءات القرآن ٢٦٩ ، والاعتماد ٤٩ . [والعبارة الأخيرة بحاجة إلى تحرير/المجلة] .
(١٥٠) في الأصل : وحضرت ، بالضاد ، وهو سهو .
(١٥١) آية ٢٠ . وهي سورة الإسراء في المصحف الشريف .
(١٥٢) آية ٣١ .
(١٥٣) الروم ١٦ ، ومواضع أُخَر . (ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ٢٠٦) .
(١٥٤) القمر ٢٨ .
(١٥٥) النساء ١٨ .
(١٥٦) الأحقاف ٢٩ .
(١٥٧) ينظر في حضر وحظر : الفرق بين الضاد والظاء ٩ ، زينة الفضلاء ١٠٠ ، الاعتماد ٢٩ .

(ظَهْر) : الظَهْرُ من الإنسان وغيره مرفوعٌ حيثُ وَقَعَ ، نحو : ﴿ على ظَهْرِها ﴾[١٥٨] ، و﴿ على ظَهْرِه ﴾[١٥٩] ، ﴿ وراءَكُم ظِهْرِيّاً ﴾[١٦٠] و﴿ على ظُهورِهم ﴾[١٦١] ، و﴿ حُرِّمَتْ ظُهورُها ﴾[١٦٢] .

(ظَهِيرها) : التظاهرُ والمظاهرة وما تصرَّف منها ، مرفوع حيثُ وَقَعَ ، معناه : التعاون ، < نحو : ﴿ تَظَاهَرُونَ>[١٦٣] عليهم ﴾[١٦٤] ، و﴿ ساحِرانِ تظاهرا ﴾[١٦٥] ، و﴿ على رَبِّهِ ظَهِيراً ﴾[١٦٦] ، ﴿ ولم يُظاهِروا عليكم أحداً ﴾[١٦٧] ، ﴿ إنَّهُم إنْ يظهروا عليكم ﴾[١٦٨] ، و﴿ الذينَ ظاهَروهم ﴾[١٦٩] .

(من ظُفُرِنا) : يريد في سورة الأنعام[١٧٠] : ﴿ كلَّ ذي ظُفُرٍ ﴾ ، لا غير . انتهى .

كمل بحمد الله وحسن عونه .

---

(١٥٨) فاطر ٤٥ .

(١٥٩) الشورى ٣٣ .

(١٦٠) هود ٩٢ .

(١٦١) الأنعام ٣١ .

(١٦٢) الأنعام ١٣٨ .

(١٦٣) يقتضيها السياق .

(١٦٤) البقرة ٨٥ .

(١٦٥) القصص ٤٨ .

(١٦٦) الفرقان ٥٥ .

(١٦٧) التوبة ٤ .

(١٦٨) الكهف ٢٠ .

(١٦٩) الأحزاب ٢٦ . وقد وقعت مادة (ظهر) بمشتقاتها في القرآن الكريم في تسعة وخمسين موضعاً .

(١٧٠) آية ١٤٦ .

ثَبت المصادر والمراجع

ـ المصحف الشريف

(أ)

ـ أبو عمرو الداني الأندلسي ورسالته في الظاءات القرآنية : د. محسن جمال الدين ، بغداد ١٩٧٠ .

ـ إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر : القلانسي ، محمد بن الحسين ، ت ٥٢١هـ ، تح عمر حمدان الكبيسي ، مكة المكرمة ١٩٨٤ .

ـ الإرصاد في شرح المرصاد الفارق بين الظاء والضاد : الجعبري ، إبراهيم بن عمر ، ت ٧٣٢هـ ، مخطوطة رقمها ١/١٠٢٠٧ في خزانة المتحف العراقي .

ـ الأضداد : الأصمعي ، عبد الملك بن قريب ، ت ٢١٦هـ ، تح هفنر (نشر في كتاب : ثلاثة كتب في الأضداد) ، بيروت ١٩١٢ .

ـ الأضداد : ابن الأنباري ، أبو بكر محمد بن القاسم ، ت ٣٢٨هـ ، تح أبي الفضل ، الكويت ١٩٦٠ .

ـ الأضداد : التوزي ، عبد الله بن محمد ، ت ٢٣٣هـ ، تح د. محمد حسين آل ياسين ، بيروت ١٩٨٣ .

ـ الأضداد : قطرب ، محمد بن المستنير ، ت بعد ٢١٠هـ ، تح د. حنا حداد ، الرياض ١٩٨٤ .

ـ الأضداد في كلام العرب : أبو الطيب اللغوي ، عبد الواحد بن علي ، ت ٣٥١هـ ، تح د. عزة حسن ، دمشق ١٩٦٣ .

ـ الاعتماد في نظائر الظاء والضاد : ابن مالك الطائي ، محمد ، ت ٦٧٢هـ ، تح د. حاتم صالح الضامن ، بيروت ١٩٨٤ .

ـ الاقتضاء للفرق بين الذال والضاد والظاء : أبو عبد الله الداني ، محمد بن أحمد بن سعود ، ت بعد سنة ٤٧٠هـ ، تح د. علي حسين البواب ، الرياض ١٩٨٧ .

ـ الاقناع في القراءات السبع : ابن الباذش ، أحمد بن علي ، ت ٥٤٠هـ ، تح د. عبد المجيد قطامش ، دمشق ١٤٠٣هـ .

(ت)

ـ تاج العروس : الزَّبيدي ، محمد مرتضى ، ت ١٢٠٥هـ ، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦هـ .

ـ تثقيف اللسان : ابن مكي الصقلي ، عمر بن خلف ، ت ٥٠١هـ ، تح د. عبد العزيز مطر ، القاهرة ١٩٦٦ .

ـ تفسير الطبري (جامع البيان) : الطبري ، محمد بن جرير ، ت ٣١٠هـ ، البابي الحلبي بمصر ١٩٥٤ .

ـ تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : القرطبي ، محمد بن أحمد ، ت ٦٧١هـ ، القاهرة ١٩٦٧ .

ـ التمهيد في علم التجويد : ابن الجَزَري ، محمد بن محمد ، ت ٨٣٣هـ ، تح د. علي حسين البواب ، الرياض ١٩٨٥ .

ـ تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين : الصفاقسي ، علي بن محمد النوري ، ت ١١١٨هـ ، تح محمد الشاذلي النيفر ، تونس ١٩٧٤ .

ـ التيسير في القراءات السبع : أبو عمرو الداني ، عثمان بن سعيد ، ت ٤٤٤هـ ، تح أوتو برتزل ، استانبول ١٩٣٠ .

(ح)

ـ حجة القراءات : أبو زرعة ، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، ق ٤هـ ، تح سعيد الأفغاني ، منشورات جامعة بنغازي ١٩٧٤ .

ـ حصر حرف الظاء : الخولاني ، أبو الحسن علي بن محمد المقرئ ، ت بعد ٤٨٥هـ ، تح د. حاتم صالح الضامن (نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي م٤١ ج٢) ، بغداد ١٩٩٠ .

(ر)

ـ الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة : القيسي ، مكي بن أبي طالب ، ت ٤٣٧هـ ، تح د. أحمد حسن فرحات ، عمّان ١٩٨٤ .

(ز)

– زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء : الأنباري ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد ، ت ٥٧٧هـ ، تح د. رمضان عبد التواب ، بيروت ١٩٧١ .

(س)

– السبعة في القراءات : ابن مجاهد ، أبو بكر أحمد بن موسى ، ت ٣٢٤هـ ، تح د. شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ١٩٨٠ .

– سر صناعة الإعراب : ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، ت ٣٩٢هـ ، تح د. حسن هنداوي ، دمشق ١٩٨٥ .

(ظ)

– الظاءات في القرآن الكريم : أبو عمرو الداني ، تح د. علي حسين البواب ، الرياض ١٩٨٥ .

– ظاءات القرآن : السرقوسيّ ، سليمان بن أبي القاسم ، ت نحو ٥٩١هـ ، تح د. حاتم صالح الضامن (مجلة المجمع العلمي العراقي م٤٠ ج١) ، بغداد ١٩٨٩ .

(غ)

– غاية النهاية في طبقات القراء : ابن الجَزَري ، تح برجستراسر وبرتزل ، القاهرة ١٩٣٢ – ١٩٣٥ .

(ف)

– الفرق بين الحروف الخمسة : ابن السيد البطليوسي ، عبد الله بن محمد ، ت ٥٢١هـ ، تح عبد الله الناصير ، دمشق ١٩٨٤ .

– الفرق بين الضاد والظاء : الصاحب بن عبّاد ، ت ٣٨٥هـ ، تح الشيخ محمد حسن آل ياسين ، بغداد ١٩٥٨ .

– فهرس المخطوطات والمصورات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية : الرياض ١٩٨٢ .

(ك)

– الكتاب : سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان ، ت ١٨٠هـ ، بولاق ١٣١٦ – ١٣١٧هـ .

- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : القيسي ، مكي بن أبي طالب ، تح د. محيي الدين رمضان ، دمشق ١٩٧٤ .

(ل)

- لسان العرب : ابن منظور ، محمد بن مكرم ، ت ٧١١هـ ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٨ .

- لطائف الإشارات لفنون القراءات : القسطلاني ، شهاب الدين أحمد بن محمد . ت ٩٢٣هـ ، تح الشيخ عامر السيد عثمان ود. عبد الصبور شاهين ، القاهرة ١٩٧٢ .

(م)

- المبسوط في القراءات العشر : ابن مهران الأصبهاني ، أبو بكر أحمد بن الحسين ، ت ٣٨١هـ ، تح سبيع حمزة حاكمي دمشق ١٩٨٦ .

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ابن عطية عبد الحق ، ت ٥٤١هـ ، المغرب ١٩٧٥ - ١٩٩١ .

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي دار مطابع الشعب ، مصر .

- معرفة الضاد والظاء : الصقلي ، أبو الحسن علي بن أبي الفرج القيسي ، ت ؟ ، تح د. حاتم صالح الضامن ، بيروت ١٩٨٥ .

- منظومات أصول الظاءات القرآنية : د. طه محسن ، (مجلة معهد المخطوطات م٣٠ ج٢) ، الكويت ١٩٨٦ .

(ن)

- النشر في القراءات العشر : ابن الجزري ، تح د. محمد سالم محيسن ، القاهرة .

النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية

في

دراسات المستشرقين الألمان

الدكتور موسى ربابعة

مقدمة :

حظي الشعر الجاهلي بدراسات المستشرقين الألمان منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وقد أظهرت هذه الدراسات اهتمامات المستشرقين بتحقيق النصوص ونشرها أو ترجمتها ، هذا بالإضافة إلى اهتمامهم بلغة الشعر الجاهلي واتخاذه مادة مهمة للتعرف على حياة العرب في جوانبها المختلفة .

ولكن دراسة القصيدة الجاهلية على أنها فن شعري قائم بذاته لم تلق من عنايتهم شيئاً كثيراً في وقت مبكر ، وقد حاولت دراسات عدة أن تقف عند القصيدة الجاهلية منطلقة في ذلك من زوايا نظر مختلفة . وليس هناك من شك في أن أسباباً معينة حالت دون النظر إلى القصيدة الجاهلية نظرة متكاملة ، وأول هذه الأسباب قضية النحل التي شغلت المستشرقين منذ وقت مبكر ، وجعلتهم يشكون في صحة هذا الشعر ، وذلك مثل الدراسات التي قام بها نولدكه ومرغليوث . أما السبب الثاني فهو متعلق برؤية المستشرقين ، وهي رؤية تقوم على أن الشعر العربي لا يتناسب مع

الذوق الأوروبي[١] . وأما السبب الثالث فهو أن نظرة المستشرقين إلى القصيدة الجاهلية كانت تفترض أن القصيدة الجاهلية مفككة وغير مترابطة تجمع موضوعات لا رابط بينها ، وكان الذي بلور مثل هذا التصور للشعر العربي بصورة عامة هو المستشرق تاديوسيز كوفاليسكي Tadeusz Kowalski الذي اتهم الشعر العربي بالتفكك والتجزؤ[٢] .

إن هذه الأسباب مجتمعة كانت كفيلة بأن تصرف نظر المستشرقين عن معاينة النص على أنه بناء متكامل ، ولذلك جاءت دراساتهم للقصيدة الجاهلية دراسة تهتم ببعض الأجزاء دون أن تدرس العلاقات القائمة بين أجزاء القصيدة وتنامي هذا العلاقة وتفاعلها ، مثال ذلك ما فعلت اليزه لشتنشتيتر في دراستها عن النسيب في القصيدة الجاهلية .

وقد ظلت النظرة الجزئية إلى النص الشعري الجاهلي هي الغالبة على دراسات المستشرقين الألمان لهذا الشعر حتى مطلع السبعينيات من هذا القرن ، وربما تعد ريناته يعقوبي الرائدة في هذا المجال ، إذ إنها أخذت على عاتقها دراسة شعرية القصيدة العربية الجاهلية . ومنذ أن درست يعقوبي القصيدة دراسة متكاملة احتل الشعر الجاهلي أهمية كبيرة في نظر

---

(١) Ewald Wagner: Grundzüge der Klassishen arabischen Dichtung . Band I. Die altarabische Dichtung. Wissenschaftliche Buchgesellschaft. Darmstadt.1987.p4.

وربما يكون وراء مثل هذه الرؤية إحساس بتفوق الذات الأوربية العام الذي لم يقتصر على الأدب فقط وإنما امتد ليشمل جميع أصناف المعارف الإنسانية الأخرى . حول هذه القضية انظر : ادوارد سعيد : الاستشراق ، ترجمة كمال أبو ديب ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤ ، ص٤٢ .

(٢) Wolfhart Heinrichs: Arabische Dichtung und grieschische Poetik Beirut. 1969.P.20 – 26

المستشرقين الذين بدؤوا ينظرون إلى القصيدة الجاهلية على أنها فن شعري (Dichtung)[٣] والمقصود بذلك أن المستشرقين أخذوا ينظرون إلى القصيدة من حيث بناؤها المتكامل ، ويعترفون بها على أنها شعر خالص ، وذلك بخلاف نظرتهم الأولية إلى هذه القصيدة التي كانت معيناً تستقى منه المعلومات التاريخية والنحوية واللغوية وغير ذلك ، ولذلك لم يحتفلوا احتفالاً كبيراً بفنية القصيدة في تلك الدراسات المبكرة .

وقد كان لا بد من هذه المقدمة المختصرة عن كيفية تناول المستشرقين للقصيدة الجاهلية ، وإن كان هذا البحث يتأسس على مناقشة آراء المستشرقين حول مقدمة القصيدة . وسيحاول هذا البحث أن يناقش الآراء التي انطلق منها المستشرقون في تفسير ظاهرة النسيب . ومن خلال النظر إلى الدراسات التي كتبت حول هذا الموضوع يمكن تقسيم دراساتهم للنسيب إلى قسمين : ١ ـ أصل النسيب

٢ ـ النسيب وبناء القصيدة

أولاً : أصل النسيب :

إن أول محاولة لدراسة النسيب قام بها جورج ياكوب في دراسته عن حياة العرب قبل الإسلام Altarabisches Beduinenleben واعتقد ياكوب أن النسيب نشأ عن أغاني الحداء الحزينة[٤] وكان ياكوب قد ساق هذا الرأي دون أن يقدم أية مسوغات ، فإذا كان النسيب قد نشأ عن

(٣) Wolfhart Heinrichs: Die altarabische Qaside als Dichtkunst. Der Islam. 51.1974.p.118.

(٤) Georg jacob: altarabisches beduienenleben. Hildesheim. 1967.p.206.

الحداء فإن أجزاء القصيدة الأخرى نتجت عنه ، لأن هناك نظريات تقول بأن الشعر العربي نشأ عن الحداء(٥) . يبدو أن مثل هذا الظن يتعلق تعلقاً مباشراً بقضية نشأة الشعر العربي التي لا تقوم على أسس ثابتة ، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل راح ياكوب يعقد مقارنات بين النسيب ونشيد الأنشاد(٦) . وحاول أن يوجد بعض نقاط الالتقاء بين الاثنين من جانب المحتوى .

وقد ارتأت اليزه لشتنشتيتر أن النسيب يمكن أن يكون موازياً لما جاء في نشيد الانشاد ، ووسعت دائرة الشواهد التي جاء بها ياكوب ، إذ إنها اعتقدت أن النسيب يظهر تراثاً سامياً قديماً ، ويبرز هذا من خلال موازنته مع نشيد الإنشاد(٧) ، ولم تقف لشتنشتيتر عند هذا الحد بل ذهبت أبعد من ذلك عندما قالت إن النسيب يمكن أن يقارن بشعر الحب المصري القديم ، إذ إن النسيب يظهر تشاركاً مع الآداب الشرقية القديمة ، وقدمت على ذلك شواهد مشتركة من النسيب ومن شعر الحب المصري القديم(٨) .

إن هذه الآراء مجتمعة لا تقوم على أرضية صلبة ؛ لأن الأمر يتعلق تعلقاً مباشراً بموضوع الحب وهو موضوع إنساني وربما تكون هذه الثقافات قد التقت في رسم صورة مثالية للمرأة بشكل عام(٩) . هذا مع أن للنسيب

---

(٥) د . يوسف خليف : دراسات في الشعر الجاهلي ، مكتبة غريب . القاهرة ، ١٩٨١ ، ص٣٩ – ٤٩ .

(٦) Ewald Wagner: Grundzüge der Klassischen arabischen Dichtung. Bd.1.p.84.

(٧) Ilse lichtenstädter: Das Nasib der altarabischen Qaside. Islamica.5.1932.p.91.

(٨) Ibid p.94.

(٩) Ewald Wagner: Grundzüge der Klassischen arabischen =

في مقدمة القصيدة الجاهلية خصوصية تميزه عن غيره من ألوان الغزل . إذ إن النسيب هو جزء من القصيدة الجاهلية ولم يكن قصيدة قائمة بذاتها ، ولذلك يجب أن ينظر إليه متصلاً بالقصيدة ، وتنبع أهميته من كونه يشكل افتتاحية القصيدة .

فكيف يمكن أن يفسر المرء سر افتتاح القصيدة بالنسيب دون غيره ، وهذا الأمر قاد بعض المستشرقين إلى تفسيرات جديدة ، لكن المستشرقين الألمان وقفوا من هذه التفسيرات موقفاً سلبياً ورفضوها لأنها حاولت أن تربط النسيب بشعائر دينية مثال ما فعل غويدي Guidi الذي قال : « إن النسيب ذو وظيفة مشابهة لدعاء الآلهة كالرابسودون الموجود في مقدمة الملحمة اليونانية »(١٠) .

ولكن هذه المقارنة لم تلق قبولاً من المستشرقين الألمان ، فقد رفض بلوخ هذا الرأي رفضاً قاطعاً وقال : « إن دعاء الآلهة في مقدمة الملحمة يتعلق بدافع خارجي ، أما النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية فإنه شعر وحسب لأنه لم يرتبط بأية أجواء طقوسية »(١١) .

وليس هناك من شك في أن رأي غويدي يكتسب أهمية في أنه أول محاولة لتفسير النسيب تفسيراً دينياً ، وعلى الرغم من أهمية هذا الرأي والآراء المشابهة فإنها لا تستند على قواعد ثابتة ، على الرغم من أن النسيب يشكل طقساً من طقوس القصيدة الجاهلية ، وقد ذهب مثل هذا المذهب داود سلوم الذي يقول : « يبدو أن الشعر الغزلي الذي يرد في أول القصيدة

= dichtung.Bd.I.P.48.

(١٠) Ibid P79.

(١١) Alfred Bloch: Qaside. Asiatische studien.2.1948.P.107 – 108.

الجاهلية إنما هو بقايا للتراث الملحمي في ملاحم ما قبل التاريخ عند الساميين ، حيث كان الشاعر يقدم صلاته للآلهة قبل بداية القصيدة ثم حدث تدهور وطفرة فتحولت البداية القديمة إلى غزل بالمرأة »[١٢] .

ولكن مثل هذه الآراء تنقصها البراهين والأدلة – على الرغم من أهميتها – إذ إن النسيب ليس جزءاً قائماً بذاته وليس افتتاحية منبتة عن جسد القصيدة ككل ، إذ لو كان الأمر على هذه الشاكلة لتساوت تفسيرات المقدمات الطللية ، ولا يعني هذا تهميش المقدمة وإنما يعني أن المقدمة ذات مساس بتجربة الشاعر ورؤيته .

وقد ظنت ريناته يعقوبي « أن النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية كان في الأصل قصيدة غزلية مستقلة قائمة بذاتها Einselbstandiges Liebesgedicht تتألف من شكوى الحب ومدح جمال المرأة »[١٣] . إن هذه المقولة لا يمكن أن تؤخذ على أنها مسلمة من المسلمات لأن الأمر هنا يتعلق بالظن مما يجعل هذا الرأي غير نهائي ، لأن الرحلة أو المديح أو الغزل يمكن أن يكون قصيدة قائمة بذاتها قبل أن تندمج مع القصيدة ككل .

وإن هذا الرأي لم يستطع أن يقدم مثالاً واحداً على أن النسيب كان قد وجد منعزلاً عن القصيدة بكاملها ، ولكن هذا الرأي انبثق عن نظرة يعقوبي القائلة « بأن موضوعات القصيدة الجاهلية لم تكن في بداية الأمر

---

(١٢) د . داود سلوم : النقد العربي القديم بين الاستقرار والتأليف ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٧٠ ص٢٣٧ الهامش . وانظر رأياً مشابهاً للدكتور عادل جاسم البياتي : رمز المرأة في أدب أيام العرب ، مجلة آفاق عربية العدد ١٢ آب ١٩٧٧ ص٧ .

(١٣) Renate jacobi: studien Zur poetik der altarabischen Qaside. Wiesbaden.1971.b.106

مرتبطاً بعضها ببعض إلا من خلال الوزن والقافية ، وإنما جاءت الروابط بين هذه الموضوعات في مرحلة لاحقة »(١٤) .

تبدو هذه الآراء حول أصل النسيب لها أهميتها لو أنها استطاعت أن تقدم أدلة وبراهين ملموسة ، لكن هذه الآراء لا تقوم إلا على ظنون ، تحاول تارة أن تهمش دور النسيب في القصيدة وتجعله دوراً ثانوياً ، وتارة تحاول أن تعطي النسيب أهمية كبيرة من خلال ربطه بالجانب الديني . إن أغلب هذه الآراء تكشف عن سطحية النظرة وجعل النسيب أمراً ثانوياً في كثير من الأحيان ، وهذا يقود إلى دراسة وظيفة النسيب في بناء القصيدة الجاهلية .

ثانياً : النسيب وبناء القصيدة :

كانت دراسات المستشرقين للنسيب متنوعة ومختلفة ، وذلك من جانب علاقة النسيب بأجزاء القصيدة الأخرى . وقد جاءت دراسة لشتنشتيتر مفصلة ومسهبة ، لكنها لم تعمل على الكشف عن علاقة النسيب بالنص الشعري ككل . فقد عالجت المؤلفة النسيب باسهاب واستقصاء لكنها عزلته عن ارتباطه بالنص . وقد رأت أن النسيب يتكون من ثلاثة أجزاء : الوقوف على الأطلال ، ورحلة المرأة ، والخيال (الطيف) . ثم درست محتوى كل جزء من هذه الأجزاء(١٥) . مع أنها لم تلتفت إلى قضية العمر والشكوى من الزمن التي تتكرر في كثير من نسيب القصيدة الجاهلية .

وحاولت المؤلفة أن تدرس كيفية ابتداء كل جزء من هذه الأجزاء

---

(١٤) Ibid P.5 – 6.

(١٥) Ilse Lichtenstädter: Das Nasib der altarabischen Qaside:P.22

من الناحية الأسلوبية ، ووجدت أن الصور والتشبيهات والكنايات تتكرر في كل جزء ، وإن لكل جزء أسلوباً يفتتح به(١٦) . ولكن المؤلفة ترى أن اللحظة الجنسية تؤدي دوراً مهما في النسيب(١٧) . ولكنها لم تشر إلى ارتباط النسيب مع أجزاء القصيدة ، ولذلك جاءت دراستها وصفية ومنفصلة عن الجو العام للقصيدة .

ومع ريشتر Richter بدأ التوجه نحو نظرة عامة إلى القصيدة الجاهلية ، وذلك في مقالته Zur Entstehungsgeschichte der Altarabischen Qaside « حول قضية نشأة القصيدة العربية الجاهلية » . وأول شيء فعله ريشتر أنه لم يقتنع بما قاله ابن قتيبة عن بناء القصيدة ، فهو يرى(١٨) – كما رأى نولدكه قبله – أن شكل القصيدة عند ابن قتيبة لم يكن نهائياً ، وذلك لأن خاتمة القصيدة تكون دائماً مختلفة ، كما أن هناك أجزاء تختفي نهائياً من القصيدة مثل الرحلة ، وهو يستند في ذلك على المعلقات وما فيها من تفاوت البناء ، فهي قصائد مشهورة لكنها لم تتبع نهج ابن قتيبة(١٩) .

ينطلق ريشتر في فهمه للنسيب وللقصيدة الجاهلية من منظور أساس يقيم عليه دراسته ، وهو « أن القصيدة الجاهلية لم تبن بناء تعسفياً في

---

(١٦) Ibid P.60.

(١٧) Ibid P.78.

(١٨) Gustav Richter: zur Entstehungsgeschichte der altarabischen Qaside. Zeitschrift der deutschen morgenländishen Gesellschaft.92.1938.P.552.

(١٩) Theodor Noldeke: Beiträge Zur Kenntnis der poesie der altenaraber Hannorer 1864.P.19

موضوعاتها ، وإنما نبعت موتيفاتها (أي موضوعاتها الجزئية الأساسية) من فكرة مشتركة »[٢٠] يعني هذا الرأي أن ريشتر يحاول أن يقيم فهمه لموضوعات القصيدة المتنوعة على أنها انبثاق عن موضوع واحد داخل القصيدة يعده هو الأساس يقول : « إن النسيب هو مركز القصيدة الأكثر فاعلية فيها ؛ ولذلك فليس هناك من شك في أن موتيفات (أي الموضوعات الجزئية الأساسية) القصيدة الأخرى قد انبثقت عن النسيب »[٢١] .

وقد حاول ريشتر أن يثبت رأيه هذا من خلال اعتماده على ما كتبه هلموت ريتر Helmut Ritter عن طبيعة الشعر العربي الذي يعتمد على الوصف المسهب للأشياء التي يمتلكها الشاعر مثل المرأة والناقة والسلاح . وإن الاهتمام بمثل هذا الوصف يساعد على إبراز مجد الشاعر ومدحه لذاته ، ولذلك فإن الموضوعات التي يتحدث عنها الشاعر تتعلق بذاته تعلقاً مباشراً ، فالشاعر يريد من خلال القصيدة أن يفخر بنفسه وأفعاله وممتلكاته ، ويعني هذا أن مدح الذات عنصر رئيس تقوم عليه القصيدة ، ومعنى ذلك أن الموضوعات التي يتحدث عنها الشاعر تحمل نزعة دعائية كما في معلقتي عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة[٢٢] .

وهذا يعني أن النسيب يصبح نوعاً من الفخر بالذات ؛ لأنه يتضمن استعراضاً يقوم به الشاعر أمام محبوبته أو زوجته التي يخاطبها ، فالافتخار بالذات أمام المرأة إنما هو محاولة الشاعر لامتلاكها أو إعادة امتلاكها بعد أن رحلت ، ويقدم ريشتر أدلة على ذلك من معلقة لبيد ومعلقة عنترة ، إذ يرى

---

(٢٠) Gustav Richter: Zur Entstehungsgeschichte der altarabischen Qaside.P.555

(٢١) Ibid P.561.

(٢٢) Ibid P.560.

أن قول لبيد هو استعراض دعائي من الشاعر أمام المرأة :

أولَمْ تكنْ تدري نوارُ بأنني وصَّالُ عَقْدِ حبائلٍ جذَّامُها

ترَّاكُ أمكنةٍ إذا لم أرْضَها أو يعتلقْ بعضَ النفوسِ حِمامُها[٢٣]

ويقول إن هذه الأبيات تتعلق بذات الشاعر تعلقاً مباشراً وإنها تقوده إلى مدح الذات والافتخار بها .

إن حديث الشاعر إلى نوار في معلقة لبيد يكشف عن فخره بذاته وذلك بتضخيمه للأنا من خلال استخدامه لصيغ المبالغة « وصال ، جذام ، تراك » ، لكن هذا الحديث إلى نوار لا يمكن أن يفسر النسيب على أنه فخر بالذات ، والدليل على ذلك أن نسيب معلقة لبيد كان نسيباً قاتماً ومظلماً لا يشي إلا بالخراب والدمار ، ولذلك تمنى الشاعر الإحياء لهذه الأطلال . وكان الشاعر منبتاً عن دائرة المكان ودائرة المرأة ، وهذا ما جعله يحس أنه يقف في مواجهة عالم هش لا تتوافر فيه الطمأنينة ، ولا يعكس أي حس من أحاسيس الفخر بالذات ، بل إنه يشعر بالانطفاء والهامشية . أما عودة الشاعر إلى خطاب نوار في الأبيات السابقة فإنه مدخل إلى الخلاص من عالم الموت والقفر وإحساس بقيمة الذات من خلال سعيها إلى الاندماج مع القبيلة التي تهيئ للشاعر شيئاً من الطمأنينة التي كان يفتقدها في مقدمة القصيدة .

وخلاصة رأي ريشتر « أن الموضوعات كلها التي نجدها في القصيدة المثالية تتضح معالمها من خلال الموتيفات (أي الموضوعات الجزئية الأساسية) الدعائية للنسيب ، وذلك من خلال عودة ظهورها في

---

(٢٣) ديوان لبيد بن ربيعة ، تحقيق د إحسان عباس ، الكويت ، ١٩٦٢ ، ص٣٠٥ .

القصيدة »[٢٤] . كما أن ريشتر ذهب أبعد من ذلك وعدَّ القصيدة الجاهلية دعاية ، حتى إنه عد البكاء على الحبيبة شكلاً من أشكال الدعاية[٢٥] .

وفي ضوء هذا التصور فإن النسيب لم يكن عبارة عن مقدمة فقط ، وإنما هو مركز القصيدة الذي انبثقت منه الأغراض الأساسية الأخرى ، ولكن تفسير ريشتر للنسيب لا يخلو من بعض الهنات ، وأول هذه الهنات أن النسيب يوجد في قصائد ذات موضوعات لا تتعلق بمدح الذات أو الفخر بها ، إذ إنها ربما تكون مديحاً لشخص آخر أو عتاباً أو هجاء أو تحذيراً ، ولذلك فإن مدح الذات يختفي من هذه القصائد اختفاء تاماً ، فكيف يمكن أن يفسر نسيب معلقة زهير المدحية ومعلقة النابغة الذبياني العتابية ؟ ومن هنا فإن النسيب إذا صلح ارتباطه بالفخر بالذات فإنه يصطدم بنماذج شعرية جاهلية تخلو من هذا الموضوع بشكل مباشر ، كما أن هناك مقطوعات شعرية يفتخر بها الشاعر بنفسه دون أن يفتتحها بالنسيب ، مثال ذلك الشعر الذي كان يقوله الشعراء وقت الحرب أو شعر الرجز . فكيف يمكن أن يفسر المرء مثل هذا المقطوعات . وعلى هذا الأساس تسقط مقولة ريشتر من أن القصيدة ما هي إلا نسيب موسع .

إن النسيب لا يمكن أن يكون نوعاً من أنواع الدعاية ، لأنه يحتوي على ذكريات موجعة وحزينة وإن هذا ظاهر بشكل بارز من خلال الحديث عن الأطلال وفراق الحبيبة . وهما يكشفان عن الوجع الإنساني الذي تصبح فيه ذات الشاعر محطمة ، ولكن الفخر بالذات الذي يأتي في القصيدة

(٢٤) Gustav Richter: Zur Entstehungsgeschichte der altarabischen Qaside.P.563.

(٢٥) Ibid P.568.

يمكن أن يهدف إلى سعي الشـاعر إلى حفظ الذات وإعادة توازنها أمام الخلخلة أو الهزة التي يسببها إقفار الديار وانفصال المحبوبة عنه .

ولو كانت نظرية ريشتر مقتصرة على القصائد الثنائية التي تتألف من النسيب ومدح الذات لأمكن أن يقوم رابط بين النسيب ومدح الذات ، إلا أن الشواهد التي قدمها ريشتر لم تستطع أن تبرز الترابط العميق بين النسيب ومدح الذات ، فهو لم يكن موفقاً في اختياره معلقة عنترة شاهداً على ذلك ، لأن الرحلة تفصل بين النسيب والفخر بالذات . ولكن لا يعدم المرء أمثلة من الشعر الجاهلي يجد فيها ترابطاً واضحاً بين النسيب والفخر بالذات ، مثال ذلك قول خفاف بن ندبة :

طَرقتْ أُسَيْمَاءُ الرِّحالَ ودُونَنا ... من فَيْدِ غَيْقَةَ ساعِدٌ فكَثِيبُ
فالطَّوْدُ فالمَلَكاتُ أصبحَ دُونَها ... ففراغُ قُدْس فعَمْقُها فَحُسُوبُ
فلئِنْ صرَمْتِ الحبلَ يا ابنةَ مالك ... والرأيُ فيه مُخْطئٌ ومُصِيبُ
فَتعَلَّمي أنّي امرؤٌ ذو مِرَّةٍ ... فيما أَلَمَّ من الخطوبِ صَليبُ
أَدَعُ الدناءةَ لا أُلابِسُ أهلَها ... ولدَيَّ من كَيْس الزمان نَصِيبُ
ومُعَبّد يَبْضُ القَطَا بِجُنوبِهِ ... ومن النَّواعِجِ رِمَّةٌ وصَليبُ
نَفَّرْتُ آمِنَ طَيْرِهِ وسِبَاعِهِ ... بِبُغامِ مِجْذَام الرَّواح خَبُوب
أُجُدٍ كأنَّ الرَّحلَ فَوقَ مُقَلَّصٍ ... عاري النَّواهقِ لاحَهُ التَّقريبُ
عَدَلَ النُّهاقُ لِسَانَه فكأنَّه ... لما تَحَمَّط للشُّحاج نقِيبُ
ولقد هبطتُ الغيثَ يدفعُ مَنكِبي ... .(٢٦)

(٢٦) الأصمعي : الأصمعيات ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، بيروت ، ط ٥ . د . ت ص ٢٧ ـ ٢٨ . فيد وغيقة وساعد وكثيب والطود وقدس وعمق : أسماء أماكن ، مرة : قوة ، الكيس : العقل . المعبد : الطريق المهد . النواعج : الإبل البيض . الصليب : ودك العظام ، البغام : حنين الإبل ، مجذام الرواح : =

تكشف هذه القصيدة عن أن هناك ترابطاً وثيقاً بين مقدمة القصيدة ، والفخر بالذات وهنا يمكن أن يستقيم لريتشر رأيه الذي يتأسس على أن القصيدة الجاهلية ما هي إلا قصيدة دعائية استعراضية أمام المحبوبة التي يتعلق بها الشاعر . ومثال آخر على ارتباط النسيب بالفخر بالذات قول ربيعة ابن مقروم :

أَلا صَرَمَتْ مودَّتَكَ الرُّوَاعُ ... وجَدَّ البَيْنُ منها والوَدَاعُ
وقالتْ : إنَّهُ شيخٌ كبيرٌ ... فَلَجَّ بها ، ولم تَرِعِ ، امْتِنَاعُ
فإمَّا أمسِ قد راجعتُ حِلْمِي ... ولاحَ عليَّ من شَيْبٍ قِناعُ
فقد أصلُ الخَلِيلَ وإن نآني ... وغِبُّ عَداوتي كَلأٌ جُدَاعُ
وأحفَظُ بالمَغِيبةِ أمرَ قومي ... فلا يُسْدَى لَدَيَّ ولا يُضَاعُ
ويَسْعَدُ بي الضريكُ إذا اعتراني ... ويَكْرَهُ جانِبِي البَطَلُ الشُّجاعُ
ويأبَى الذَّمَّ لي أنّي كَرِيمٌ ... وإنَّ محلّي القَبَلُ اليَفَاعُ
وأنّي في بَنِي بَكْرِ بْنِ سَعْدٍ ... إذا تَمَّتْ زَوَافِرُهُمْ أُطَاعُ
ومَلْمُومٍ جَوَانِبُها رَدَاحٍ ... تُزَجَّى بالرِّماحِ ، لها شُعَاعُ
شَهِدْتُ طِرَادَها فَصَبرتُ فيها ... إذا ما هَلَّلَ النِّكْسُ اليَرَاعُ
وخَصْمٍ يَرْكَبُ العَوْصَاءَ طَاطٍ ... عن المُثْلَى ، غُناماه القِذَاعُ
....(٢٧)

= سريعة السير عند الرواح . الخبوب : وصف من الخبب وهو السرعة ، الأجد : القوية ، المقلص : الطويل القوائم . الناهقان : عظمان شاخصان في وجه ذي الحافر ، لاحه : غيّره ، تخمط : هدر في حدة وغضب ، الشحاج : رفع الصوت ، النقيب : العريف على القوم .

(٢٧) المفضل الضبي : المفضليات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، بيروت ، ط٦ ، د . ت ص ١٨٦ ـ ١٨٧ الرواع : اسم امرأة . لجّ : تمادى . غبّ عداوتي : عاقبتها . كلأ جداع : كلأ وخيم . لا يسدى : لا يهمل . =

إن هذه الشواهد يمكنها أن تسوغ نظرية ريشتر لكن المشكلة التي وقع فيها هي مشكلة التعميم ، فهو لم يتحدث عن الاتصال بين النسيب والفخر الذاتي في القصائد الثنائية في تركيبها ، وإنما عمم ذلك على قصائد الشعر الجاهلي ، دون أن يراعي اختلاف الغرض الرئيس في القصيدة ، ودون أن يلتفت إلى وضع الشاعر النفسي الحزين الذي تعكسه لوحة النسيب في القصيدة ، فالنسيب لا يمكن أن يكون ذا نبرة دعائية أو لهجة استعراضية دائماً .

أما الفرد بلوخ فقد رفض تفسير ريشتر للنسيب(٢٨) وعمد إلى تصنيف الشعر الجاهلي إلى عدة أقسام أساسية وعلى النحو التالي :

١ ـ شعر الرجز المصاحب للعمل مثل أغاني العمل والحرب وترقيص الأطفال ، وإن هذه الأغاني تصور الأصل القديم للشعر العربي .

٢ ـ شعر الرسالة : وفي هذا اللون من الشعر يتحدث الشاعر عن أحداث تعنيه أو تعني قومه ، ويكون محتوى هذا الشعر التحذير أو الرد على التهديد أو العتاب وغير ذلك من هذه الأشياء . وفي هذا النمط من الشعر تعطى معلومات للساعي عن الطريق التي يجب أن يسيرها .

٣ ـ شعر الرثاء : في هذا النمط من الشعر يتحدث الشاعر عن ذكريات الشباب الماضية .

= الضريك : المحتاج الضعيف . القبل : ما استقبلك من الجبل . اليفاع : الموضع المرتفع . الزوافر : الجماعات . الململوم جوانبها : يعني الكتيبة . الرداح : الكثيرة الحرارة . تزجى : تساق ، هلل : جبن ورجع . اليراع : الذي لا جرأة ولا صبر له في الحرب . العوصاء : الخطة الشديدة . الطاط : المنحرف . القذاع : السباب .

(٢٨) alfred Bloch: Qaside.P.106 – 107

٤ ـ أغاني الرحلة ، وحسب رأي بلوخ فإن القصائد الجاهلية كانت في أصلها عبارة عن أغاني الرحلة إذ إن إنشاد القصيدة كان لحث الإبل على السير لكي تختصر الرحلة المملة في الصحراء(٢٩) .

إن هذا التقسيم يظهر أنواع الشعر الجاهلي ، ولكن بلوخ يرى أن القصائد كانت عبارة عن أغاني الرحلة ، إذ إنها لم تستخدم مؤخراً على أنها أغان للرحلة ، ولكنها كانت هكذا في الأصل ، إذ إن موتيفات (أي الموضوعات الجزئية الأساسية) القصائد وبناءها تتضح من خلال هذا الفهم ، إذ إن معظم الشعر العربي هو شعر رسالة ، يحملها الشاعر إلى ساع يطلب منه أن يبلغها ؛ ولذلك فإن على الساعي أن يقطع مسافات واسعة ، ويرى بلوخ أن هناك عنصرين يتصلان بالرسالة وهما النسيب ورحلة الناقة ، وهنا يجد بلوخ نفسه مضطراً لكي يفسر النسيب في مقدمة القصيدة فيقول : إن النسيب ما هو إلا تسلية للساعي أو للسعاة ، ولذلك يجب عليه أن يتضمن محتوى يقيد الإنسان من الجانب النفسي بشكل تام(٣٠) وهو بذلك يقترب من تفسير ابن قتيبة للنسيب الذي رأى فيه تأثيراً نفسياً في السامع .

يبدو أن النسيب يصبح هنا تسلية وحسب ، إذ إن الشاعر يذكر أماكن كثيرة في مقدمة القصيدة لكي يدل الساعي على الطريق الشاق الذي يجب أن يقطعه ، وحتى يجعل الشاعر التكليف الصعب حلواً فلا بد إذن من تسلية للساعي وهذه التسلية قائمة في النسيب(٣١) .

---

(٢٩) Ibid.P.116 – 123

(٣٠) Ibid.P.124 – 125

(٣١) Ibid P.132

يظهر تفسير بلوخ للنسيب غير مقنع تماماً وذلك لأنه يلغي ذات الشاعر الغاء تاماً ، ولذلك يصبح النسيب أكثر صلة بالساعي منه بالشاعر ، وهذا أمر لا يمكن أن يقبل بسهولة ، فالشعراء يعانون ومعاناتهم تتجه للتخفيف عن الساعي ، فالشعراء في النسيب يصورون معاناتهم أمام التهدم المكاني والانفصال عن المرأة ، ولذلك يظهر التوتر القائم بينهم وبين العالم من حولهم . ولذلك « فإن النسيب كان تعبيراً يجسم لنا ارتداد الشاعر إلى نفسه وخلوه إليها وهو بذلك يعد الجزء الذاتي في القصيدة الذي يعبر فيه الشاعر عن موقفه من الحياة والكون من حوله »[٣٢] .

إن النسيب لا يمكن أن يكون منبتاً عن ذات الشاعر ولا يمكن جعله عنصراً ثانوياً في القصيدة ، ولذلك كيف يمكن بلوخ أن يفسر الأماكن الكثيفة في النسيب وبكاء الشاعر ووقوفه على الأطلال . فالمكان جزء أساس لا يمكن تفسيره دون أن يتعلق بتجربة الشاعر الذاتية ، ولا يتعلق بالسعاة الذين يحملون الرسائل التي يبلغهم الشعراء اياها .

إن تفسير بلوخ للنسيب جاء تفسيراً سطحياً هامشياً ، والسبب وراء ذلك أن بلوخ أراد أن يثبت رأيه في أن القصيدة العربية هي قصيدة رسالة لا بد لها من حامل يحملها ولكن قصيدة الرسالة لها بناؤها الخاص بها وليس هناك من شك في أن قصائد الشعر الجاهلي ليست قصائد رسالة في مجموعها ، إذ توجد دواوين لشعراء جاهليين دون أن تحتوي على قصيدة

---

(٣٢) د . عز الدين إسماعيل : النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية في ضوء التفسير النفسي ، مجلة الشعر ، العدد الثاني ، السنة الأولى ، فبراير ، ١٩٦٩ ، ص٧ . ود. يوسف خليف : دراسات في الشعر الجاهلي . ص١١٧ . ود. عبده بدوي : وجهة نظر حول قضيتي الطلل والتشبيب في مقدمة القصيدة ، فصول ، المجلد الرابع العدد الثاني ، ١٩٨٤ ، ص٣٢ .

رسالة . لكن المرء يستطيع أن يسمي القصائد التي تتخذ من الصيغ التالية : « أبلغ ، أبلغا ، بلّغ ، ومن مبلغ الخ » قصائد رسالة ، إذن فليس هناك من شك في أن هذا الرأي يحصر الدراسة في وحدة موضوعية واحدة ترد في الشعر العربي القديم هي الوحدة المعلن عَنها بالعلامات الأسلوبية : أبلغ ...الخ » وهو لذلك يتجنب المواجهة مع أية مشكلة قد تنشأ عن التعقيد البنائي للقصيدة »[٣٣] .

يظهر أن رأي بلوخ لا يتناسب مع بناء النص الشعري الجاهلي بشكل مطلق ، إذ إنه يتعامل مع نوع واحد من القصائد ، لكن القصائد الجاهلية متعددة البناء والتركيب فهناك قصائد تحتوي على رحلة أو مشهد صيد أو مدح أو فخر أو رثاء ولذلك فإن معظم القصائد تكشف عن بناء متفاوت لا يستقيم لرأي بلوخ .

ومن أهم الأشياء التي يصطدم بها رأي بلوخ تلك القصائد التي تحتوي على رسالة لكنها لا تحتوي على نسيب أو رحلة ، فكيف يستطيع الساعي أن يقطع الفيافي ويبلغ رسالته دون تسلية مثلاً ؟ فهناك قصائد أو مقطوعات شعرية تخلو من النسيب والرحلة مثال ذلك قول النابغة :

ألا من مبلغ عني خُرَيْماً وزَبّانَ الذي لم يرع صهري

وقوله :

أبلغ بني ذبيان أن لا أخالهم بعبسٍ إذا حلوا الدماخَ فأظلما

وقوله :

ألا أبلغا ذبيان عني رسالة فقد أصبحت عن منهج الحق جائرَهْ

---

(٣٣) ياروسلاف ستتكيفيتش : ابن قتيبة وما بعده القصيدة العربية الكلاسيكية والأوجه البلاغية للرسالة ، ترجمة مصطفى رياض ، مجلة فصول ، المجلد ٦ العدد (٢) ، ١٩٨٦ ، ص٧٤ .

وقوله :

من مبـــلغ عمـــرو بن هنـد آيـة ومن النـصـيحــة كثرة الأعذار

وقوله :

ألا أبـــلغ لديك أبـــا حـريث وعـاقبــة المــلامـة للمـليم(٣٤)

إن هذه القصائد والمقطوعات الشعرية تخلو من النسيب الذي جعله بلوخ تسلية للساعي ، وهذا أمر يناقض ما ذهب إليه بلوخ بصورة مباشرة وواضحة ، ولذلك فإن النسيب لا يمكن أن يكون للتسـلية لأنه يرتبط ارتباطاً مباشراً بالجو العام لقصيدة الرسالة ، ومن الأمثلة على ذلك قصيدة لقيط بن يعمر الإيادي التي حذر فيها قومه من كسرى الذي كان ينوي القضاء عليهم فقال مفتتحاً قصيدته :

يـا دارَ عمـرة من محتـلهـا الجرعا هاجت لي الهمَّ والأحزانَ والوجعَا
تامتْ فؤادي بذاتِ الجزع خرعبةٌ مرَّتْ تريدُ بذات العـذبـة البيعَـا
جرتْ لما بيننا حبل الشموس فلا يأسـاً مبيناً ترى منهـا ولا طيعـا
فمـــا أزالُ عـلى شحـط يـؤرقـني طيْفٌ تعمـد رحلي حيثما وضـعـا
أني بعـيـــني مـــا أمّتْ حمـولهـم بطن السُّلوطح لا ينظرن من تبعا
طـوراً أراهـــم وطـوراً لا أبيـنهـم إذا تـواضـع خدرٌ ســاعـة لمعـا

تلتقي افتتاحية قصيدة لقيط في محتواها وموتيفاتها (أي موضوعاتها الجزئية الأساسية) مع مقدمات الشعراء الجاهليين الأخرى ، ففيها ذكر الديار وأسماء الأماكن والمرأة والطيف والظعائن . ولذلك فإن هذه الافتتاحية بما تحتويه من توتر وشعور بالاضطراب والقلق تكشف عن أن الشاعر لم

---

(٣٤) ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص٨٠ ، ١٠٤ ، ١٥٣ ، ١٦٧ ، ٢١١ .

يأت بهذه الأماكن لكي يجعلها أداة لتسلية الساعي ليس غير ، وإنما تنبعث من هذه المقدمة هواجس تنبئ عن الهم والأحزان والوجع ، وإن هذه الأمور تتعلق بذات الشاعر ولا تتعلق بشخصية الساعي ، لأنها لا تتضمن إلا الشكوى والألم . والشكوى والألم عنصران مثبطان للساعي وليسا حافزين للتسلية والاندفاع لكي يبلغ الرسالة . وإن الأماكن التي يعددها الشاعر هي ميدان تجربته ، وابتعاد الشاعر عنها كفيل بايقاظ الألم والوجع في نفسه ، إن الوجع الذي تسببه الديار وانفصال المحبوبة ما هو إلا ذلك الوجع الناجم عن عدم سماع بني قومه لتحذيره إياهم من كسرى .

ومن ناحية أخرى فإن الرحلة (رحلة الشاعر) تختفي في هذه القصيدة ، فإذا كانت الرحلة قد اختفت فإن هذا يعني – حسب تفسير بلوخ – أن عنصراً من عناصر التسلية قد اختفى ، ولذلك ينطفئ تحفز الساعي لمتابعة رحلته ، ولذلك فإن هذا الأمر يكشف عن نقص نظرية بلوخ .

يبدو أن هذه القصيدة تظهر ترابطاً نفسياً بين مقدمتها وغرضها الأساس ، وإن هذا الترابط يكمن في احساس الشاعر بالفاجعة الناجمة عن عدم التصالح بينه وبين المرأة والمكان ، كما أن الرسالة تشي أيضاً بعدم رضا الشاعر عن قومه الذين رفضوا الاستماع إلى صوته ، يقول بعد النسيب مباشرة :

بل أيها الراكب المزجي على عجل	نحو الجزيرة مرتاداً ومنتجعا
أبلغ إياداً وخلل في سراتهم	اني أرى الرأي إن لم أعص قد نصعا
يا لهف نفسي إن كانت أموركم	شتى وأحكم أمر الناس فاجتمعا
ألا تخافون قوماً لا أبا لكم	أمسوا إليكم كأمثال الدبى سرعا

أبنـــاء قـوم تـأوّوكم علـى حنـق   لا يشـعـرون أضر الله أم نفعـا

إلى أن يقول :

هذا كتـابي إليكـم والنذير لكـم   لمن رأى رأيـه منكـم ومن سمعـا
لقد بذلت لكم نصحي بلا دخل   فاستيقظوا ان خير العلم مانفعا(٣٥)

مما لا شك فيه أن صوت الشاعر في المقدمة يتناغم بشكل حتى مع صوته في رسالته التي أرسلها إلى قومه ، ولذلك يصبح النظر إلى النسيب على أنه تسـلية أمراً غير مسلم به ؛ وذلك لأن موضوع القصيدة وجوها النفسي يتدخلان تدخلاً واضحاً في كيفية بناء النص ، هذا بالإضافة إلى أن مقدمة القصيدة تتمركز حول الذات المهمومة التي انتقلت من الحديث عن الهم الذاتي إلى الحديث عن الهم الجماعي المتعلق بقوم الشاعر .

مع ريناته يعقوبي تبدأ دراسة النسيب تأخذ بعداً جديداً ، ولا سيا أن المؤلفة لجأت إلى تتبع بناء القصيدة من حيث إنها قصيدة غير مرتبطة بسياقها الاجتماعي أو التاريخي ، ولذلك رفضت يعقوبي دراسة ريشتر وبلوخ ورأت أنها دراسات لا تقوم إلا على فرضيات لا يمكن قبولها بسهولة .

بدأت يعقوبي دراستها برفض تفسير ابن قتيبة للقصيدة العربية ، وذلك لأنها رأت فيه قصوراً واضحاً وإن تفسير ابن قتيبة ينطبق على نمط واحد من انماط القصيدة وهو قصائد المديح(٣٦) . لقد كانت هذه الدراسة

(٣٥) ديوان لقيط بن يعمر الإيادي . تحقيق وتعليق وتقديم خليل إبراهيم العطية ، بغداد ، وزارة الأعلام ، ١٩٧٠ ، ص ٣٠ ـ ٥٠ . تامت : ضلت وذهبت به ، الجزع : منثنى الوادي ، خرعبة : امرأة غضة ، البيعة : كنيسة النصارى وقيل كنيسة اليهود . الشموس : الدابة الممتنعة فلا تمكن من الإسراج والإلجام ، الشحط : البعد ، بطن السلوطح : اسم موضع . خلّلْ : خصّصْ . الدبى : صغار الجراد . تأووكم : أووا إليكم .

(٣٦) Renate Jacobi: Studien Zur boetik der altabischen

قد أشارت إلى رأي يعقوبي في أصل النسيب وهو رأي ينبثق من أن القصيدة العربية كانت تتألف في البداية من موضوعات يربط بينها الوزن والقافية فقط ، ومع مرور الزمن أخذ الشعراء يتدعون روابط بين هذه الموضوعات . (انظر ص٤)

ولأن يعقوبي انطلقت من هذا الفهم للقصيدة الجاهلية فإنها وصلت إلى مقولة أساسية في النسيب وهي « أن النسيب كان جزءاً قائماً بذاته أو قصيدة مستقلة تختص بوصف معاناة الحب ومدح جمال المرأة »[٣٧] . وهذا يعني أن ذكر ديار المحبوبة ورحليها ووصف ذلك وآثاره النفسية في الشاعر كان في البداية غرضاً قائماً بذاته . وقد ذهب الدكتور محمد مندور قريباً من هذا حينما قال : « فليس صحيحاً أن الشاعر المادح هو الذي فكر في أن يبدأ بذكر الديار والحبيبة والسفر وما إلى ذلك ليمهد لمديحه ، وإنما هي تقاليد الشعر الجاهلي التي استمرت حية مسيطرة بعد أن دخل التكسب في الشعر ، فأصبحت المدائح تتكون من جزئين منفصلين تمام الانفصال : القصيدة القديمة كما نجدها عند الشعراء الجاهليين القدماء ثم المدح ، ولا أدل على ذلك من أن نفكر فيما كان من الممكن أن تكون عليه تلك المدائح لو لم يوجد الشعر الجاهلي الذي لا مديح فيه ، ولو لم يطغ سلطانه

= Qaside.p.41

وحول هذا الموضوع انظر : د. يوسف بكار : بناء القصيدة العربية ، دار الأندلس ، بيروت ، ط٢ ،١٩٨٢ ، ص ٢١٤ – ٢١٥ و د. محمد حسن عبد الله : مقدمة في النقد الأدبي ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط١ ، ١٩٧٥ ، ص٥٥٠ و د. حسين الحاج حسن : أدب العرب في عصر الجاهلية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ط١ ، ١٩٨٤ ، ص٥٥ .

(٣٧) Renate Jacobi: studien Zur Poetik der altarabischen Qaside .P.106

على الشعراء اللاحقين »[٣٨] .

وعلى الرغم من رأي يعقوبي القائل بأن النسيب كان جزءاً قائماً بذاته فإنها درست النسيب دراسة مستقصية ومستفيضة . وذلك من خلال محتواه ، وقد استندت في ذلك على دراسة لشتنشتيتر ، ولكن من أهم الآراء التي جاءت في دراسة يعقوبي « أن النسيب يظهر التعارض بين الحاضر المحزن والماضي الجميل ولذلك فإنها رأت لوحة النسيب عبارة عن قصيدة ذكرى Erinnerungsgedicht »[٣٩] ؛ ولأن يعقوبي حاولت أن تتبع دور النسيب في القصيدة من غير ربطه بسياقه الاجتماعي والتاريخي فإنها لم تفد من هذه المقولة ولم تتعمق في دراسة هذا التعارض وإنما اكتفت بالاشارة إليه .

وقد حاولت يعقوبي أن تجد روابط بين النسيب والجزء الذي يليه في القصيدة ، ولكن المؤلفة عنت بالروابط حسن التخلص ، ولذلك فإن الروابط بين النسيب والرحلة تكون عند يعقوبي روابط أسلوبية محضة لا تحتوي على أية تفسيرات نفسية أو اجتماعية أو واقعية ، وإنما عمدت إلى البحث عن الروابط لتقول إن النسيب يرتبط مع الرحلة من خلال قول الشاعر « دعها ، فعزيت نفسي ، فسليت ما عندي ، فسلّ الهمّ ، فعدٍّ عما ترى ... الخ » . ولذلك ترى يعقوبي أن ارتباط النسيب مع ما يليه في القصيدة كان معللاً ، ولكن ماذا تقول يعقوبي في القصائد التي تخلو من هذه الأنماط الأسلوبية ؟ أنها قالت : إن القصائد التي يخلو نسيبها من روابط

---

(٣٨) د . محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب ، دار نهضة مصر للطبع والنشر : القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص٣١ .

(٣٩) Renate Jacobi: Studien Zur Poetik der altarabischen Qaside .P.14,25

أسلوبية مع الموضوع الذي يليه كانت قصائد أقدم تاريخياً ، أما القصائد التي تمتلك مثل هذه الروابط فإنها تشكل تطوراً في بناء القصيدة ، وهي بهذا الرأي تعود إلى دائرة الظن(٤٠) .

ثمة محاولتان تختلفان عما سبقهما من محاولات لتفسير النسيب في القصيدة الجاهلية ، المحاولة الأولى قدمها فالتر براونه الذي رأى أن الشعر الجاهلي يمكن أن يفسر تفسيراً وجودياً ، أما المحاولة الأخرى فقد كانت من تلميذه غوتفريد مولر في دراسته عن معلقة لبيد .

لقد اعتمد براونه في تفسيره للنسيب على منظور فلسفي وجودي ، واتخذ هذا المنظور أســاسـاً لفهم النسيب ، وعلى الرغم من خطر تطبيق الفـلسفة على الشعر تطبيقاً صـارماً فإن تفسـير براونه قد أثار تفسـيرات جديدة للنسيب في مقدمة القصيدة عند الباحثين العرب سواء أكانوا معه أم ضده(٤١) .

يقول براونه ــ بعد أن رفض تفسير ابن قتيبة : « إن النسيب عبارة

(٤٠) Ibid P 49 – 53

(٤١) حول هذه القضيـة انظر مثلاً : د عز الدين إسماعيل : النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية في ضوء التفسير النفسي ومطاع صفدي وايليا حاوي : موسوعة الشعر العربي ، مكتبـة خيـاط للطبـاعة والنشـر ، بيروت ،ط١ ،١٩٧٤ ، ص٤١ . ود عبده بدوي : وجهة نظر حول قضيتي الطلل والتشبيب في مقدمة القصيدة ، ص٣٤ . ود حسين عطوان : مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي دار المعارف بمصر ، ط١ ١٩٧٠ ، ص ٢١٦ ــ ٢١٩ . ويوسف اليوسف : مقالات في الشعر الجاهلي : دار الحقائق ، بيروت ، د ت : ص ١٢٥ ــ ١٢٩ . و د سعد إسماعيل شـلبي : الأصول الفنية للشعر الجاهلي : مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص١٤٣ ــ ١٤٤ . و د محمد النويهي : الشعر الجاهلي منهج في دراسـتـه وتقـديمـه ، الدار القـوميـة للطبـاعة والنشـر . القـاهرة ، د ت ، ص ١٥٢ ــ ١٥٤ .

عن اختبار القضاء والفناء والتناهي ، لأن المسألة متعلقة بمسألة وجود الإنسان ومصيره ونهايته »[٤٢] . وليس من شك في أن مسألة المصير من أهم المسائل الماثلة في لوحة النسيب إذ إنها تكشف دائماً عن الصراع القائم بين الحياة والموت ، ولكن المسألة هنا تتعلق بمذهب فلسفي متشعب الأبعاد والمواقف ، ولذلك فإن مثل هذا الرأي جدير بالاهتمام ولكن يجب أن ينظر إليه في إطار الشعر الجاهلي بصورة عامة . إذ إن هناك بعض النسيب الذي لا تنطبق عليه الفلسفة الوجودية ولذلك يصبح التعميم أمراً فيه كثير من التعسف .

أما غوتفريد مولر فهو المستشرق الثاني الذي ينطلق في تفسيره للقصيدة الجاهلية من منظور فلسفي ، وهذا الأمر ليس غريباً على مولر ، فأستاذه براونه عمد إلى الإفادة من الوجودية في تفسير النسيب ، ولذلك فإن مولر يعيب الباحثين السابقين لأنهم لم يعاينوا النص الشعري الجاهلي في إطاره التاريخي والاجتماعي[٤٣] .

يرى مولر في دراسته لمعلقة لبيد أن الانفصال بين الشاعر والمحبوبة ناتج عن انفصال قبيلتين نقض بينهما عهد أو ميثاق ، أو أن هذا الانفصال كان ناتجاً عن أسباب اقتصادية ، وهذا يؤدي إلى أن تنفصم عرى المحبة كما تنفصم العلاقة بين القبائل[٤٤] .

---

(٤٢) فالتر براونه : الوجودية في الجاهلية ، مجلة المعرفة السورية ، العدد الرابع ، السنة الثانية ، ١٩٦٣ ، ص٦٠ .

(٤٣) Gottfried Müller: Ich bin Labid und das ist mein Ziel. Zum Problem der Selbstbehauptung in der altarabischen Qaside. Wiesbaden 1981.P.u

(٤٤) Ibid P.27

يبدو أن هذا التفسير واقعي واجتماعي وتاريخي يحاول أن يعيد النسيب إلى الأسباب التي أفرزته ، لكن مولر لم يكتف بهذا الأمر وإنما راح يفلسف النسيب من خلال القناعات التي قدمها ، وحتى يضع النسيب في اطار فلسفي فقد رأى في لوحة النسيب عدة أمور تسهل عليه الوصول إلى تفسيره الذي ارتآه .

ومن هذه الأمور التي أولاها أهمية كبيرة أن النسيب يكشف عن انعدام الثقة بين الشاعر والمكان ؛ لأن النسيب لا يقدم سوى التهدم والتبعثر ولذلك « تصف لوحة النسيب وضعاً تكون فيه الثقة بالعالم مكاناً يكون فيه الإنسان فاعلاً ثم يختفي هذا العالم فجأة . وعلى هذا الأساس تكون الخبرة التي كوّنها الشاعر مع العالم هشة وتكشف عن تفاهة العلاقات الإنسانية ، إذ إن الإنسان يصبح دون وطن ، ولذلك يصبح كل شيء مغلفاً بالسواد ويظهر العالم للشاعر عبارة عن أكوام من أشياء غير مترابطة وتغيب الحقيقة من الحاضر »[٤٥] .

يبدو أن هذا التفسير هو محاولة لتعزيز الانفصال عن المكان ، والانفصال عن المكان يشكل عالماً غريباً للشاعر تبدو فيه كل الأشياء تافهة ، لذلك يبدو المكان غير موجود فيضطر الشاعر إلى أن ينفصل عنه . ولذلك يصبح الحاضر غير آمن ويتصف بالغدر بعد أن كان الشاعر في الماضي حراً ، مرناً ، وفرحاً وغير مقيد[٤٦] .

وعلى الرغم من جمالية تفسير مولر للنسيب فإنه يعزز قضية انفصال الشاعر عن المكان ، وكأنه من السهولة بمكان أن ينفصل الإنسان عن وطنه ، وقد رأى مولر هذا الرأي لأنه اعتمد على نظرة تيليش الفلسفية

(٤٥) Ibid p.29

(٤٦) Ibid P.28.

الدينية التي ترى أن الإنسان يرتبط بمرحلة الوعي المبكرة بقوى النشوء وهي الأرض والدم والجماعة ، وهذه الأشياء ذات طبيعة أسطورية ، وذلك في الوقت الذي يسيطر فيه المكان على الزمان . والإنسان يظهر هنا مرتبطاً بأصله فهو لا يمتلك مستقبلاً أو هدفاً ، لكن الانفصال عن أسطورة النشوء يعني ابدال الزمان بالمكان وفقد الأمان في الجماعة واستقلالية الذات وحريتها في أعمالها المستقبلية التي تريد أن تعملها »[٤٧] .

لقد استغل مولر هذا الانفكاك عن قوى النشوء الذي يعني الانفصال عن المكان الناتج عن تحول الوعي الإنساني في لحظة من اللحظات ؛ ولذلك يظهر النسيب عند مولر انفصالاً عن الأسطورة ودخولاً في عالم جديد ، « فالنسيب يأخذ بعداً سلبياً على أنه لا شيء ، وعالم غير مشكّل أي مبعثر ، وإن التهدم يصبح قادراً على أن ينال حياة الإنسان إذا ما أصر على البقاء في هذا المكان »[٤٨] .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تفسير سوزان ستيتكيفيتش للنسيب جاء ليؤكد مفهوم الانفصال أو الفراق من خلال اعتمادها على (طقوس العبور) ، ولكن إذا كانت ستيتكيفيتش قد نجحت في اثبات عنصر الانفصال عن المكان في لوحة الطلل فإنها تناقضت تناقضاً مباشراً مع مولر في تفسيرها للرحلة على أنها الطقس الهامشي[٤٩] لأن مولر يرى أن الرحلة

(٤٧) Renate Jacobi: Neue Forschungen Zur altarabischen Qaside Bibliotheca Orientalni.40.1983 P.7.

(٤٨) Gottfried Müller: Ich bin Labid und das ist mein Ziel .P.39,40, 116

(٤٩) سوزان ستيتكيفيتش : القصيدة العربية وطقوس العبور دراسة في البنية النموذجية ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، الجزء الأول ، المجلد (٦٠) ، كانون الثاني ، ١٩٨٥ ، ص٦٢

هي عودة الشاعر إلى ذاته وإلى الواقع ولذلك يظهر فيها الشاعر فاعلاً(٥٠) .

إن الانفصال عن المكان - حسب تفسير مولر - مرتبط بالانفصال عن قوى النشوء التي يشكل المكان أحد عناصرها الرئيسة ، وإن هذا الانفصال يعني تغير الوعي الناتج عن رفض الشاعر البقاء في عالم متناثر ؛ ولذلك يصبح المكان هامشياً وإن الشاعر يعلق آماله على الزمان الذي يعني عودة الشاعر إلى العالم الحقيقي من خلال - الرحلة - التي يظهر فيها قادراً على ممارسة الفعل .

يبرز تفسير مولر للنسيب انفصال الشاعر عن المكان ، ولكن هل يمكن أن يكون هذا الانفصال رغبة من الشاعر في البحث عن عالم جديد ؟ إن الأمر لا يمكن أن يتعلق بمثل هذا الفهم ؛ لأن الشعراء كانوا يقيمون طقوساً من البكاء ويفجعون عندما يصطدمون بالمكان المقفر والمتهدم . ولا شك في أن هذا الرأي لا يمكن قبوله بسهولة ، لأن النسيب لا يعني الانفصال وإنما يعني الحنين إلى وطن مفقود ، لأن باعث النسيب الأول يمكن أن يكون حبيبة راحلة أو وطناً مفقوداً(٥١) .

---

(٥٠) انظر د . موسى ربابعة : اتجاهان من اتجاهات المستشرقين الألمان في ساول الشعر الجاهلي ، بحث مقبول للنشر في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني .

(٥١) د . نوري حمودي القيسي : وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ، مؤسسة دار الكتب ، جامعة الموصل ، ١٩٧٤ ، ص ٩ - ١٠ ود . عبده بدوي : وجهة نظر حول قضيتي الطلل والتشبيب في مقدمة القصيدة ، ص٢٧ . ود . محمد النويهي : الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقديمه ج١/١٥٢ . ود . عبد الرزاق خشروم : الغربة في الشعر الجاهلي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٨٢ ، ص٢٤٤ ود . محمود عبد الله الجادر : شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص٢٥٦ - ٢٥٧ . ود . سعد إسماعيل شلبي : الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، ص١٤١ . ومطاع صفدي وايليا حاوي : موسوعة العشر العربي ، ص٤١ .

وثمة أمر آخر ينبغي الاشارة إليه في كيفية فهم مولر للنسيب إذ إنه ربط الاقفار والخلاء من الديار بمفهوم الاقفار والخلاء في التوراة ، حتى إن هذا الرأي قاد مولر إلى أن يرى الأطلال في معلقة لبيد مجدبة لكنه لم يلتفت إلى الرغبة في الإحياء المتمثلة بقول الشاعر :

رُزِقَتْ مرابيعَ النجومِ وصَـــابَهَـا   وَدْقُ الرَّواعدِ جَوْدُهَـا فَرِهَـامُهـا
من كلِّ سَـــارِيَـةٍ وغـادٍ مُدْجِنٍ   وعشـيَّـــةٍ متجـاوبٍ إرْزَامُهَـا
فَعَـلا فُرُوْعُ الأَيْهُقَـانِ وأطفلـتْ   بـالجلهتـين ظبـاؤها ونَعَـامُهـا
والعِـينُ سـاكنـةٌ على أطلائِهـا   عُوْذاً تـأجَّـلُ بـالفضـاءِ بِهَـامُهـا
وجلا السيولُ عن الطلولِ كأنها   زُبُـرٌ تُجِـدُّ مُتُـونَهـا أقلامُهـا
أو رَجْعُ واشمـةٍ أُسِفَّ نـؤورهـا   كِفَفـاً تَعَرَّضَ فوقهنَّ وِشَـامُها(٥٢)

ولأن مولر محكوم في تفسيره للقصيدة من خلال فلسفة تيليش الدينية فإنه لم ير صورة الإحياء في لوحة النسيب ، فصورة الإحياء هذه لا تعزز الانفصال عن الوطن وإنما تحفز الشاعر إلى الارتباط به . ولم تكن لوحة النسيب في معلقة لبيد هي الشاهد الوحيد الدال على الحياة وإنما هناك شواهد أخرى كثيرة ، فإذا كان الشعراء قد جعلوا المطر سبباً من أسباب الدمار والهلاك للأطلال فإنهم رأوا فيه أيضاً سبباً في خصوبتها واعادة الحياة إليها(٥٣) .

ولذلك فإن تفسير أبي ديب لمشهد الاحياء ألصق بالجو العام لمعلقة لبيد وبالشعر الجاهلي بصورة عامة(٥٤) وعلى هذا الأساس يمكن فهم السبب

---

(٥٢) ديوان لبيد : ص٢٩٨ ـ ٢٩٩ .

(٥٣) د أنور أبو سويلم : المطر في الشعر الجاهلي ، دار عمار ، عمان ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص١٣٣ ـ ١٣٥ .

(٥٤) د . محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، دار =

الذي جعل مولر يغفل عن ذكر عنصر الإحياء بصورة أساسية في تحليله لمعلقة لبيد .

وأخيراً حاول هذا البحث أن يقدم اضاءات عن تفسيرات المستشرقين الألمان للوحة النسيب في مقدمة القصيدة . ومما لا شك فيه أن هذه التفسيرات كشفت عن تطور نظرة هؤلاء المستشرقين للنسيب بوجه خاص وللقصيدة الجاهلية بوجه عام ، فمن سطحية النظرة والقاء التفسيرات دون الاستناد على براهين وحجج إلى تفسيرات تعتمد على النظرة الكلية للنص ، والإفادة من المذاهب الفلسفية ، ووضع القصيدة في إطارها الاجتماعي والتاريخي .

= النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص١٤٣ و د . كمال أبو ديب : الرؤى المقنعة . نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص٥٩ ـ ٦٠ و د . سامي سويدان : في النص الشعري العربي مقاربات منهجية . دار الآداب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٩ ص٢٢٠ .

المصادر والمراجع

أ ــ العربية :

١ ــ أبو ديب ، كمال : الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ، ١٩٨٦ .

٢ ــ أبو سويلم ، أنور : المطر في الشعر الجاهلي ، دار عمار ، عمان ، دار الجيل بيروت ، ١٩٨٦ .

٣ ــ الأصمعي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب : الأصمعيات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، بيروت ، ط٥ ،د ت .

٤ ــ بكار ، يوسف : بناء القصيدة العربية ، دار الأندلس ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٣ .

٥ ــ الجادر ، محمود عبد الله : شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٩ .

٦ ــ حسن ، حسين الحاج : أدب العرب في عصر الجاهلية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٤ .

٧ ــ خشروم ، عبد الرزاق : الغربة في الشعر الجاهلي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٨٢ .

٨ ــ خليف ، يوسف : دراسات في الشعر الجاهلي ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٨١ .

٩ ــ سعيد ، ادوارد : الاستشراق ، ترجمة كمال أبو ديب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٤ .

١٠ ــ سلوم ، داود : النقد العربي القديم بين الاستقراء والتأليف ، مكتبة الأندلس ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٧٠ .

١١ ــ سويدان ، سامي : في النص الشعري العربي ، مقاربات منهجية ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٩ .

١٢ ــ شلبي ، سعد إسماعيل : الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، مكتبة غريب ، القاهرة ،١٩٧٧ .

١٣ ـ صفدي ، مطاع وايليا حاوي : موسوعة الشعر العربي ، شركة خياط للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٤ .

١٤ ـ الضبي ، المفضل بن محمد بن يعلى : المفضليات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، بيروت ، ط٦ . دت .

١٥ ـ عبد الله ، محمد حسن : مقدمة في النقد الأدبي ، دار البحوث العلمية ، الكويت ط١ ، ١٩٧٥ .

١٦ ـ العشماوي ، محمد زكي : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث . دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤ .

١٧ ـ عطوان ، حسين : مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي . دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

١٨ ـ القيسي ، نوري حمودي : وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ، مؤسسة دار الكتب ، الموصل ، ١٩٧٤ .

١٩ ـ لبيد بن ربيعة : ديوان لبيد بن ربيعة ، تحقيق د . إحسان عباس ، ١٩٦٢ .

٢٠ ـ لقيط بن يعمر الإيادي : ديوان لقيط بن يعمر الإيادي ، تحقيق وتعليق وتقديم خليل إبراهيم العطية ، وزارة الاعلام ، بغداد ، ١٩٧٠ .

٢١ ـ مندور ، محمد : النقد المنهجي عند العرب ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

٢٢ ـ النابغة الذبياني : ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

٢٣ ـ النويهي ، محمد : الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، دت .

٢٤ ـ اليوسف ، يوسف : مقالات في الشعر الجاهلي ، دار الحقائق ، بيروت ، دت .

ب ـ الألمانية :

1 – Bantel, Otto: Grundbegriffe der literatur. Hirschgraben Verlag. Frankfurt. 1962

2 – Heinrichs, Wolfhart: Arabische Dichtung und griechische poetik. Beirut. 1969

3– Jacob, Georg: Altarabisches Beduienenleben. Hildesheim, 1967

4– Jacobi, Renate: Studien Zur poetik der altarabischen Qaside. Wiesbaden. 1971.

5– Müller, Gottfried: Ich bin Labid und das ist mein Ziel. Zum problem der selbstbehauptung in der Altarabischen Qaside. Wiesbaden, 1981.

6– Nöldeke, Theodor: Beiträge zur Kenntnis der poesie der altenaraber. Hannover. 1864.

7– Wagner Ewald: Grundzüge der Klassischen arabischen Dichtung Band I. Die altarabische Dichtung. Wissenschaftliche Buchgesllschaft. Darmstadt. 1987.

٢ – المقالات :

أ – بالعربية :

١ – إسماعيل ، عز الدين : النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية في ضوء التفسير النفسي ، مجلة الشعر العدد الثاني ، السنة الأولى ، فبراير ١٩٦٤ .

٢ – بدوي ، عبده : وجهة نظر حول قضيتي الطلل والتشبيب في مقدمة القصيدة . مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الثاني ، ١٩٨٤ .

٣ – براونه ، فالتر : الوجودية في الجاهلية ، مجلة المعرفة السورية ، العدد الرابع ، السنة الثانية ، ١٩٦٣ .

٤ – البياتي ، عادل جاسم : رمز المرأة في أدب أيام العرب ، مجلة آفاق عربية ، العدد ، ١٢آب ، ١٩٧٧ .

٥ – ربابعة ، موسى : اتجاهان من اتجاهات المستشرقين الألمان في تناول الشعر الجاهلي ، بحث مقبول للنشر في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني .

٦ – ستتكيفيتش ، سوزان : القصيدة العربية وطقوس العبور دراسة في البنية النموذجية ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، الجزء الأول ، المجلد ٦٠ ، كانون الثاني ١٩٨٥ .

٧ – ستتكيفيتش ، ياروسلاف : ابن قتيبة وما بعده : القصيدة العربية الكلاسيكية والأوجه البلاغية للرسالة ، ترجمة مصطفى رياض ، مجلة فصول ، المجلد (٦) العدد (٢) ، ١٩٨٦ .

ب ـ بالألمانية :

1 – Bloch, Alfred: Qaside. Asiatische studien.2.1948.

2 – Heinrichs, Wolfhart: Die altarabische Qaside als dichtkunst. Der Islam. Band.51.1974.

3 – Jacobi, Renate: neue forschungen zur altarabischen Qaside. Bibliotheca Orientalni.40. 1983.

4 – Lichtenstädter, Ilse: Das Nasib der altarabischen Qaside. Islamica.5.1932.

5 – Richter, Gustav: Zur Entstehungsgeschichte der altarabischen Qaside. Zeitschrift der deutschen morgenländischen Gesellschaft. 92.1938.

الطبيب الرائد يحي بن ماسويه

حياته وآثاره

الدكتور سامي خلف حمارنة

إن جذور الطب العربي ومصـــادره التاريخية متعددة ، منها : أولاً حصيلة المعارف الفنية والتقنية لدى أهل البلاد من العرب ، ومن الوافدين إليهـا ؛ وأسـاليب معيشتهم ، وتطور حِرَفهم فنياً ، ونموّ خبراتهم المهنية ، والتحيل في ممارستهم هذه المهن ، سواء أكانت موروثة أم مكتسبة . وثانياً الاقتبـاس من الحضـــارات المعاصرة أو السـابقة في الشرق الأقصى والهند وفارس والسريان في بلاد الهلال الخصيب والأقباط في مصر ، والنقل عن هذه الحضارات والتفاعل معها . على أن المنبع الرئيس المستمر والمتجدد ، والمصـدر الأهم الأعظـم أثراً بالتـأكيد ، هو حضـارة اليونان والرومان ، وما تمخضت عنه ، منذ القرن الخامس ق.م ، من عطاء ظل باقياً أكثر من ألفي عام ، تجلت قيمتها في المصطلحات الطبية ، والاشتقاقات اللغوية ، وما استنبطوا من نظريات معروفة ، دامت حتى عصرنا الحاضر .

ومن الرواد الذين أسهموا في وضع أسس الطب العربي بأقســامه وفروعـه العـديدة ، الطبيب النطــاســي أبو زكريا يحيى (أو يوحَنّـا) بن ماسويه ، العارف بأسرار العلاج فيه ، والمتبحر فيها ، والسبّاق إلى تطويرها ، الذي ذاع صيته بين الأطباء العرب والمسلمين ، فوردت أخباره في الكثير من تآليفهم . ثم طار ذكره العطر إلى أوروبا ، بعد أن تُرجِمَت بعض كتبه

من العربية إلى اللاتينية وإلى لغات أخرى ، منذ القرن الثاني عشر ، وبذلك صار يعد من أوائل الذين ظلت الأوساط الطبية في الغرب تعرف فضله ، وتلهج بذكره قروناً عديدة[١] .

أسرة ابن ماسويه :

لا نعرف شيئاً عن هذه الأسرة سوى أن أباه كان يدعى ماسويه ، (أبا يحيى أو يوحَنّا) ، وأنه كان مسيحياً نسطوري المذهب ، وأنه كان ذا نسب متواضع ، لم يختلف إلى مدرسة معروفة ، ولم ينل حظاً من العلم . لكنه عمل ، في مقتبل يفاعته ، أجيراً في دكان للصيدلة تابع لبيمارستان مدينة جنديسابور ، وكليتها الطبية ، التي كانت فريدة في نوعها في تلك المنطقة آنذاك . وكان موقع المدينة بالقرب من الأهواز في ولاية خوزستان في الجنوب الغربي من بلاد فارس ، وقد أسسها الملك الساساني شاهبور[٢] . كان ماسويه يعمل في دقّ الأدوية من غير تعلّم سابق ، بيد أنه تمرّس بالمران والدربة ، فخبر سبب الأمراض وتفشيها وحسن معالجتها ، فاكتسب دراية في انتقاء الصالح من الأدوية ، وطرح الرديء منها ونبذه[٣] .

---

(١) بيير كيك Pierre Guigues ، « الكلمات العربية في كتاب سرابيون » ، **المجلة الآسيوية** ، باريس ، ١٩٠٥ ، المقدمة بالفرنسية ، ولويس شيخو ، **علماء النصرانيّة في الإسلام** ، تحقيق كميل حشيمة ، جونية ، لبنان ، ١٩٨٣ ، ص١٢ ، **ودائرة المعارف الإسلامية** ، طبعة ثانية ، ليدن ج٣ : ٨٩٦ .

(٢) أحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي ، **تاريخ** ، ج١ ، بيروت ، دار صادر ، ١٥٩ ، وموفق الدين أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة ، **عيون الأنباء** ، ج١ ، طبعة بولاق ، ١٢٩٩هـ ، ص١٠٩ ، ١٧١ ــ ٧٥ .

(٣) ابن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ١ : ١٧١ ــ ٥ ، وجمال الدين علي بن يوسف القفطي ، **تاريخ الحكماء** ، طبعة مكتبة المثنّى عن طبعة ليبزج ، ١٩٠٣ ، ص٣٢٨ ــ ٩ .

وكانت لماسويه علاقة حميمة بآل بختيشوع الذائعي الصيت ، الذين كانوا يتمتعون بمكانة رفيعة ، فهم أصحاب البيمارستان والكلية الطبيةالآنفي الذكر ، وهم الذين كانوا يتولون إدارتهما . كما كانت لماسويه ، على ما يبدو ، صلات ودية ببيت الطبيب سرابيون ، الذي أنجب ولدين اثنين ، هما داود ويوحنا ، وكانا طبيبين أيضاً . وفي ظل رعاية هؤلاء جميعاً ، وبفضل ما كان لهم من مكانة عالية في صناعة الطب ، وإدارة البيمارستان ، وفق إلى الزواج من امرأة هناك ، أنجبت له ولدين ، هما يحيى (يوحنا) وميخائيل ، اللذان اشتهرا فيما بعد بالصناعة الطبية ، كما سنرى[٤] .

بقي ماسويه الأب يخدم في صيدلية البيمارستان مدةً تربو على ثلاثين عاماً ، أتقن في أثنائها صناعة الأدوية وتركيب العقاقير المتنوعة ، وتحضير الوصفات الطبية لمرضى البيمارستان وزائريه في العيادة الخارجية . كما تعلم طرق المعالجات المألوفة والنافعة بذكائه وفطنته واجتهاده ، وبات قادراً على التمييز بين النافع والضار من الأعشاب ، التي كان العطارون والعشابون يجلبونها إلى دكان الصيدلة ، فلا يصف إلا النافع منها لزبائن البيمارستان .

زد على ذلك أن ماسويه أتقن صناعة الكحالة (طب العيون)

---

(٤) سرابيون أو سرافيون الطبيب من أهل باجرمي (أو باجَرْمق إقليم يقع شرقي نهر دجلة بين جبال حَمْرين بالعراق ونهر الزاب الصغير أو الأسفل من روافد دجلة وكانت كَرْكوك (كَرْخاديث سلوخ) المدينة الرئيسة وكان بين سكانها طائفة كبيرة من النساطرة (أتباع نِسْطور Nestorius بطريرك القسطنطينية عام ٤٢٨ — ٤٣١ الذي خُلع من منصبه في مجمع أفَسُس المسكوني لخلافات تتصل بالعقيدة) . واشتهر وَلَدَا سَرافيون طبيبين فاضلين في العاصمة العباسية وجميع ما ألّفه يحي بن سرافيون كان بالسريانية .

انظر أبو الفرج محمد بن إسحق بن النديم ، **الفهرست** ، بيروت ، طبعة دار المعرفة ، ١٩٧٨ ، ص٤١١ — ٢ ، والقفطي ، **تاريخ** ، ٣٨٠ ، ٤٣١ ، وابن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ١ : ١٧١ — ٤ .

بالممارسة والخبرة ، ودقة الملاحظة ، وخبر أساليب معالجة أمراض العيون ومفردات أدويتها الناجعة ، فكان لهذا أثر عظيم في تقدمه العملي ، ونجاحه المهني[٥] .

كان عميد آل بختيشوع ، ورئيس البيمارستان في جنديسابور ، والمشرف على كليّتها هو جرجيس بن بختيشوع ، الذي قدم في آخر أيامه إلى بغداد ، بدعوة من الخليفة أبي جعفر المنصور ، فصار طبيب الخليفة بعد أن نال الشفاء على يديه ، وبقي في هذا المنصب حوالي أربعة أعوام ، رجع بعدها ، لكبر سنّه ، إلى جنديسابور ، مسقط رأسه ، حيث توفي سنة ١٥٢هـ/٧٦٩م[٦] .

---

(٥) أصيبعة ، **عيون** ، المرجع أعلاه ، والقفطي ، **تاريخ** ، ٣٢٨ – ٩ .

(٦) جيورجيس (أو جورجيس أو جرجس) الطبيب الأول المعروف من هذه العائلة يعرف بالجنديسابوري ، والمدينة نفسها كانت معسكراً كحصْن أسسها شابور الأول مؤسس دولة الساسانيين بعدما هاجم انطاكية بسورية ودَحَر الجيش الروماني وأسر الأمبراطور فاليريان (مَلَكَ ٢٥٣ – ٢٦٠م وحمله إلى فارس وسامه سوء العذاب حتى الموت تَشَفّيا ، وكان هذا إيذاناً بسقوط الأمبراطورية الرومانية الغربية . وقد اعتبرت جندي سابور أعظم وأفضل من أنطاكية . انظر ادوردجيبون (Edward Gibbon 1737 – 94) ، **تداعي الأمبراطورية الرومانية وسقوطها** ، ج١ ، طبعة ثانية ، شيكاغو ، ١٩٩٠ ، ص١٠٢ – ١٠ ، وأيضا ويل دورانت ، **حقبة الإيمان** ، نيويورك ، ١٩٥٠ ، ص١٤٣ (بالانكليزية) .

أما حفيده فهو شابور الثاني (٣٠٩ – ٧٩) الذي عمّر طويلا واستتب له الملك . أما الأعظم شهرة عند العرب فهو كسرى أنوشروان (٥٣١ – ٧٩م) ، الذي نَاصَر العلوم وشجع الكلية الطبية والبيمارستان في جندي سابور ، فازدهرت هاتان المؤسستان ، وكانت لغة العلم فيهما بالسريانية ، ولكن اليونانية كانت معروفة . انظر أيضاً القفطي ، **تاريخ** ، ١٥٨ – ٦٠ ، واصيبعة ، **عيون** ، ١ : ١٢٣ – ٣٤ ، وباومستراك **A.Baumstrak** ، **تاريخ الأدب السرياني** ، بون ، المانيا ، ١٩٢٢ ، ص٢٣١ .

ثم حلّ محلّه ابنه بختيشوع ، الذي قدم أيضاً إلى مدينة السلام ، بدعوة من الخليفة المهدي لمعالجة ولده الهادي ، فنال على يده الشفاء ، وبعد ذلك قفل راجعاً إلى مدينته ، حيث كان يعمل رئيساً للبيمارستان بعد أبيه[٧] .

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد قدم إلى بغداد مرة أخرى بدعوة من الوزير القدير الواسع النفوذ جعفر بن يحيى البرمكي ، وحالفه التوفيق في المهمة التي أوكلت إليه ، فولاه الخليفة رئاسة أطباء قصره ، وظل يتولى هذه الرئاسة حتى وفاته سنة ١٨٥هـ/٨٠١م[٨] .

بعد ذلك تسلّم الحفيد جبريل (أو جبرائيل) رئاسة البيمارستان ، حتى استدعاه الخليفة الرشيد ، وولاه رئاسة أطباء قصره بعد أبيه ، كما ولاه إدارة شؤون البيمارستان الأول من نوعه في التاريخ العربي الإسلامي . كذلك عمل جبريل في خدمة الخليفة الأمين ثم في خدمة الخليفة المأمون حتى وفاته سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م[٩] .

أما ماسويه فقد وقع في هذه الأثناء سوء تفاهم بينه وبين الطبيب جبريل ، فطلب إعفاءه من العمل . ثم رحل هو وزوجته وولداه إلى بغداد ، مدينة السلام ، حيث كان جبريل قد ارتحل إليها من قبل . وقد جرت

---

(٧) شيخو ، **مجلة المشرق** ، ج٨ (١٩٠٥) ، ص١١٠٠ – ٢ ، **وعلماء النصرانية** ، ١٩٨٣ ، ص١١١ – ٢١ ، وابن النديم ، **الفهرست** ، ص٤١٣ .

(٨) أبو الفرج غريغوريوس الملطي ابن العبري ، **تاريخ مختصر الدول** ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٨ ، ص١٢٤ ، ١٣٠ – ٦ ، والقفطي ، **تاريخ** ، ص ١٠٠ – ١٠٣ ، وأيضاً أبو العبّاس أحمد بن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، تحقيق إحسان عبّاس ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٢ ، ج١ : ٣٢٨ – ٤٦ .

(٩) ابن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ١ : ١٢٧ – ١٣٨ ، وماري بن سليمان ، **أخبار بطاركة كرسي المشرق** ، تحقيق H. Gismondi ، روما ، ١٨٩٩ ، ص٧٤ – ٨٠ .

محاولات لإصلاح ذات البين بينهما على غير طائل . ثم سعى إلى التقرب من الوزير الفضل بن الربيع ، ليتولى العمل في قصره . وكان من حسن طالعه أن خادماً للوزير كان مصاباً بعلة في عينيه ، فعالجه ماسويه بمهارة وحذق ، حتى شفي على يديه . وتناهى خبر ذلك إلى سمع الوزير ، فعينه كحالاً في قصره . وبعد وفاة الخليفة الرشيد سنة ٨٠٩م ظل ابن الربيع وزيراً واسع النفوذ في عهد الخليفة الأمين .

أما في عهد الخليفة المأمون ، فقد استعفى ابن الربيع من خدمة الخليفة ، وتوفي بعد ذلك سنة ٢٠٨هـ/٨٢٤م ، وتوفي ماسويه بعده بقليل[١٠] .

أما ميخائيل، وهو ابن ماسويه الأصغر، فقد درس صناعة الطب وتمرس فيها بالدربة والمران ، ثم التحق بخدمة الخليفة المأمون (٨١٣– ٨٣٣م) . وكان لا يستعمل الورد المربّى ومركب السكنجبين (مركب صيدلاني هاضم ، يُعمَل من مقدارين من العسل ، ومقدار من الخلّ ، وأربعة مقادير من الماء النقي) في المعالجة إلا ممزوجاً بالعسل ، وليس بالسكّر . وكان يسير في معالجاته كلها على نهج الاغريق القدماء ، ويسلك السبل المعروفة في كتبهم اليونانية ، أو المترجمة من اليونانية إلى السريانية في ما يتصل بالغذاء أو الدواء ، سواء أكان الدواء بسيطاً أم مركباً . وقد أغدق عليه الخليفة المأمون من أعطياته ، وجعله موضع ثقته ، فكان لا يشرب دواء ولا يتناول علاجاً إلا إذا كان من تركيبه . وقد جرى سائر الناس في مدينة السلام على منوال الخليفة المأمون ، فكان ابن ماسويه موضع تبجيلهم واحترامهم وإطرائهم ،

(١٠) فؤاد سزكين ، **تاريخ التراث العربي** (بالالمانية) ، ج٣ ، ليدن ، ١٩٧٠ ، ص٢٢٨ – ٩ ، وكمال السامرائي ، **مختصر تاريخ الطب العربي** ، ج١ ، بغداد ، ١٩٨٤ ص٣٨٣ – ٩٠ ، ٤١٤ – ٦ ، وبابو إسحق ، نصارى بغداد ، ص١٧٥ – ٧٩ .

ولكنه لم يترك بعده أثراً مخطوطاً ، على ما نعلم[١١] .

حياة يحيى بن ماسويه وفضله :

أما أبو زكريا يحيى (أو يوحَنّا) بن ماسويه ، فهو أعظم أفراد أسرة ماسويه وأكثرهم ابداعاً وأوسعهم شهرة ، كما أسلفنا . وقد ولد في جنديسابور حوالي سنة ١٦٢هـ/٧٧٨م ، ونشأ فيها وترعرع ، ثم عكف على دراسة مهنة الطب في كليتها الأكثر عراقة في ذلك الزمان ، الواقعة بجوار البيمارستان الآنف ذكره . وحين رحل أبواه إلى بغداد رحل معهما هو وأخوه الأصغر ميخائيل ، لمتابعة دراسة صناعة الطب والمران فيها ومطالعة المفيد من كتبها . وقد قام ميخائيل على خدمة الخليفة المأمون باخلاص وتفوق ، كما أسلفنا[١٢] .

أما يحيى بن ماسويه فقد تميز باجتهاده وذكائه الوقاد ، وفاق أترابه علماً ومهارة في عهد الخليفة الرشيد والخليفة الأمين . ثم طار صيته ولمع نجمه في أواخر عهد الخليفة المأمون . وكان ابن ماسويه يلمّ بطرف من اليونانية والفارسية ، وكان يجيد السريانية لغة أمه ، كما كان معروفاً بإتقانه العربية ، فكانت تآليفه كلها بلغة الضاد . ولتضلعه من هذه اللغة فقد أجاد في شرح بعض مشتقاتها الطبية ، ومصطلحاتها في الأمراض والأدوية والأغذية . ولذلك عيّنه المأمون في إدارة مؤسسة بيت الحكمة للاستفادة

---

(١١) القفطي ، **تاريخ** ، ص٣٢٨ ، وأصيبعة ، **عيون** ، ج١ : ١٨٣ – ٤ ، وشيخو ، **علماء** ، ص٢١٠ – ٣ ، وابن خلكان ، **وفيات** ، ٢ : ٢٩٤ – ٩ ، ٤ : ٣٧ – ٤٠ .

(١٢) فؤاد إفرام البُسْتَاني ، **دائرة المعارف** ، بيروت ، ١٩٥٦ ، ٤ : ١٣ ، وكارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ليدن ، بريل ، ١٩٣٧ ، ١٩٤٣ ، ج١ : ٢٦٦ ، وملحق ١ : ٤١٦ – ٧ .

من علمه ، ولا سيما في مجال المهن الصحية وفي النقل والترجمة والبحوث النافعة[١٣] .

ومن المعروف أنه كانت تنعقد بانتظام مجالس في قصر الخليفة ، وكذلك في قصور ذوي الشأن في الدولة ، يلتقي فيها العلماء والأطباء والفقهاء ، يدور الحديث والحوار فيها حول موضوعات متنوعة من البحوث ، وتنعقد فيها مناظرات رفيعة المستوى بحضور الخليفة وإشرافه ، بل ومشاركته ، في جو ودي مفتوح ، يتعاونون فيه جميعاً على معرفة الحقائق العلمية والأدبية، ويهدفون فيه إلى التعلم أو الإرشاد وكثيراً ما دارت في هذه المجالس مناقشات حول عدد من المسائل ، وكانت هذه المناقشات سبباً في ظهور تآليف عديدة ، أو حافزاً لكتابة مقالات قيمة ، تقدم أجوبة تنير البصر والبصائر حول الكثير من هذه المسائل . وغاية ذلك كله النفع العميم ، وتنمية المعرفة ونشرها في الأوساط العلمية . وبذلك ارتفعت منارات العلم ، وعلا شأن العلماء ، واتسع نطاق الإبداع الفكري وسما ، في مجتمع متقدم علمياً وتقنياً وفنيّاً واقتصادياً وعمرانياً ، إلى أرقى مستوى[١٤] .

في ظل هذا الازدهار والتقدم العلمي ، ولا سيا في مجال العلوم

(١٣) أبو داود سليمان بن حسّان بن جلجل ، **طبقات الأطباء والحكماء** ، تحقيق فؤاد سيّد ، القاهرة ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، ١٩٥٥ ، ٦٤ – ٦٦ ، وعمر رضا كحّاله ، **معجم المؤلفين** ، ج١٣ ، دمشق ، ١٩٦٠ ص٢٦٣ – ٤ ، وخير الدين الزركلي ، **الأعلام** ، ج٩ ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ، ٢٧٩ ، وسعيد الديوهجي ، **بيت الحكمة** ، الموصل ، دار الكتب ، ١٩٧٢ ص٣١ – ٩ ، and M.G.Balty – guesdon, «Le Bayt al – Hikma de Baghdad» Arabica , 39 (1992) 50 – 131

(١٤) الملطي ، **تاريخ** ، ص١٢٨ – ٦٢ ، وفيليب حتي ، **تاريخ العرب** ، لندن ، مكملان ، ١٩٦١ ص٣٠٢ – ١١ (بالانكليزية) ، واليعقوبي **تاريخ** ، ج٢ : ٤٠٧ – ٩٢ .

الطبيـة ، كان لا بد من تطور مماثل في أسـاليب التعليم المهني والتدريس التخصصي في هذه العلوم . إننا نعلم من وثائق معاصرة أن الطبيب الحكم الدمشقي (المتوفى حوالي سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م) كان له تلاميذ وأتباع ، يتمرنون ويتدربون على يديه ، ويمارسون المعالجات الطبية اليدوية من فصدٍ ، وحجامة ، وجبر للعظام وغير ذلك من الاحتيالات الجراحية . غير أن هذه الاحتيـالات وتلك المعـالجات كلهـا كانت ، على ما يبدو ، مفتقرة إلى الدراسات الأكاديمية المنتظمة ، وخالية من التركيز على التعليم المنهجي[١٥] .

في هذه الأثناء قام ابن ماسويه بتأسيس كلية طبية خاصة ، كانت الأولى من نوعها في التاريخ العربي الإسلامي ، تولى التدريس فيها لعدد كبير من الطلبـة ، والإشراف على تقدمهم العلمي والأكاديمي . وبذلك مهّد السبيل لنشوء كليات أخرى مماثلة بعدها ، في مراكز ومدن عربية وإسلامية عريقة ، من دمشق والقاهرة وقرطبة ، إلى الري وبخارى وسمرقند . ونذكر من الطـلبـة ، الذين أخذوا وتتـلمذوا على ابن ماسـويه ، طالبـين اثنـين ، لمع نجمهمـا ، وعلا شـأنهما بعد ذلك[١٦] ، **أولهما** الطبيب الترجمان أبو زيد

---

(١٥) غورلت Ernst I. Gurlt ، **تاريخ الجراحة** ، ج١ ، برلين ، ١٨٩٨ ، ص٦١٨ – ٦٢٤ ، وسـامي خلف حمارنة ، **تاريخ تراث العلوم الطبيـة عند العرب والمسـلمـين** ، عمـان اربد ، جامعـة اليرموك ، ١٩٨٦ ، ص١٢١ – ٢ ، و« الطبيب عيسى بن الحكم الدمشقي ورسـالته الهارونية » **بلاد الشـام في العصر العباسي** ، المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام ، تحرير محمد عدنان البخيت ، عمان ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٢ ، ج١ : ٥٤٠ – ٥٥٥ .

(١٦) « التثقيف الطبي في العصر الذهبي » ، الموسم الثقافي لعام ١٩٨٥/٦ ، تحرير ع . عطيات ، جامعة اليرموك ، أربد ، ١٩٨٨ ص٦٥ – ٧٨ ، وسامي حمارنة ، « مناهج العـلوم الطبيـة » **القدس الشريف** ، العدد الستون ، ١٩٩٠ ، ص٦١ – ٧٤ . **وتاريخ تراث** ، جامعة اليرموك ، ١٩٨٦ ، ص١٣٦ .

حنين بن إسحق العِبادي (المتوفى في بغداد سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م) ، الذي بدأ دراسة الطب على يد ابن ماسويه ، ولكنه استخف به في أول الأمر ، ونبذه من مجلسه في الكلية لالتباس في الفهم وقع بينهما . وعلى الأثر رحل ابن اسحق ، وتغرب في بلدان كثيرة ، سعياً إلى المزيد من العلم والخبرة ، وإلى إتقان لغة الإغريق ، واجتهد في ذلك حتى أجادها إجادة تامة . وفي أثناء رحلته زار المكتبات ، وقرأ المخطوطات الطبية بإمعان ، وجمع منها الكثير وأفاد ، حتى فاق طائفة المترجمين من أترابه مقدرة ومهارة ، فانتدبه الخلفاء لترجمتها ، والإشراف على نشرها ، فنقلها في أحسن أسلوب وأدق تعبير ، حتى صار يعدّ من أول واضعي المصطلحات الطبية العربية ، « وما زال أمره يقوى ، وعلمُه يتزايد ، وعجائبه في النقل والترجمة والتفاسير والتآليف تظهر ، حتى صار ينبوعاً للمعرفة ومعدناً للفضائل » ، متمسكاً بآداب المهنة ، رافعاً من شأنها . فهرع الأطباء وطلبة العلم يقبسون من ترجماته ، ويتلقفون تآليفه وعلومها ، حتى إن معلمه ابن ماسويه سارع إلى الاستفادة من حكمته ، واعتذر له عما بدا منه ، ودعاه بالابن الرشيد ، وسعى إلى الارتباط به برباط وثيق من المحبة الصادقة والنوايا الصافية[١٧] .

أما الطالب الثاني فكان إبراهيم بن عيسى (المتوفى في فسطاط مصر سنة ٢٦٠هـ/٨٧٢م) ، الذي غدا الطبيب الخاص للأمير أحمد بن طولون ، عندما كان قائداً للجيش في بلاد الشام ، وكذلك بعد تأسيس الدولة الطولونية ، التي كانت تضم قسماً كبيراً من بلاد الشام إلى جانب

---

(١٧) حمارنة ، **تاريخ تراث** ، المرجع أعلاه ، ١٩٨٦ ، ص١٦١ – ٥ ، **وفهرس المخطوطات** في المكتبة البريطانية ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص٣٥ – ٤٠ ، ولوسيان لوكلير L.Leclerc ، **تاريخ الطب العربي** ، ج١ (طبعة الرباط ، ١٩٨٠) ، ص١٣٩ – ٥١ ، والقفطي ، **تاريخ** ، ص١٧١ – ٤ .

مصر أيضاً[١٨] .

لقد اجتمعت لدى يحي بن ماسويه ، عبر دراساته الواسعة ، وخبرته العملية والموضوعية ، مهارة في العمل ، وفصاحة في البيان ، وحسن في المحاضرة ، وبلغ في ذلك كله شأواً بعيداً لم يبلغه أحد من معاصريه ، ولا سيا في مضمار نقل تراث الإغريق القدماء . لذلك كَثُر حساده ، وكَثُرت حملاتهم على آرائه وتعليمه . فانبرى الأطباء اللامعون من آل بختيشوع للدفاع عنه ، فأبرزوا إنجازاته المشرّفة ، وأقروا بافحامه خصومه بطلاوة حديثه ، وحسن معشره ، وحجته المقنعة في شؤون الطب والمنهج والأصول الصحية الناجعة[١٩] .

لقد نجح ابن ماسويه في ممارسة الطب ، فسلّمه الخليفة المأمون إدارة بيمارستان بغداد مدة من الزمن . لقد كان بيمارستان بغداد شيئاً عظيماً بالقياس إلى بيمارستان جنديسابور ، الذي لم يكن إلا نموذجاً غير متكامل ، والذي اقتصر في إدارته وعوّاده على فئة من المشرفين عليه والآوين إليه . أما بيمارستان مدينة السلام ، الذي تأسس في مطلع القرن التاسع الميلادي ، والذي قام بتنفيذ عربي ، وتخطيط إغريقي – سرياني ، وترويج فارسي – هندي[٢٠] ، فهو يعدّ بحق أول مصحّ من نوعه يماثل المشافي ودور الشفاء

(١٨) إبن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ج٢ : ٨٣ ، وشيخو ، **علماء** ، ١٩٨٣ ، ص٣٩ ، ولوكلير ، **تاريخ** ، ١ : ١٨٢ ، وابن خلكان ، **وفيات** ، ج١ : ١٧٣ – ٤ .

(١٩) القفطي ، **تاريخ** ، ص٣٨٠ – ٨ ، وابن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ج١ : ١٧٥ – ٨٣ ، وابن صاعد الأندلسي الطليطلي ، **طبقات الأمم** ، ص٣٦ ، وجورج غراف G.Graf ، **تاريخ** ، ج٢ (الفاتيكان – روما ، ١٩٤٦) ، ١١٣ – ٤ ، ودائرة المعارف الإسلامية ، ليدن ، الطبعة الثانية ، ج٣ : ٨٩٦ – ٧ .

(٢٠) حمارنة ، « البيمارستانات ، وأصول التعليم الطبي فيها » ، **الفكر العربي** ، السنة الثامنة ، العدد ٤٩ ، كانون الأول (ديسمبر ، ١٩٨٧) ، ١٢١ – ٣٤ ، and «Vistas» Hamdard Medicus, Vol.32, n03, p.12 – 15.

العصرية ، لاتصافه بالصفات الأساسية الثلاث ، التي تتصف بها المشافي الحديثة ، وهي :

أولاً : كونه مركز دار شفاء ، يعنى بالمرضى جسمانياً ونفسانياً ، وهدفه الأساسي إعادة المريض إلى صحته وعافيته ، بالوسائل العلمية والمهنية من عناية طبية ومعالجات ورعاية ناجحة .

ثانياً : كونه مركزاً يرحب بزواره من مختلف الفئات الاجتماعية ، بغض النظر عن الجنس أو المذهب أو الطبقة أو العنصر ، ويعاملهم جميعاً معاملة حسنة وعلى قدم المساواة ، فيكلؤهم بالرعاية الطبية الصحيحة دون تمييز ولا إجحاف .

ثالثاً : كونه مركزاً صحياً للتمرين الطبي والتعليم والتعلم ، تتوافر فيه وسائل نشر البحوث الطبية وتشجيعها ، ويقدم العون والرعاية المهنيه للباحثين ، وتعقد فيه المحاضرات والندوات والمناقشات حول تطوير العلوم الطبية وتنشيطها ورفع مستواها ، ودفع الخدمات الصحية قدماً إلى الأمام ، علمياً وأخلاقياً وتقنياً وإدارياً ، وفي مختلف الحقول[٢١] .

وقد أفاد الطبيب والمحدّث أبو الحسن يوسف بن إبراهيم بن الداية عام ٢١٥هـ/٨٣٠م، أن هارون الرشيد (تولى الخلافة من ٧٨٦ – ٨٠٩) هو الذي أمر بإنشاء هذا البيمارستان . قال ابن الداية : « أمرني الرشيد باتخاذ بيمارستان ، فأحضرت دَهَشْتَكَ من بيمارستان جنديسابور لتقليده زمامه ، فامتنع عن ذلك » . فاستلمه آخرون . ثم إن ابن ماسويه ولي هذا البيمارستان أيضاً في عهد المأمون ، كما أسلفنا ، وبتشجيع من جبريل بن

(٢١) القفطي ، تاريخ ، ص٣٨٣ – ٤ ، وأصيبعة ، عيون ، ١ : ١٧١ – ٢ ، وحمارنة ، « تاريخ مهنة التمريض » ، العدد ٥٥ ، السنة الرابعة ، ١٩٨٩ ، ص٦٣ – ٩ .

بختيشوع ، وربما كان لماسويه الأب ضلع في هذا الأمر ، مع أنه فضل ، على ما يبدو ، البقاء في خدمة الوزير ابن الربيع[٢٢] .

ومن الأطباء الذين ناصروا ابن ماسويه سلمويه بن بنان (المتوفى سنة ٨٤٠م) ، الذي عمل طبيباً للمأمون ثم للمعتصم ، الذي كان الأكثر رعاية له . وكان سلمويه والعبادي يقدران كلاهما علم ابن ماسويه الغزير وخبرته واطلاعه الواسع على مآثر قدماء الإغريق وتزوده من مهاراتهم ومعارفهم وأساليب معالجاتهم . فقد أفاد منهم ، على سبيل المثال ، أن المريض المصاب بحمى وارتفاع في الحرارة الغريزية تجب معالجته بالأدوية والأغذية الباردة ، وبالعكس يعالج برود أطراف المريض بالمعالجات الحارة[٢٣] .

وفي العام ٢٢٣هـ/٨٣٨م أحرز جيش المعتصم انتصاراً حاسماً على جيوش البيزنطيين في بلاد الأناضول في آسيا الصغرى ، واحتل عمورية وأنقرة والمدن المجاورة . وقد نقل معظم المخطوطات اليونانية الموجودة في مكتباتها إلى العاصمة العباسية بغداد ، وأودعت في بيت الحكمة ، ليستفيد منها العلماء والأطباء ، ولكي تترجم إغناء للعلم والمعرفة . وقد عين ابن ماسويه أميناً على ترجمتها[٢٤] .

---

(٢٢) **المرجع أعلاه** ، رقم ٢١ ، وحمارنة ، « البيمارستانات » ، **مجلة الفكر العربي** ، ١٩٨٧ ، ص١٢٥ ، « والتثقيف الطبي » ، **الموسم الثقافي لعام ١٩٨٦** ، جامعة اليرموك ، اربد ، ١٩٨٨ ، ص٦٨ – ٦٩ .

(٢٣) القفطي ، **تاريخ** ، ٢٠٧ – ٨ ، ٣٨٣ – ٥ ، وشيخو ، **علماء** ، ١٧٠ – ٢ ، والراغب الاصفهاني ، **محاضرات الأدباء ومحاورة الشُعراء** ، بولاق ، القاهرة ، ١٢٨٤هـ ج١ : ٢٦٣ .

(٢٤) ابن جُلجل ، **طبقات** ، ص٦٥ – ٦ ، أصيبعة ، **عيون** ، ج١ : ١٦٧ – ٧٥ .

وقد جرى المعتصم على نهج أسلافه الرشيد والأمين والمأمون ، فجعل قصره ندوة يجتمع فيها الفقهاء والأطباء وأهل العلم ، فيتداولون في سبل الحكمة والسعي إلى الحقيقة ، ويتناقشون في شؤون الدين والعلم والأدب . وكان ابن ماسويه ذكياً ذا فكاهة ودعابة ،سواء في الجد أو في الهزل . وذات مرة كان يتحدث في مجلس العلماء في قصر الخليفة في شؤون الطب ، فأعلن أنه لا يجد مانعاً يمنعه من القيام « بتشريح جسم ابنه » ، الذي كان في طبعه ، خلافاً لأبيه ، بلادة وتخلف عقلي ، وذلك على نحو ما كان يفعل الطبيب الفيلسوف جالينوس (١٣٠ – ٢٠١م) ، الذي « كان يشرّح الناس والقرود » ، وليعرف بتشريحه أسباب بلادته ، فيريح الناس من سماجته ، ويكسب أهل صناعة الطب مما يتم اكتشافه « من تركيب بدنه ومجاري عروقه وأوردته وأعصابه علماً ، ولكن السلطان يمنع ذلك » .

ومما يروى من نوادره « أن رجلاً شكا إليه علّة كان شفاءه منها الفصد ، فأشار عليه به » ، فقال الرجل : « لم أعتد الفصد . فقال له يوحنا ولا أحسب أحداً اعتاده في بطن أمه ، وكذلك لم تعتد العلّة قبل أن تعتلّ ، وقد حدثت بك ، فاختر ما شئت »[٢٥] .

وقد ازداد نجم ابن ماسويه سطوعاً ولمعاناً في الأعوام الخمسة من حكم الخليفة الواثق (٨٤٢ – ٨٤٧م) ، الذي كان « مشغوفاً ضنيناً به » ، يغدق عليه المال ويرفع من شأنه ومكانته . وكان مجلس ابن ماسويه أعمر المجالس في العاصمة العباسية في زمانه ، سواء أكانت مجالس للأطباء ، أم لعلماء الكلام ، أم للفلاسفة . كان يجتمع في مجلسه أكثر أهل العلم فضلاً ورفعة . وكان خفيف الظل كثير الدعابة والطرافة ، وقد أقبلت الدنيا

(٢٥) القفطي ، **تاريخ** ، ص ٣٨١ – ٩١ ، وأصيبعة ، **عيون** ، ١٧٥ – ٦ .

عليه حتى صار نديم الخلفاء وسميرهم ، حتى غمرته السعادة ، فنال منها ما لم يبلغه أمله .

« وكان ملوك بني هاشم لا يتناولون شيئاً من أطعمتهم إلا بحضرة ابن ماسويه . وكان يقف على رؤوسهم ومعه البَراني (الخزفية) بالجوارشنات (أو الجوارشات ، مركبات صيدلانية معاجين علاجية تحوي مواد عطرية تعجن مع العسل أو الشراب لتكون بشكل الحلويات ، وتعرف باللاتينية باسم electuaries) الهاضمة المسخّنة الطابخة المقوّية للحرارة الغريزية في الشتاء ، وفي الصيف الأشربة الباردة منها . وكان معظماً ببغداد ، جليل القدر . وله في الطب أسرار (ونوادر وفصول طبية) خلّدها الناس لنفعها ». وعرف الناس فضله لمهارته وحسن أدائه في التأليف والعلاج ، واعتبروه في مصاف الأطباء القدماء (الإغريق) النابهين ، كأبقراط وجالينوس[٢٦] .

وقد خدم ابن ماسويه في آخر أيامه – وكان قد طعن في السن – الخليفة المتوكل في سامراء ، وتوفي فيها في ٤ جمادى الآخرة سنة ٢٤٣هـ/٨٥٧م ، حسب ما ذكر ابن أبي أصيبعة . ويكون بذلك قد عاصر الرشيد والأمين في أول شبابه ، وتولى رئاسة الطب في قصور الخلفاء الأربعة ، من المأمون حتى المتوكل . ولم يحظ بمثل هذا الشرف أحد من قبل ، علاوة على أفضاله العلمية العظيمة ، مع أن بدايته كانت بسيطة ، ونسبه كان متواضعاً ، ولكنه باجتهاده المتواصل ، وذكائه الخارق ، ودعابته المرحة ، وتآليفه ذات النفع العميم ، خَلُد ذكره ، وتعطرت سيرته ، وطبقت

---

(٢٦) وستنفيلد=F.Wüstefeld ، **تاريخ أطباء العرب** ، غوتنغن ، ١٨٤٠ ، ص٢٣ ، وسارتون G.Sarton ، **مقدمة في تاريخ العلم** ، طبعة دوبرت كريغر ، نيويورك ، ١٩٧٥ ، ج١ : ٥٧٤ .

سمعته الآفاق[٢٧] .

ولا يفوتنا ، استكمالاً للحديث عن سيرة ابن ماسويه وحياته ، أن نلفت النظر إلى التقارير والمخطوطات والوثائق ، التي كتب معظمها باللاتينية وبعضها بلغات غربية أخرى ، والتي تتحدث عمن يسمونه ابن ماسويه الثاني ، أو الأصغر (Mesuë The Younger) وابن ماسويه الثالث (Third Mesuë) من القرن الثاني عشر أو القرن الثالث عشر الميلادي ، في أرجح الظن . أما ماسويه المعروف بالأصغر فهو المارديني (من بلدة ماردين في الأناضول بآسيا الصغرى ، وهي مسقط رأسه) ، فقد عاش في مدينة السلام ، حيث ذاعت شهرته في صناعة الطب . ودخل بعد ذلك في خدمة الحاكم بأمر الله الفاطمي بالقاهرة ، حيث توفي سنة ١٠١٥م . على أننا لا نعرف له أي أثر مخطوط بالعربية ، وكل آثاره ، التي ذكرها علماء الغرب ، هي باللغة اللاتينية ، وربما كان بعضها مترجماً إلى العبرية أيضاً على يد الطبيب الكابوي صموئيل بن يعقوب (Capua, ca. ١٢٧٥) . وبعض هذه المؤلفات يقع تحت العناوين التالية باللاتينية (مع بعض الشرح) :

١) كتاب في الأدوية المسهلة والمقيئة = 1) De medicinis Laxatives

٢) كتاب الكافي في الطب مع المعالجات النافعة

2) De consolatione medicinarum et correctione operationum earundem =

٣) في أسباب الأمراض المألوفة وعلاجها = 3) De egritudinibus

---

(٢٧) أمين خير الله ، **أفضال العرب في الطب** ، بيروت ، ١٩٤٦ (بالانكليزية) ، ص١٠٣ – ٦ ، لوكلير ، **تاريخ** ، ١ : ١٠٥ – ١٠ ، وكامبل D.Campbell ، **تاريخ الطب العربي** ، لندن ، ١٩٢٦ ، ج١ : ٦٠ – ١ .

4) Antidotarium sive grabadin medicamenturum compositurum, Known as the (pharmacopoeorum evangelista) ascribed to its translation by Arnold of Villanova completed shortly after 1308 =

٤) كتاب في الأدوية البسيطة والمركبة ، المعروف باسم « الدستور الأساسي في تحضير العقاقير الطبية » ، نسبة إلى ترجمته التي قام بها الطبيب الكيميائي والمنجّم أرنولد الفيلانوفي ، وفيلانوفا بلدة تقع بالقرب من بولونيا بإيطاليا ، مع أن هذا الطبيب المنجم مولود بالقرب من بلنسيه بالأندلس ، بعد استيلاء الاسبان عليها .

كما أن له كتابات حول تقطير النباتات الطبية العطرة ، وكتاباً في التشريح والجراحة باللغة اللاتينية أيضاً ، وإن كان بعضها قد ترجم إلى العبرية على أيدي فرج بن سالم ويعقوب بن يوسف اللاوي (أو الهاروني) ، في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي . غير أن هذه الكتابات كلها لا أثر لها في العربية ، ولا يوجد أي ذكر لها في أي مرجع يشير إلى أنها كتبت بلغة الضاد ، أو أن لها صلة مباشرة بالحضارة العربية الاسلامية الأصيلة ، لذلك نصرف النظر عنها ، لأنها لا تعتمد على أصول صحيحة ومعروفة[٢٨] .

آثار ابن ماسويه :

كل ما كتبه ابن ماسويه ، أو كل ما هو معروف مما كتبه ، يبحث في الطب ، وفي العلوم الصحية المساندة . فنشاطاته العلمية والمهنية كلها كانت مكرّسة لخدمة هذه الصناعة الشريفة . وكان ابن ماسويه من خيار

---

(٢٨) جورج سارتون ، **مقدمة** ، ج١ : ٥٧٤ ، ٧٢٧ ، ج٢ : ٦٥ ، ٧٩ ، ٨٢ – ٤ ، ٢٣٧ ، ٣٤٣ ، ٥٢٢ ، ٨٥٤ ، ٨٩٣ – ٩ ، وغورلت ، **جراحة** ، ٢ : ٦٦٣ – ٩ ، ونيوبرغر Max Neuburger ، **تاريخ الطب** ، بالألمانية ، ج٢ (١٩١١) ص٢٢٦ – ٧ وشولان Ludwig Choulant ، **تاريخ علم التشريح** ، ليبزج ، ١٨٤١ ، ص٣٥٤ – ٨ .

الذين مثّلوها في زمنه أفضل تمثيل ، سواء في قصور الخلفاء ، أو المراكز العلمية المعتبرة ، أو في البيمارستان والكلية ، أو بين العلماء والأطباء ، أو عند عامة الشعب . وإن هذا التخصص في المهارات الطبية ، والالتزام به التزاماً كاملاً ، لأمر يدعو إلى الاعتزاز والفخر . لقد ملأ ابن ماسويه بنشاطه فراغاً ، كان لا بد من ملئه ، في عصر كعصره متفتح للحق والنور ، وهو العصر الذهبي الذي عرفته الحضارة العربية الإسلامية العريقة ، وهي في أوج نهضتها وانطلاقها ، وبزّت فيه الحضارات المعاصرة لها في ذلك الزمان قاطبة . زد على ذلك أن عباقرة علماء العرب والمسلمين كالكندي والفارابي وابن سينا والبيروني ، على سبيل المثال ، لم يحصروا نشاطهم في حقل واحد كما فعل ابن ماسويه ، بل تعدّوه إلى حقول كثيرة ومتنوعة الجوانب : من طب وفلك ، إلى رياضيات وعلم اجتماع[٢٩] .

وها نحن نعرض باختصار أهم تصانيف ابن ماسويه المحققة ، أو التي لا تزال مخطوطة تنتظر الشرح والتحقيق ، أو المترجمة إلى لغات أخرى .

أ ـ كتاب في جواهر الطيب المفردة : حول العقاقير الطبية العطرة (العطرية) الرائحة ، وأسمائها ووصفها والتعريف بمنافعها وفوائدها الدوائية والتجميلية ، والأفاويه والتوابل ومنابتها . ومنها مخطوطات معروفة : مخطوطة في مكتبة برنستون في نيوجرزي بأمريكا ، في مجموعة قاربت تحت رقم

---

(٢٩) انظر **رسالة التنبيه على سبيل السعادة** ، لأبي نصر محمد الفارابي (المتوفى بدمشق حوالي ٩٥٠م) ، تحقيق سحبان خليفات ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٧ ، ص١٩ ـ ٥٠ ، وسارتون ، **مقدمة** ، ج١ : ٦٢٨ ـ ٩ ، وحمارنة ، **تاريخ تراث** ، جامعة اليرموك ، ١٩٨٦ ، ص١٤٦ ـ ٥٥ ، **وفهرس المخطوطات في المكتبة البريطانية** ، ١٩٧٥ ، ص٤٠ ـ ٤٢ ، ٩٣ ـ ٩ ، **كتاب الجماهر مع معرفة الجماهر** ، مقدمة بالانكليزية ، همدرد ، ١٩٨٨ ، ص٣ ـ ٩ .

٢/٢١٥٤ ، تمّ نقـلهـا عام ٥٩٠هـ/١١٩٤م ، ومخطوطة بدار الكتب بالقاهرة ، وأخرى في طهران ، ملك رقم ١٥٦٩/٦ ، في ست ورقات ، نقل القرن ١١هـ/القرن ١٧م[٣٠] .

قام بتحقيق هذا الكتاب بول سباط ، تحت عنوان بالفرنسية في مجلة معهد مصر = (Bullet. de L'Institut d' Egypte) ، ج١٩ ، القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٥ – ٢٧ . وكذلك Martin Levey, «I. Mäsawayh and his treatise on simple aromatic substances», Jour. Hist. of Med. and Allied Sciences, 16 (1961), 394 – 410 .

ب – كتاب ماء الشعير : مقالة صغيرة ، توجد مخطوطة منها بالقاهرة ، وأخرى بالجزائر تحت رقم ١٧٤٦/٢ق٧٦ – ١١٣ ، نقل القرن ١٠هـ/١٦م ، قام بول سباط بتحقيقها أيضاً ، وفي المجلة نفسها بالقاهرة ، ج٢١ (١٩٣٩) ، ص١٣ – ٢٤ . ومما يؤكد أصالة هذه المقالة أن الرازي أتى على ذكرها في كتاباته .

وقد سبق للغريق أن كتبوا في هذا الموضوع ، ضمن الكتابات الابقراطية ، كما أن جالينوس نوّه بفائدة هذا العلاج . وأول من أشار إلى هذا الموضوع بدقة واهتمام من الأطباء العرب ، طبيب معاصر لابن ماسويه ، ولكنه أكبر سناً منه ، هو أبو الحسن الدمشقي ، وذلك في **رسالته الهارونية** ، التي أنجزها حوالي عام ٨٠٧م في مدينة السلام ، قبل أكثر من ثلاثين عاماً من كتاب ابن ماسويه الموسّع ، والأكثر توضيحاً وشمولاً في

(٣٠) سزكين ، **تاريخ** ، ٣ : ٢٣٣ – ٤ ، أولمان Manfred Ullmann ، **الطب في الإسلام** ، ليدن ، بريل ، ١٩٧٠ ، ١١٢ – ٥ .

الوصف والعلاج[٣١] .

ج ـ **كتاب الأزمنة** : في علاقة الطب بعلم التنجيم ، المعروف منذ زمن البابليين وقدماء المصريين . وقد أشارت إلى ذلك الكتابات الأبقراطية الإغريقية ، في **كتاب الأهوية والمياه والأماكن** ، في ثلاث مقالات حول المياه والمناخ والأمزجة والفصول حسب الأمكنة طبياً وجغرافياً وتاريخياً ، وعلاقة ذلك بانتشار الأمراض ، وأثره في جسم الإنسان . توجد منه مخطوطة في القاهرة ، وبُرْصة في تركيا في مجموعة رقمها ١/٧٢٩ق١ – ١٧ ، نقل القرن ٥هـ/١١م. وقد ذكرها هلموت ريتر (H. Ritter) في **مجلة الشرق** (Oriens) ، ج٣ (١٩٥٠) ، ص١٠٣ ، وفي الاسكندرية بالمكتبة الأهلية ، رقم ٢/٣٣٢٨ في مجموعة متأخرة النقل ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م ، حققها بول سباط في **المجلة المصرية** ، ج١٥ (١٩٣٣) ، ص٢٣٥ – ٥٧ . كما ذكرها الرازي تحت عنوان تدبير **الأزمنة**[٣٢] .

د ـ **دَغَل العين** : فحص هذا الكتاب الصغير الحجم ، الحاوي على ٤٧ باباً مختصراً ، أ.د. نشأت الحمارنة ، وما يرهوف وآخرون ، فاعتبروه أقدم كتاب تعليمي مستقل في طب العيون جرى تصنيفه بلغة الضاد . أما باليونانية ، فقد نشر ديمو سثينيس فلاليثيس (Demosthenes Philalethes) في زمن دِيُسْقوريديس (Dioscorides) حوالي العام ٦٤م ، كتاباً هاماً في طب العيون ، ولكنه مفقود . لذلك يحق لنا اعتبار كتاب ابن

---

(٣١) « عيسى بن الحكم الدمشقي (المتوفى عام ٨٤١م) ، ورسالته الهارونية » **بلاد الشام** ، ص٥٧٧ ، وذكره ابن أبي اصيبعة ، **عيون** ، ج١ : ١٨٣ .

(٣٢) ابن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ج١ : ١٨٣ ، وسزكين ، **تاريخ** ، ٣ : ٢٣٤ .

ماسويه أقدم ما هو موجود ومحقق في هذا الموضوع في تاريخ طب العيون ، يليه كتاب **عشر مقالات في العين** لتلميذه أبي زيد حنين بن إسحاق العبادي (٨٠٩ – ٢٧٣) .

ويتميز أسلوب **دَغَل العين** بالأصالة والحيوية ، ومن مزاياه التعريف بأحوال المريض الصحية للتثبت من معالجته . وقد اعتمد المؤلف في اقتباس المصطلحات الطبية على الترجمة من اللغات السريانية واليونانية والفارسية ، وقد أحسن الترجمة ، وكذلك في تشريح العين وأمراضها ومعالجتها . وكان أول من وصف مثلاً مرض السبل المتكوّن من أوعية دموية تظهر على القرنية بسبب الخَثَر (أو الحفر ، أو الرمد الحبيبي ، وباليونانية التراخوم لخشونتها) .

ومن المعتقد أن الكتاب عرف في الغرب ، فقد ترجمه قُسْطَنْطين الأفريقي (المتوفى سنة ٤٨١هـ/١٠٨٧م ، في مونتي كاسينو بايطاليا) ، وعرّف به بتفصيل أكثر بروفر و مايرهوف (C. prüfer and M. Meyerhof,1916) في **مجلة الإسلام** الألمانية ، ج٦ ، ص٢١٧ –٢٥٦ ، وكذلك باغل (I. Pagel, Die angebliche chirurgie de I.Mesuë, Berlin, Hirschwald,1893) . أما بالعربية فالكتاب نادر الوجود ، ذكره سباط في فهرسته (١ : ١٩ ، رقم ٩٧ بحلب) ، وتوجد منه نسخة مخطوطة في القاهرة ، طب تيمور رقم ١٠٠ (ق١ – ٩) ، وفي مخطوط **الكنّاش المشجرّ الكبير** (الباب ٢٧) فصل حول أمراض العين ومعالجتها ، وسيأتي شرح ذلك[٣٣] .

(٣٣) نشأت الحمارنة ، **تاريخ أطباء العيون العرب** ، دمشق ، ص٤٤ – ٨ ، و« الكحالة في العصر العربي الأول » ، **مقالات حول العلم** ، تحقيق الحكيم محمد سعيد ، كراتشي ، ١٩٨٧ص ٧٥ – ١٠ .

=

هـ ـ **محنة الكحالين** : في تعريف أهمية المهنة ، وامتحان ممارسيها ممن هم أهل لتعاطيها باستحقاق ، وهو كتاب على شكل سؤال وجواب ، لتعريف طلابها بأفضل الأجوبة في وصف الأمراض وتحديد أسلوب العلاج ، مع كل ما في ذلك من تطويل لا مسوّغ له . وقد أتى على ذكر هذا الكتاب الرازي والقُمْري في القرن الرابع هـ/١٠م(٣٤) .

و ـ **النوادر الطبية أوالفصول الحكميّة والنوادر الطبية** : وهي أمثال في آداب المهن الصحية وممارستها ، وقواعد ذهبية فلسفية ، وأقوال سائرة مأثورة ، وبديهيات في التدابير الطبية ، في حوالي ١٣١ فصلاً ، مهداة من المؤلف إلى تلميذه سابقاً ، وزميله وصديقه الحميم لاحقاً حنين العبادي . ويخاطبه فيه كابنه الرشيد في مسالك الهدى وحبّ الخير ، وأنه

= يعتقد كاتب هذا المقال بان يحي بن ماسويه نَشَر كتاب دغل العين ، أولاً ، ثم بعد ذلك بزمن ليس بقليل ، أكمل كناشه المشجّر والحاوي في الباب ٢٧ شرحاً لأمراض العين وتشريحها ومعالجتها ، بعد أن زاد فكر المؤلف نضجاً ، وتبحر في العلم ، فأخذ يتجه نحو الواقعية في التفسير والدقة في التعبير وصار أجمل أسلوباً وأفضل أداءً . ويرجو الكاتب أن يخصص دراسة أعمق لتقويم هذا الكناش ، ولا سيا القسم المختص بالكحالة فيه .

أما كلمة دغل العين الفصيحة لغوياً فتدل على أن ابن ماسويه يملك ناصية التعبير بلغة الضاد والدغل يدل على ما يدخل صفاء العين ويشوب نقاءها ، فيفسد وضوح الرؤية ، ويضعف قوتها ورونقها ، فيصبح العلاج لازماً لتشفى العين وتسترد صحتها .

(٣٤) توجد من هذا الكتاب الصغير نسخة موجودة في مكتبة نور عثمانية تحت عنوان معرفة العين وطبقاتها وأسمائها ومجاريها وأصول تركيبها ومسائل في عللها وامتحان في كيفيتها وكيفية تركيبها رقم ٣٥٧٦ (٤) ق٢٨/ب ـ ١٤٩ب ، بخط نسخ ١٣ ½ × ١٨سم ، كتبه علي آسطاي المتصوف عام ٧٨٦هـ/١٣٨٤م . انظر بروكلمن ، ملحق ١ : ٤١٦ ، وسزكين ، ٣ : ٢٣٣ ، والبرت ديتريش ، **الطب عند العرب** ، غوتنغن ، ١٩٦٦ ، ص١٧٠ ـ ١ . وهناك مخطوطة منه في القاهرة ، وأخرى في بطرسبرج في روسيا ، ولكني لم افحص أية نسخة منها بعد .

متمم الآمال بنيل النجاح وبلوغ المراد ، إذ وجده أهلاً للحكمة ، ومجتهداً في التخصص ، مستعداً لإكمال **كتاب حيلة البرء** للفاضل جالينوس ، ونقله من اليونانية إلى اللسان العربي[٣٥] .

قام بتحقيق هذا الكتاب أولا بول سباط بالقاهرة عام ١٩٣٤ ، ثم بتحقيق مفصّل مع ترجمة ومقدمة فرنسية وفهارس مفيدة (طبع جنيف — وباريس ، ١٩٨٠) . وأول من ترجمه إلى اللاتينية قُسْطَنْطين الافريقي السابق ذكره ، وقد طبعت الترجمة في إيطاليا عام ١٤٧٨م ، وفي بولونيا أيضاً عام ١٤٨٩ . وها نحن نقتبس منه بعض الأفكار الهامة :

١ — الحقيقة في الطب غاية لا تدرك ، والعلاج بنصوص الكتب دون عمل الحكيم الماهر خطر .

٢ — النفْس المطبوعة تعين الصناعة الطبية والطبيعة المدبرة ، وبالعكس .

٣ — الاستكثار من قراءة كتب الحكماء والإشراف على أسرارهم نافع ، فان لكل حكيم نزعة عظيمة الخطر .

٤ — كما أن أخلاق النفس موروثة عن الآباء والأجداد ، كذلك الأمراض المزمنة موروثة عنهم ، لا سيما في الأعضاء الرئيسة .

٥ — إذا عالجْتَ فبما يقرُب من الاعتدال ، وتطيب رائحته ، وإذا أمكن أن

---

(٣٥) أهدى المؤلّف ابن ماسويه هذا الكتاب لابنه حنين ومنه نسخ مخطوطة في : الاسكوريال والقاهرة (في مجموع في ٣٢ صفحة نقل ٩٩٣هـ) ، وبمكتبة رشيد في اسطنبول رقم ٣٧٧ (٢) ق٢٥ — ٣٤ ، نقل ١١١٩هـ ، وليدن تحت رقم شرقي ١٢٨ (٢) ١٤١ — ٦ ، بتاريخ ٧٢٤هـ ، وغوتنغن رقم ٩٩ق ١٧٠ — ١٧٦ ، وفي الرباط رقم ٤٠٤ د(٣) ق٣١ — ٦٤ وتاريخ النقل ٨٦٣هـ ، نقل الطبيب ناصر الدين محمد بن خضر ، وبمكتبة مدريد الوطنية ، رقم ٥٢٤٠ في ٩ق ، وبمكتبة الأزهر بالقاهرة في مجموع ١١٨٤ ، ق٦٧ — ٧٥ وتاريخ النقل ٧٤١هـ/١٣٤٠م .

يُغتذى به ، فذلك الغاية .

٦ – النفْس تابعة لمزاج البدن ، فمتى عَرَضَت علة ، لاسيما في الأعضاء الرئيسة ، لا تَدَع معالجة النفس بما يُشَمّ ويُنْظَر إليه ويُفرح به ويطيب سماعه ، فذلك باب عظيم في العلاج .

٧ – معالجة الضد بالضد يجب أن تكون على سبيل المنافرة ، لا على سبيل الامتزاج .

٨ – ينبغي للطبيب أن يوهِم المريض الصحة أبداً ويرجيه فيها ، وإن كان غير واثق بذلك ، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس .

٩ – الأطباء الأميون والمقلّدون والأحداث ، ومن قلت عنايتهم وكَثُرت شهواتهم قَتّالون جداً .

١٠ – ينبغي للطبيب ألا يدع مساءلة المريض عن كل ما يمكن أن تتولد عنه علّته ، من داخل ، ومن خارج ، ثم يقضي بالأفضل .

١١ – إذا أسرع الطبيب بالمجاوبة في كل مسألة ، فَلْيُتهم .

١٢ – ينبغي للأطباء أن يتعرفوا أخلاق العليل في حال صحته ، ومواضع آماله ، ثم يصورونها له ، ويرجونه فيها ، وينشطونه إليها .

١٣ – ينبغي للطبيب أن يتشبّه في علاجه بفعل الطبيعة ، وإن طال العلاج وعَسُر وبعد ، ولا يعالج بما يظهر منه نفع على غير تدبير الطبيعة ، لأنه خدعة كالكيمياء (تحويل المعادن الرخيصة إلى الفضة والذهب بواسطة الأكسير) .

١٤ – ينبغي للمريض أن يقتصر على طبيب واحد ممن يوثق بهم من الأطباء ، فخطؤه في جنب صوابه يسير جداً . ومن ساءل في مرضه كثيراً من الأطباء أوشك أن يقع في خطأ كل واحد منهم .

١٥ – مما ينبغي للأطباء ، إن أرادوا قرب الحقيقة ، أن يركبوا لكل علّة دواء

مستنبطاً على قدر حدسهم ومنتهى حذقهم .

١٦ – ليس شيء في الطب يسير المؤونة : فأسهل مرض ، عند البحث الحقيقي ، قد يكون أصعبَ مرضٍ وأغمضَه ، وأغمض مرض ، عند البحث الحقيقي ، قد يكون أسهل مرض وأهونه في العلاج .

١٧ – الأمراض المزمنة والضعف في الأعضاء موروثة من الآباء ، لكنها تنقص إذا كان أحد الآباء سالماً صحيحاً .

١٨ – إذا استطاع الطبيب أن يعالج بالأغذية دون الأدوية ، فقد وافق السعادة(٣٦) .

ز – **كتاب في إصلاح الأدوية المُسْهلة** ، وتركيبها ، وخاصةِ كل واحد منها ومنفعته ، وفي ترتيب سقي هذه الأدوية بحسب الأزمنة والأمزجة ، وكيف ينبغي أن يُسقى العليل ولمن غيره ، ومتى وكيف يعان إذا احتبس ، وكيف يمنع الإسهال إذا أفرط . وقد ترجم الكتاب إلى اللاتينية تحت عنوان (De medicamentorum Purgantium delectu et castigatione) ، ولكننا لا نعرف لهذا الكتاب نسخة مخطوطة بالعربية(٣٧) .

(٣٦) كان الأب بول سباط الأسبق إلى القيام بهذا التحقيق عام ١٩٣٤ . وبعده ، في عام ١٩٨٠ ، قام بهذا التحقيق بالعربية والفرنسية= D. Iacguart and G.Trupeau انظر الصفحات : ٥ – ١٩ ؛ ١٠٦ – ١٨ ، ١٤٤ –٨ وقد ذكر **النوادر** أيضاً ابن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ص ١ : ١٨٣ .

(٣٧) ولكن الطبيب أبا بكر الرازي ذكره في كتاب الحاوي الكبير ٥٢ مرة في شرح الأمراض وسبل معالجتها ، كما نشر في ايطاليا (في فلورنسا) عام ١٨٧٦م ، وفي عام ١٨٩٣م ذكره المؤرخ موريتزشتاينشنايدر في طبقاته وتواريخه **Die hebr. übersetz.** في تراجم علماء العصر الوسيط ، رقم ٤٦٥ وص ، ٧١٨ ، وسزكين ، **تاريخ** ، ج٣ : ٢٢٣ .

ح - **الكُنّاش المشجَّر الكبير** : يُعَدّ هذا **الكُنّاش** (أو الدستور الطبي التعليمي للأمراض والمتعلق بالمعالجات الدوائية) من أكبر تآليف ابن ماسويه وأجلّها شأناً في بابه ، وهو مُشَجَّر لأنه يحوي جداول أو رسوماً بيانية مصورة تبين أسباب هذه الأمراض ، ودلائلها ، وتشخيصها ، والمعالجات المناسبة ، حسب أمزجة الجسم والأخلاط فيها . ومن هذا **الكُنّاش** توجد ثلاث مخطوطات معروفة :

١ - **مخطوطة بانكيبور بالهند** ، في المكتبة العامة الشرقية ، المجلد الرابع (١) رقم ٢١٦٧ في ١١٧ق٢ غير كاملة ، موجودة في خزانة خُدابَخْش ، في مدينــة بتنـه - بيهـار ، وهي بخط نسخ معتـاد واضح ، ترجع إلى القرن ٩هـ/١٥م ، في الصفحة ٢٢ سطراً ، والمقاس : $\frac{1}{2}$ ١٠سم × ١٥سم[٣٨].

٢ - **مخطوطة** تحت عنوان **كُنّاش علل الأمراض ودلائلها وعلاجاتها (المشجَّر الكبير)** في مكتبة مولانا محمود البركات بتونك ، بخط نسخ جميل نفيس في ١٥٢ق ، المقاس ١٨ × ٢٤سم ، تمّ نقلها في ٩ جمادى الأولى عـام ٥٩٧هــ/١٢٠١م عـلى يد الطبيب أبي المظفّر بن علي بن أبي الفتوح القرشي ، المولود في مدينة حمص السورية ، والذي درس مهنة الطب في دمشق ، حيث واصل ممارسة المهنة بعد تخرجه ، كما عمل طبيباً في البيمارستان النوري الكبير ، وكان فضله في عمله معروفاً ومحموداً حتى وفاته سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م .

---

(٣٨) حصل كاتب هذه المقالة على نسخة من هذه المخطوطة مصورة بخط نَسْخ واضح مع الجداول ، وهو يقدم الشكر للمسؤولين في خزانة خدابخش في بتنه بالهند لإذنهم بفحصها وتقويمها . انظر الوصف في **فهرس المخطوطات المصورة** ، تحقيق إبراهيم شبّوح ، ج٣ (٢)طبع القاهرة ،معهد المخطوطات العربيةالتابع للجامعة ،١٩٥٩ ، ص١٧٣ - ٤ .

إن ما قمنا به من شرح وتعليق على هذا الكُنّاش يعتمد على نص هاتين المخطوطتين المذكورتين آنفاً لمولانا بركات أحمد وخليفُهُ ابن الصمد محمود البركات ، مصورتين في صورتين شمسيتين على (الميكروفلم) ليدرسهما كاتب هذا التحقيق . ونحن نسجل الشكر الجزيل للمسؤولين عن المكتبتين لما قدموه من مساعدة في الحصول عليهما .

وفي آخر نسخة مولانا بركات فصل نقله الناسّخ عن الأصل يفيد بأن الكتاب قد ألفه ابن ماسويه باللغة السريانية ، واحتفظ به بين كتبه للاستفادة منه ، وربما كان يقوم بمراجعته وإكماله وتدقيقه ، فجاء متكامل المعاني جمّ الفوائد ، حتى لقد أثنى عليه كل من ابن جلجل والقاضي القفطي . وهذا الفصل يوضح أن المتطبب أبو عيسى دانيال بن يوحَنّا وجد هذا الكُنّاش بين كتب ابن ماسويه من دون ترجمته إلى العربية ، فلما حانت وفاته أراد أبو عيسى إخراجه لفائدة الطبيب الممارس وطالب الطب معاً ، لما فيه من منافع في علامات الأمراض وأسبابها ومعالجتها ، فأعلم بذلك منصور بن طلحة مولى أمير المؤمنين (الخليفة المتوكل ؟) – وكان أبو عيسى يعمل أيضاً في قصر الخليفة – فطلب إحضاره ، فلما رآه وأعجب به ، وفيه جداول التشجير ، أمر أبا عيسى ابنَ يوحَنّا بترجمته من السريانية إلى العربية لإجادته السريانية إجادة تامة . ولكنه شكا من أن بعض المصطلحات والمشتقات صعبة معقدة لمن ليست له معرفة أصيلة بالعربية ، فطلب مساعدة من القاضي غسان بن محمد من أهل الكوفة ، ومن عبد الله بن مصعب ، فأكمل الترجمة[٣٩] .

(٣٩) شبّوح ، **فهرس** ، ج٣ (٢) ، ص١٥٨ – ٩ ، ونتقدم بالشكر للمسؤولين عن مكتبة مولانا للسماح لنا بدراسة هذه المخطوطة على الميكروفلم (صورة شمسية) ، وهي أكمل نسخة لهذا الكناش ، تمّ نقلها بواسطة المُتطبّب أبو المظفر بن علي بن الفتوح القرشي بدمشق عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠ زمن الايوبيين . انظر أيضاً أصيبعة ، **عيون** ، ج٢ : ٢٠١ .

٣ ـ ومخطوطة ثالثة في خزانة رضا رامبور (١:٤٩٤ رقم ٢٠٤ طب ، تقع في ١٥٦ق ، وتاريخ النقل في ١٠٨٦هـ/١٦٧٥م)[٤٠] .

وها نحن نشرح هذا **الكُنّاش** بأبوابه كلها ، ونقومه باختصار :

الأبواب الأربعة الأولى : كُنّاش علل الأمراض ودلائلها وعلاجاتها ، المعروف **بالمشجَّر الكبير** ، يبدأ الكُنّاش بداء الثعلب وأسبابه ، والاستدلال على أنواعه ومعالجتها ، ثم الحزاز ، والفصل بين داء الثعلب وداء الحيّة : في السبب والشكل والمكان في الجسم . فداء الحيّة يكون في جلد الجسد كله ، وداء الثعلب يكون في شعر الرأس والحاجب واللحية ، ثم البثور في جلدة الرأس ، وأنواع الخراجات والقروح وأنواعها وأسمائها ، وتسبب القمل في الرأس وفي البدن ، وعلاج ذلك .

الباب الخامس : في الصداع في الرأس نصفياً (الشقيقة) ، أو كلياً ، وما هو كائن من سوء المزاج ، أو من الورم ، أو من مشاركة من أعضاء أخرى في الجسم ، كالكبد أو المعدة أو الطحال أو الرجلين ، مع الحمى أو بدونها ، أو ما يعرض له من الخارج ، مثل ضربة (أو حرّ) الشمس ، أو شرب الخمور المسكرة ، وتشخيص أنواع الإصابة ، وأوصافها ، والأخلاط المشاركة ، وطرق المعالجات ، بما في ذلك الشقيقة (migraine) أو الصداع النصفي .

الأبواب من السادس حتى الثامن : في النسيان وأسبابه والتشخيص ، والسبات السَّهَري كعلّة مركبة agrypno coma (فهي سبات مع التيقظ

---

(٤٠) ظهرت كتابات يحي بن ماسويه الطبية المتميزه كالنوادر وماء الشعير ، وجواهر الطيب وآخرها **الكناش** قبل نظائرها من كتابات الرازي بأكثر من ٧٥ سنة ، والمجوسي بحوالي ١٤٠ سنة ، وقبل شهرة الشيخ الرئيس ابن سينا (المتوفى ١٠٣٧م) بحوالي ١٨٠ سنة . انظر سزكين ، **تاريخ** ، ج٣ : ٢٣١ ـ ٣٦ .

والهذيان) والعلامات والأنواع والعلاج ، بما في ذلك العلاج الغذائي . وفي السدر ، وهو الحيرة وعدم المبالاة والزغلل في البصر ، والدُّوار (وهو شبه الدوران يأخذ بالرأس ، وعند العامة الدوخة=Vertigo) ، والأسباب والعلامات ، ومعالجته في وقت هيجانه وفي وقت سكونه . ومن الجدير بالذكر أن بعض الأمراض الجلدية وعلاج الصداع والسدر والدوار لها مقالات منفصلة في أهم المراجع العربية[٤١] .

الباب التاسع : في الوجع المسمى باليونانية قرانيطس ، وهو ورم حار يحدث في الدماغ نفسه ، أو في أغشيته (وهي الحُجُب التي تحيط بالدماغ) أو الرسام الحار ، وعلامته شدة الوجع في الرأس ، ونتوء العينين ، واحمرار الوجه ، وثقل في الرأس ، وسبات ، وقلق شديد ، وهذيان (أو اختلاط العقل ، أو التهاب السحايا=meningitis) .

الباب العاشر : في الوجع المسمى فلغموني ، أي الورم الحار الكائن في الدماغ ، مع ألم في الرأس بسبب تورم في الدماغ ، ومع الغثيان والقيء واحمرار الوجه وانتفاخه ، ترافقه حمى حادة . يعالج بالفصد ، مع تضميد الرأس بالأشياء المرطبة المحللة ، ويسقى المريض ماء الشعير والعنّاب والخبازي والبقلة اليمانية .

الباب الحادي عشر : في الحُمْرة في الدماغ مع الوجع الشديد في الرأس كله ، والالتهاب وبرد الوجه وصُفْرته ، ويُبْس الفم . ويعالج بالفصد ، ويسقى المريض ماء العنّاب والتمر الهندي والإجاص ، أو يسقى ماء الشعير

(٤١) في المراجع والهوامش ركزنا في البيبليوغرافيا على ما تَمّ ذكره من كتب ابن ماسويه في كل من ابن جلجل وابن النديم والقفطي وابن أبي أصيبعة وغيرهم من المؤلفين حتى زمننا . ونعتقد أن بعض هذه الكتب المنسوبة إلى ابن ماسويه مستقلة قد تكون قد اشتملت على هذا **الكناش** موزعاً حسب عناوين أبوابه الثمانين .

مع الرمان وماء عنب الثعلب مع الخيار شنبر وأكل البقلة اليمانية والقطف[٤٢] .

الأبواب من الثاني عشر حتى السادس عشر : في كثرة النوم العارض في الحمّيات تعترضها الأحلام الغريبة ، والفزع ، واسترخاء الجبين ، والرطوبة في الرأس ، والسبات ، والماليخوليا أو داء الوسواس ، وفساد الفكر وذهاب العقل بلا حمّى ، والمراقي النافخ واختلال العقل ، وولوع شديد وعبث ، ثم الهذيان وذهاب العقل .

الباب السابع عشر: في الصرع (باليونانية = epilepsy = scizure). وفي هذه العلة يلاحظ امتداد جميع الجسد ، مع امتناع الأفعال المدبرة حسياً وحركياً ، إما من الدماغ أو من المعدة أو بعض أعضاء الجسم كالرجلين.. أما مقدماتها : فحزن بغير علة ، وتنبه العقل ، والنسيان ، ورديء الأحلام ، والصداع . ويقترح المؤلف العلاج حسب السن والحالة : ففي حالة الصبي الرضيع ، أو من هو أكبر سناً تكون « راسخة في الدماغ نفسه » ، وتكون في هذه الحالة أصعب مما لو كانت في وعائه . وأكثر ما تَعْرض للأطفال ، وبعدهم للصبيان ، ثم للمراهقين ، وقلّما تعرض للكهول والمشايخ .

وعلامة الصرع : « سقوط العليل ، وامتداد جسده ، وارتعاشه ، وصياحه ، وظهور الزبد من الفم » ، وأعراض أخرى تحدث أيضاً . أما

---

(٤٢) رجعنا في هذه المصطلحات والمعالجات لعدة مراجع منها : سعيد الخوري الشرتوني اللبناني ، أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد . ورمزي مفتاح ، **النباتات الطبية والمفردات العطارية** ، القاهرة ، البابي الحلبي ، ١٩٥٣ ، وابن القف الكركي ، **جامع الغرض** ، تحقيق حمارنة . ومطبعة الجامعة الأردنية ، ١٩٨٩ ، ص٥٠٠ ـ ٦٤٠ .

العلاجات ، ولا سيما الغذائية منها ، فيذكرها المؤلف بالتفصيل ، كما يقترح « امتحان من به الصرع وكشفه بهذه الأشياء »[٤٣] .

الأبواب من الثامن عشر حتى الحادي والعشرين : في الرعونة وفساد مؤخر الدماغ=cerebellum؟ أما القُطْرب فنوع من الماليخوليا ووسواس الرأس والخوس وفساد العقل مع شدة العطش . والكابوس ، وهو ما يحصل للانسان في نومه ، فيزعجه ويضايقه . ويرى المؤلف أن هذه العلة مقدمة لثلاث علل : الصرع والمانيا (الجنون) والسكتة بانقطاع الصوت والحركة وثقل في الرأس وانتباه من النوم بغتة ، والمعالجة بالدواء وقلة من الطعام . وأما العشق فيسبب كآبة صماء ، مع ألم نفسي وكثرة في الحركة ، وتكون العيون غائرة جافة ، وتذبل أعضاء الجسم كلها ، ويعي المريض عند ذكر مَن يحبّ أو سماع اسمه ، وعلاجه بإشغال المريض بالصناعات أو بالاستماع إلى الألحان الجميلة ، ومصادقة من يحبّ أو من يشبهه شخصاً وصورة وحسناً[٤٤] .

الأبواب من الثاني والعشرين حتى السادس والعشرين : في السكتة والفالج والاسترخاء في أحد الشقّين أو كليهما ، وفي مقدمة الدماغ أو في مؤخره ، وانقطاع الأفعال المدبّرة والحس والحركة في جميع الأعضاء . أما مقدمات

---

(٤٣) انظر أيضاً : الفرائد الدرية ـ عربي ـ انكليزي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦٤ ، إبراهم مدكور وإبراهيم انيس ومن معهم ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، مطابع دار المعارف ، ١٩٧٣م ، ومهذب الدين أبو الحسن علي بن هبل البغدادي ، **كتاب المختارات** ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن بالهند ، ١٣٦٣هـ ، ج٢ (الجزء الثالث) .

(٤٤) ابن هُبَل البغدادي **المختارات** ، الجزء ٣ : ٢٠ ـ ٥٤ ، والياس انطون الياس ، **القاموس العصري** ، الطبعة الثامنة أو بعد ذلك ، القاهرة .

السكتة : فصداع شديد ، وانتفاخ الأوداج ، ودوار ، واختلاج ، وبرد الأطراف . وأكثر ما تَعْرض للمشايخ .

أما اللقوة فهي – كما يرى ابن ماسويه – استرخاء جانب الوجه ، وميلانه إلى الجانب الآخر الصحيح . وتعالج بربط الجانب المائل بعصابة . ومن الاسترخاء ما هو سهل المعالجة ، ومنه ما لا علاج له . أما التشنّج فيكون إما من الامتلاء وتوالي الرطوبة ، أو من الخلاء وتوالي اليبس . وأما الامتداد فيَعْرض إما في العصب وعضلات العنق أو في العضلات المقدمة والمؤخرة معاً . وينجم إما عن تعب ، أو نوم على الأرض ، أو عن حمل ثقيل ، أو سقطة ، أو من حرق النار ، أو ضربة . وأما علة الارتعاش فتكون من ضعف العصب ، وتعالج بالدواء والغذاء(٤٥) .

الباب السابع والعشرون : في أوجاع العين : كالورم الحار في العين ، وانقلاب الجفن وخشونته ، أو انتفاخه وتورمه ، والجسا ، والحكّة ، والناصور ، والشعر الزائد المنقلب ، وانتشار الأشفار ، وقرحة العين ، ونتوء العنبية ، واجتماع المدة في القرنية ، والظفرة ، وسرطان القرنية ، والقروح ، وضعف البصر ، والعشي (العشا) ، والحَوَل ، وفي طرق المعالجة(٤٦) .

---

(٤٥) البغدادي ، **المختارات** ، **المرجع أعلاه** ، ج٣ : ٦٠ – ٧٩ ، **ودورلاند في القاموس الطبي المصور** (بالانكليزية) ، الطبعة ٢٦ وما بعد ذلك ، مطبعة سوندرز ، فيلادلفيا ، ١٩٨١م .

(٤٦) البغدادي ، **المختارات** ، الجزء ٣ : ٨١ – ١٣٩ ، ونشأت الحمارنة ، **تاريخ أطباء العيون العرب** ، الجزء الأول والثاني ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥ ؛ و« المهذب في الكحل لابن النفيس » ، دمشق ، مطابع ألف باء ، ١٩٨٦ ، ص٣ – ١٢ ، والحمارنة ، « مقدمة حول طب العيون العربي » ، **مجلة التراث العربي** ، دمشق ، العدد ١٧ (١٩٨٤) ، ص١٥٣ – ٨٥ .

الأبواب من الثامن والعشرين حتى الثاني والثلاثين : في أوجاع الأذن وعللها وأنواعها : كالانسداد في الأذن ، والورم في المجرى ، أو تجمع القيح فيه ، أو دخولها (الأذن) شيء من خارج ، أو دمٌ يسيل من الأذن ، أو وسخ ، أو دود يتولد فيها ، وعلاج هذه العلل . ثم في أوجاع الأنف والمنخرين : كأن تنبت في المنخرين زوائد ، أو أن يسيل منهما الدم (الرعاف) ، أو أن تسيل إليهما رطوبة منتشرة من الرأس ، وسبل العلاج يلي ذلك ذكر أوجاع اللسان : كالأورام ، والقروح ، والتشنج ، ومعالجة ذلك . ثم يأتي ذكر البَخَر ووجع الفم والأسنان وفسادها : ويكون من نوع الطعام والشراب ، أو مضغ الأشياء العلكة ، أو كسر أشياء صلبة ، ومعالجة هذه العلل . ثم تورم اللَّهاة (uvula) والحنك واللوزتين والخوانيق ، وما يَعْرِض لها ، وعلاجها[٤٧] .

الأبواب من الثالث والثلاثين حتى الثامن والثلاثين : في النوازل ، والزكام ، والسعال وأسبابه وأنواعه ومعالجته ، وفي وجع التهاب ذات الرئة ، الذي يعرض فيها عقب النوازل ، أو الخوانيق الشديدة والبِرْسام ، ونفث الدم من الصدر والرئة ، أو من الحنك والحنجرة ، أو من المعدة والبطن ، أو من الرأس ، وعلاجه . وفي التقريح أو التقيح من الحجاب الحاجز ، أو من الصدر والرئة . وفي الخراجات (abscesses) الكثيرة ، سواء أكانت حادة ، أم سنْخية ، وسواء أكانت باردة ، أم حارة ، أم قيحية (pyemic؟) . أما التهاب ذات الجنب ، أو البِرْسام (pleurisy) ، فيقول ابن ماسويه فيه : « إنه يعرض في الحجاب الحاجز ، أو الغشاء المحيط بالرئة (أو ذات

(٤٧) البغدادي ، **المختارات** ، الجزء ٣ : ١٤٢ – ٨٩ ، وأ.ل.كليرفيل وترجمة مرشد خاطر ومن معه وتحقيق حسني سبح ، معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات ، دمشق ، ١٩٨٣ (١٤٠٤هـ) .

الجنب) » ، ومنه ذات الجنب الخالصة الحادة ، وغير الخالصة الحجابية ، وفي العضلات الحجابية = diaphragmatie[٤٨] .

الأبواب من التاسع والثلاثين حتى الحادي والأربعين : في أوجاع القلب : الغشي ، وسقوط القوة ، والخفقان . ثم أوجاع الثدي . أما تغير روائح العرق ، والصَنّان في الإبطين وجميع الجسد ، والعقاقير والأطلية المزيلة للرائحة ، وأهم الأدوية الناجعة (deodorants) ، فالكلام فيها في هذه الأبواب مختصر .

الباب الثاني والأربعون : في أوجاع المعدة ، كالعطش ، والاحتراق ، والقيء ، والفُواق (الهَقّة أو الزُغُطّة عند العامة=hiccup) ، والتهوّع ، والشهوة الكلبية=bulimia (البقرية) ، أو الشعور بالجوع شعوراً زائداً غير طبيعي ، أو ضد ذلك بذهاب هذه الشهوة ، وفي الأورام والقروح الحادثة فيها وأعراضها : كالذبول ، والغشي ، والنفخة ، والتشنج . ويرى ابن ماسويه أن وجع المعدة يمكن أن يسبب الهيضة (الكوليرا) ، كحركة مفرطة في البطن يسببها التخم ، وكثرة الرياح فيه ، والتمدد في الشراسيف[٤٩] .

الأبواب من الثالث والأربعين حتى الثامن والأربعين : في أوجاع الكبد : كضعف القوة ، والسُدَد ، وسوء المزاج ، والورم الفلغموني الحار أو الصلب ، وأنواع هذه الأوجاع ، وعلاماتها ، وأعراضها العامة . ثم في

---

(٤٨) ابن هُبَل البغدادي ، **المختارات** ، الجزء ٣ : ١٩٢ – ٢١٦ ، والموسوعة الطبية=**The Mosby** تحقيق و.د.غلانز ومن معه ، المطبعة الاميركية الجديدة ، نيويورك ، ١٩٨٥ .

(٤٩) البغدادي ، **المختارات** ، ٣ : ٢٥١ – ٨٧ ، **وكتاب المعدة وأمراضها ومداواتها** ، لأبي جعفر أحمد ابن الجزّار القيرواني ، تحقيق سلمان قطاية ، دار الرشيد ، ١٩٨٠ص ١٣ – ٢٠ ، ٧٣ – ٢٥٧ .

اليرقان ، محموداً كان أم رديئاً ، وعلاجه . وفي مرض الاستسقاء ، وتعريف مصطلحه العربي (الطويل) ، ومنه الطَبَلي ، والزقي ، واللحمي ، وهذا يمكن أن يعالج بمداخلة جراحية ، في رأي ابن ماسويه ، بقطع عرق الباسليق الأكحل ، ثم بالمعالجة الدوائية والغذائية بمنتهى الدقة وحسن التدبير . ثم في أوجاع الطحال والعلل العارضة من الأطعمة ، وهي متعددة . وتعالج بالأدوية الملطفة الناجعة . وفي الاختلاف في المنشأ : من المعدة ، أم من الكبد ، أم من الأمعاء ، والاستدلال على كلٍّ منها ، ومعالجته على حدة . ثم حول المغص (colic) وأنواعه : من الريح ، أو الكيموس ، أو خلط المرة الصفراء ، والاستدلال على كلٍّ منها ، وسبل المعالجة(٥٠) .

الأبواب من التاسع والأربعين حتى الحادي والخمسين : في القولنج ، منفرداً كان أم مشتركاً مع الكبد ، أو البطن ، أو الكلى وغيرها من الأعضاء ، وأنواعه ، وطرق معالجة كلٍّ منها . ويذكر أن مرضاً في المعاء (أو الأمعاء) الدقاق ، اسمه بالسريانية معناه « ربِّ ارحم » ، لا يغيِّر الدبل ، فيقي صاحبه من علة القولنج ، ومن هنا جاء اسمه .

ويرى ابن ماسويه أن علل الاجسام الطبيعية أربع : الفاعلة كالنجار والبناء ، والعنصرية كالخشب والحجارة ، والآلية كالمنشار والناس ، والتمامية كالباب والبيت . وهذه تتوافق مع تكوين الديدان في الحشا ، وهي : الديدان الطوال في الأمعاء الدقاق ، والعراض في الأمعاء الغلاظ ، والصغار التي تتكاثر في المعاء المستوي (وهو المستقيم) ، وهي الأقل ضرراً ، والسريعة الخروج من البدن كالطوال ، مع الاستدلال على الأعراض ،

---

(٥٠) البغدادي ، **المختارات** ، ٣ : ٣٤٧ – ٩٩ ، وج .ميكينز **J.C.Meakins** **ممارسة الطب** (بالانكليزية) ، الطبعة الثالثة ، موسبي ، سنت لويس ، ١٩٤٠ .

وتدابير خروجها ، والشفاء (أو الخلاص) منها[٥١] .

الأبواب من الثاني والخمسين حتى الستين : في أوجاع الكلى ، والأعراض الجامعة للقولنج ، ولمن به حصى الكلى ، أو حصى في المثانة ، واستدلالات ذلك . ثم في الورم الحار أو الدموي في الكلى ، أو نضجه واستحالته إلى القيح ، والمعالجة جراحياً ودوائياً وغذائياً . وفي تقطير البول وعُسْره واحتباسه ، والأنواع والعلاج . وفي وجع الديابيطس (الداء السكري diabetes mellitus) ، ومعناه باليونانية عبور البول وخروجه (مع العطش الشديد المفرط) . وبهذا يكون يحيى بن ماسويه رائداً بين الأطباء العرب ، إذ كرّس فصلاً كاملاً لهذه العلة . ثم باب في سيلان المني ومعالجة ذلك ، والأمراض التناسلية في الذكور ، ومنافع الجماع ومضاره ، وتجنب ذلك . وفي الأوجاع التي تعرض للذكر وفيه ، كالورم ، والقروح ، والخُرّاج الصلب ، والمعالجة[٥٢] .

الأبواب من الحادي والستين حتى الرابع والستين : في الرحم ، من الناحيتين التشريحية والفيزلوجية (الوظائفية) ، وموانع الحبل من قِبَل الذكر أو الأنثى ، وعلامات الحبل وأعراضه : كوجع المراق والظهر ، والغثيان . ثم ما يعرض في الرحم من أمراض : كالورم ، ولا سيما السرطاني منه ، الذي ليس له بَرْء ، ولكن يُعمل في تسكين أوجاعه . ثم في احتباس الحيض أو

---

(٥١) البغدادي ، **المختارات** ، ٣٠٩ ــ ٤١ ، ومارشياستانهوب **M.Stanhope** **تدبير طب المجتمع في الممارسة الصحية** ، سنت لويس ، موزبي **Mosby Co**. ، ١٩٨٤ ، ص٢٨٠ ــ ٤ ، ٩٥٩ ، وميكيتر ، ممارسة الطب ، ١٩٤٠ ، ص٥٩١ ــ ٦٨٦ .

(٥٢) البغدادي ، **المختارات** ، ٣ : ٤٠٣ ــ ٣٩ ، وستاينغاس=**F.Steingass** قاموس فارسي ــ انكليزي ، لندن ، ١٩٦٣ ، وعبد اللطيف البغدادي ، **مقالتان** ، تحقيق بول غليونجي ومن معه ، التراث العربي ، ١٩٧٢ ، ص١٢٣ ــ ٥٧ .

اختناقه ، أوميلانه ، أو انقلابه ، والمعالجات في ذلك . وفي علامات الذكر والأنثى ، وعسر الولادة وعلاجها . وفي احتباس دم الحيض ، أو نزفه ، وسببه ، والمعالجة ، أما الباب الرابع والستون فهو باب في أوجاع المقعدة والبواسير وعلاجها(٥٣) .

الباب الخامس والستون : في النقرس ، ولا سيا الآلام الشديدة في إبهام القدم = Hllex . وفي عرق النسا ، وهو وجع يبتدئ في حقّ الورك وينتشر ، فباقي الكعب والخنصر ممتداً ، وسببه ، والاستدلالات ، والمعالجة جراحياً ودوائياً وتضميداً(٥٤) .

الأبواب من السادس والستين حتى الثاني والسبعين : في القوباء impetigo ، سواء في أعضاء البدن أو في اللحية (الذقن= mantagra) ، والاستدلالات ، والمعالجة . وفي البرص ، وهو مرض يحدث في الجسم كله قشراً أبيض مع الحكاك الشديد ، ويسمى الوَضْح ، لبياض لونه . ويبدأ العلاج بتأن ، ثم يتدرج بالدَّلْك الشديد ، فإذا احمرّ الجلد سريعاً كان العلاج هيناً ، وإذا احمرّ ببطء كانت العلة عسيرة الشفاء ، وإذا لم يحمرّ البتة كان البرص متقدماً جداً ، ولا يقبل العلاج . أما البَهَق = Vitiligo ، فمنه الأسود ، ومنه الأبيض ، ويعالج جراحياً ، وبالدواء والغذاء . ثم في الحمرة ، والاستدلال عليها بسرعة انتشارها ، أو

---

(٥٣) ابن هُبَل البغدادي ، المختارات ، الجزء ٤ : ٢ ـ ٧٩ ، **الطفل في الطب العربي** ، **أبحاث** ، جمع واعداد عبد الكريم أبو شويرب ، ج١ ، طرابلس ، جامعة الفاتح ، ١٩٨٢ ص١١١ ـ ٩ ، ٢٣٩ ـ ٤٠ ، ٣٢٧ ـ ٣٨ ، ٤٠٧ ـ ٢٧ .

(٥٤) البغدادي ، **المختارات** ، ٤ : ٨٤ ـ ١٢٣ ، وأبو بكر محمد بن زكريا الرازي ، « في وجع النقرس » ، **مجلّة فانْيسِيْس** ، فلورنسا ، ايطاليا ، ج٢٠ (١٩٧٨) ، ٣١ ـ ٤٨ .

انتفاخها ، أو ثباتها من غير انتشار ، والمعالجة . أما الخدر ، الذي يعرض للأصابع ، من برد شديد ، أو شقاق ، وأوجاع الأظفار ، فيكون علاجه بالأطلية والمراهم والأدهان الدوائية المناسبة .

وفي علة الجمار يقول ابن ماسويه : « أما علة الجمار فهي تنفيط ، كالذي يعرض من حرق النار ، فإن كانت في اللحم أبيضت سريعاً ، وإن كانت في الحجب والعصب طالت وألمت ما حولها ، وولّدت ورماً حاراً مع تقيح » ، ويعالج جراحياً ودوائياً .

أما علة الجذام فأسبابها قد تكون وراثية من الآباء ، أو يكون سببها خلل في سير استمراء الغذاء أو رداءته ، أو انسداد في الطحال ، أو عدم صلاح مكان الايواء لخلوه من الهواء النقي . ومن الجذام نوع يمكن علاجه ، « ونوع رديء ، يولّد قروحاً ، ويُسقط اللحم ، ويسرع بصاحبه إلى التلف » ، ويعالج كلاهما جراحياً ودوائياً . وبمناسبة الكلام في الجذام قيل في المراجع التاريخية عن كُنّاش ابن ماسويه إنه كتاب لم يسبقه أحد إلى مثله(٥٥) .

الأبواب من الثالث والسبعين حتى التاسع والسبعين : « في السَّيْحَج ، الذي يكون من الخفّ واللحم النابت في أصول الأظفار » ، ويعالج بحرق نعل الخفّ ، وبذرّ رماده عليه ، أو بذرّ مسحوق الأقاقيا **acacia** ، أو الصمغ العربي ، ويعالج اللحم النابت في الظفر بالمطبوخات واللطاخات الدوائية .

---

(٥٥) البغدادي ، **المختارات** ، ٤ : ١٣٣ – ٥٢ ، ابن القُفّ الكركي ، **جامع الغرض** ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٩ ، ص٥٣٢ – ٥٦٣ ، وابن جلجل ، **طبقات** ، ص٦٦ ، والقفطي ، **تاريخ** ، ٣٨١ (ويقول هنا عن الجذام أنه كتاب شريف) وذكر أيضاً ابن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ج١ : ١٨٢ – ٣ (لم يسبقه أحد إلى مثله) .

أما المسامير ، التي تخرج في أصابع الرجل ، فتعالج جراحياً ودوائياً ، في حين أن داء الخنازير (scrofula) يعالج بالمراهم والأدوية « آكلة اللحم » . وأما داء الفيل (elephantiasis) ، فمرض يحدث منه غلظ كثيف في القدم والساق ، تتخلله عجر صغيرة ناتئة ، ويعالج جراحياً ودوائياً .

أما الباب السادس والسبعون ففي معالجات الحكّة والجرب. وفي وباء الجدري والحصبة ، والأعراض ، وطرق المعالجة ، ويليه الباب السابع والسبعون في الآكلة ، ومعالجتها بالأدوية والأدهان . وفي حرق النار والنّورة (وهي خليط من أملاح وأحجار الكلس والزرنيخ والبورق) ، والمعالجة بالمراهم والأدهان . ثم الباب الثامن والسبعون في عض الكَلْب الكَلِب ، وعلامته أن الكلب المصاب يذهب عقله ، ولا يتصور الماء أو يشربه لأيام ، ويرعد ، ثم إنه يصرع صاحبه بدون معرفة ، ويُبَحّ صوته ، ويكون مفتوح الفم محمرّ العينين ، ويؤذي كثيراً من يعضّه . ثم الباب التاسع والسبعون في لدغ الحيّات والعقارب والزنابير والجرارات ، ومعالجة من أصيب بلدغها[٥٦] .

الباب الثمانون : وهو الباب الأخير في هذا الكُنّاش البالغ الأهمية ، وهو « في الحمّيات وأعراضها وعلاجها ، من عمل دانيال بن يوحنا من كتاب يحيى بن ماسويه ، قال : الحمّى هي حرارة خارجة من الطبيعة ، ترسل من القلب في العروق إلى سائر البدن ، فتضرّ بالأفعال الطبيعية . وهي ثلاثة أجناس : في الروح كالحمّى اليومية، أو في الأعضاء الأصلية الصلبة ، أو

(٥٦) البغدادي ، **المختارات** ، ٤ : ١٧٣ – ٦ ، ١٧٩ – ٩٧ ، ٢٠١ – ٤ ، وصَطِن R.L.Sutton **أمراض الجلد** (بالانكليزية) ، الطبعة العاشرة ، سنت لويس ، موزبي ، ١٩٣٩ .

الحمّى الكائنة من الكيموسات المسمى حمّى العَفَن » .

أما الحمّى اليومية فتكون إما في الروح النفسانية أو الحيوانية أو الطبيعية ، وخواصها تُحقّق بالبول أو نبض العروق وصعود الحرارة وانتشارها . وأما الحمى الكائنة في الأعضاء الصلبة فتؤثر في القلب ، حسب الأخلاط وأنواع الأمزجة . وأما حمى العفن والمطبقة فيستدل عليهما بالأشياء الطبيعية ، أو بالأشياء الخارجة من الطبيعة ، أو الأشياء التي ليست بالطبيعة . ويكون علاج الحميات بالدواء والغذاء بالمركبات المعروفة ، والمبردات كالسكنجبين ومياه الخُضَر والنباتات العطرية والبذور المطبوخة .

ولعل هذا الباب مأخوذ عن مخطوطات أخرى ، نقل عنها مع بعض التنقيح ، وفصل عنها ليكون مستقلاً(٥٧) .

ولابن ماسويه آثار مخطوطة أخرى ، ذات صلة أكيدة **بالكُنّاش المشجر الكبير** ، أو هي متضمنة فيه ، وهي جديرة بالاشارة إليها ، منها : **كتاب** (أو مقالة ، أو باب) **الحمّيات** ، **والجذام** ، **والسموم وعلاجها** ، **والقولنج** ، **والمعدة** ، كتاب معروف **بالرجحان** ، **والماليخوليا** (أو داء الوسواس ، أو الاكتئاب ، أو مرض السوداء) **وأسبابها وعلاماتها وعلاجها** ، **وعلاج الصداع** (وعلله وأوجاعه ، ألفه لعبد الله بن طاهر) ،

---

(٥٧) وفي موضوع الحميات هناك نُسَخٌ مستقلة لا بد من درسها فما كتبه يحيى بن ماسويه في هذا الباب كان عظيم الأثر في الأطباء الذين جاؤوا بعده : من الرازي ، فإسحاق بن سليمان الاسرائيلي ، وكتابه : **الحميات** ، وأحمد الطبري ، وعلي المجوسي والزهراوي وابن سينا وابن بطلان وابن زهر وغيرهم . انظر **المسائل في الطب للمتعلمين** ، لأبي زيد حنين بن إسحاق العِبَادي ، تحقيق محمد أبو ريان ومن معه ، دار الجامعات المصرية ، ١٩٧٨ ، ص١ – ١٧ ، ٢٠ –٢٢ ، ٤٠ – ٩ ، ٦٧ – ٩ ، ٨٤ – ٨ ، ٢١٣ – ٦ ، ٢٢٥ – ٩ ، ٢٥٩ – ٦٥ ، ٢٨٠ – ٨ ، ٢٩٢ – ٩ .

والسدر والدوار[٥٨] .

ومن بين أصحاب التراجم في العصر العربي الذهبي ينفرد ابن أبي أصيبعة (المتوفى سنة ٦٦٨هـ/١٢٧٠م) بذكر **كتاب الجنين** لابن ماسويه . كما نجد في الأبواب من الحادي والستين حتى الثالث والستين من **الكُنّاش المشجّر الكبير** موضوعات تقترب في مضمونها من موضوع **كتاب الجنين** ، وذلك تحت عنوان : الرحم وأوجاعه وعلاجاته ، وعلامات الذكر والأنثى ، وهل يمكن معرفة فيما إذا كان حَمْل المرأة هو ذكر أم هو أنثى ؟ وشرح عُسْر الولادة ، واحتباس دم الرحم ونزفه ، ومعالجة ذلك .

وفي مكتبة المتحف العراقي نسخة مخطوطة فريدة (رقم ٢٤٩ ق٢٤٢ ب – ٢٤٦أ ، تاريخ نقلها قرن ٩هـ/١٥م) ، تحت عنوان : **مقالة في الجنين وكونه أو تكوينه في الرحم** ، عرفها الأستاذ فؤاد سزكين ، وحصل على نسخة مصورة منها ، وقامت الدكتورة أورسولا فايسر U.Weisser بدراستها ، وتقويمها ، والتعليق عليها بالعربية والانكليزية . وقد عاين هذا المجموع كاتب هذا المقال في زيارته لمكتبة المجمع في ٢٠ تموز/يوليو ١٩٦٤ ، ونأمل أن يكون بقي محفوظاً وسالماً حتى الآن[٥٩] .

---

(٥٨) انظر **كتاب القولنج** ، لأبي محمد بن زكريا الرازي ، تحقيق صبحي حمامي ، جامعة حلب ، معهد التراث العلمي العربي ، ١٩٨٣ ، ص٧ – ١٧ ، و**كتاب المعدة** لابن الجزار تحقيق قطاية ، وفيه صفة أقراص الكوكب من **كتاب النجع** لابن ماسويه ، ص ، ١٨٧ ، **وفي الماليخوليا** ، لاسحاق بن عمران تحقيق سليم عَمّار ، **الطب الإسلامي** ، ١٩٨١ ، ص١٧١ – ٩ ، وعن عبد الله بن طاهر بن الحسين (المتوفى عام ٢٣٠ بمرو/٨٤٤) ابن خلكان ، **وفيات** ، ج١ : ٤٢١ –٢ ، وج٣ : ٨٣ – ٩ ، فكتاب علاج الصداع يكون قد تَمّ قبل ذلك بسنين زمن المعتصم .

(٥٩) أ.فايسر ، « علم الأجنّة لدى يوحنا بن ماسويه » ، **مجلة تاريخ العلوم العربية** ، جامعة حلب ، ج٤ (١٩٨١) ، ص٩ – ٢٢ بالانكليزية ، ٩٤ – ١٠٠ بالعربية .

وليحيى بن ماسويه آثار مخطوطة أخرى ذكرها مؤرخو هذه الحقبة في أكثر من مرجع ، وهي : **البرهان** ، وهي كتاب في ثلاثين باباً ، **والكمال والتمام** ، **والبصيرة والفصد والحجامة** ، **والأغذية والأشربة** ، أو **إصلاح الأغذية ودفع مضارها** ، **والحمّام** (دخوله) **ومنافعه ومضاره** ، **والسواك والسنونات** ، **والتشريح** ، ألفه للمأمون ، **أوتركيب خلق الإنسان** وأجزائه وعدد أعضائه وأسباب الأوجاع[٦٠] .

وهناك كتب ورسائل منسوبة ليحيى بن ماسويه ، ولكننا غير واثقين بصحة هذه النسبة ، لعدم وجود ما يؤكدها ، ومنها **كتاب في غير ما شيء مما عجز عنه غيره** ، **والمنجّح** أو النجْح (في التداوي ، **في وصف الأمراض والشكاوي** . ذكره الرازي في الحاوي ، والبيروني في **كتاب**

---

(٦٠) أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الجزّار في كتابه : **المعدة وأمراضها ومداواتها** ، تحقيق قطاية ويذكر يحيى بن ماسويه في عدة أماكن (ص٨٦ اقتباس من **كتاب التمام والكمال** ، ص ،٩٩) ان اشتراك الدماغ مع فم المعدة (الفؤاد) يعرض منه ابليسيميا ، وكذلك (ص١٠٠) عن الشهوة الكلبية واعتلال آلة الشهوة في فم المعدة وألمها وأيضاً (ص١١٤) صفة أقراص ألّفها ابن ماسويه لسوء مزاج المعدة المسبّب بالحرارة ، (وص١١٦) صفة شراب ألّفه ابن ماسويه ينفع في قمع الصفراء المتولدة في المعدة وسمّاه مطفئ الوهج . ويقول فيه ابن الجزار : « وقد اختبرناه فحمدناه » ، (ص١٢٢) ، وصفة جوارشن ألفه ابن ماسويه للرشيد (وربما المقصود المأمون) نافعا في فساد المعدة وبردها من البلغم ، (وص١٥٦ ـ ٧) صفة شراب ألّفه ابن ماسويه في إيقاظ شهوة الطعام عند انقطاعها أو ضعفها نافعاً من الحرّ المستحكم والوهج والغثي وهو مجرب ونافع ، (ص١٧١) صفة نقوع ألّفه ابن ماسويه ينفع من شدة العطش والحرارة ويبس الحلق والفم وهو مجرب ونافع ، وأخيراً (ص١٨٦) صفة حب ألّفها ابن ماسويه يستعمل على الريق نافع من النفخة في المعدة والريح المستحكمة فيها . هذه الاقتباسات إما ان تكون من كتابه في **المعدة المسمّى بالرجحان** ، أو في **الكُنّاش المشجر الكبير** ، أو من كليهما .

الصيدنة) . ومنه نسخة مخطوطة في القاهرة رقم ١٦ طب ، ومجسّة العروق[٦١] .

إن آثار يحيى بن ماسويه المخطوطة المعروفة والمحققة ، والمتوافرة بالعربية أو في ترجماتها إلى اللاتينية ، بوجه الخصوص ، تسمح لنا بأن نقول إنه قد ملأ فارغاً كبيراً في مجال تطوير المهن الصحية في عصره ، وهو عصر حاسم وخلاق ، بعث في العلوم الصحية روحاً مجدّدة ومبدعة ، وأعطى الطب العربي ، بفروعه المختلفة المعروفة آنذاك ، دفعة قوية إلى الأمام[٦٢] .

لقد منح ابن ماسويه بكتاباته حيوية وانطلاقاً لما يمكننا أن نطلق عليه اسم الطب العربي من ناحية ، وأسهم ، من جهة أخرى ، بقسط عظيم في نقل التراث الطبي الغريقي - السرياني ، ولا سيا في الفترة الممتدة من العصور المسيحية ، إلى بزوغ فجر الإسلام ، وحتى نهاية القرن الثاني للهجرة .

أما معاصرو ابن ماسويه المشهورون ، فمنهم : أسرة الدمشقي ، ولا سيا الخفيد أبو الحسن عيسى بن الحكم ، والثلاثة الأوائل من آل

(٦١) انظر ابن الجزّار ، **في المعدة** ، تحقيق قطاية ، دار الرشيد ، ١٩٨٠ ، ص١٨٧ ، يقتبس هنا صفة أقراص الكوكب ألّفها يحيى بن ماسويه من **كتاب النجح** (أو **المنجح**) يصف بأنها تنفع من وجع المعدة ومن الريح وزيادة البلغم والمغص والجشاء ولشدّ البطن . انظر سزكين ، **تاريخ** ، ٣ : ٢٣٣ - ٥ ، بذكر **المرة السوداء أو الماليخوليا** ، مخطوط مشهد بايران ، رقم ٥٢٢٢ ، ومخطوط طهران ، بمجلس شوارى ، رقم ٥٢٨ في ١٤٣ق ، تاريخ النقل ٧١٥هـ/١٣١٥م ، حول **المنجح** لابن ماسويه .

(٦٢) سوريناوتروبو J.Sourina et Tropeau ، « ابن ماسويه » ، **Clio Medic.** ، ١٩٦٨ ، ج٣ : ١٠٩ - ١٧ ؛ وميلي A.Mieli ، « التشريح عند ابن ماسويه » ، **Archeion** ، ١٩٤٢ ، ج٢٤ : ٤٣٨ - ٤٢ ، **والعلم عند العرب** (في الفرنسية) ، ليدن ، بريل ، ١٩٦٦ ، ص٧١ - ٢ .

بختيشوع ، وسرابيون وولداه ، والكندي وصديقاه الحميان أبو الحسن علي بن سهل الطبري (المتوفى حوالي ٢٤٦هـ/٨٦١م) ، وأبو زيد حنين العبادي ، وأسرة الطيفوري . هؤلاء هم الرعيل الأول من واضعي أسس العلوم الطبية العربية بفروعها المختلفة . ومن حق ابن ماسويه علينا أن نذكر له فضله في هذا المضمار ، وأن ندرج اسمه في عداد هذا الرعيل الخالد[٦٣] .

---

(٦٣) ابن أبي أصيبعة ، **عيون** ، ج١ : ١٢٠ – ٨٧ ، ولوكلير ، **تاريخ** ، طبعة الرباط ، ١٩٨٠ ، ج١ : ٩٩ – ١٤٢ ، وتاريخ **تراث** ، جامعة اليرموك ، ١٩٨٦ ، ج١ : ١٢١ – ٦٠ .

علم الأصوات عند العرب

الدكتور محمد حسان الطيان

علم الأصوات Phonétique علم جديد قديم : جديد لأنه واحد من فروع علم اللسـانيات Linguistque الذي لا يعدو تأسيسهُ مطلعَ هذا القـرن على يد اللغـوي السـويسـري فردينـان دوسـوسّـور (١٨٥٧ـ ١٩١٣)[1] .

وقديمٌ لأنه واحد من العلوم التي تقوم عليها كل لغة ، فاللغة أصوات تتألف منها كلمات تنظم في جمل فتؤدي معاني شتّى ، أو هي على حد تعبير ابن جني : « أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم »[2] . والصوت كما قال الجاحظ : « هو آلة اللفظ ، والجوهرُ الذي يقوم به التقطيع ، وبه يوجد التأليف ، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت . ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف»[3] .

ولما كان الأمر كذلك فقد عُني أصحاب كلٍّ لغة بأصواتها منذ أقدم

---

(١) مدخل إلى الألسنية ٣٠ـ٣١ ، وعلم الأصوات العام ١٠ ، ويلاحظ أن نسبة التأسيس إلى دوسوسور لا تعني أنه لم يسبق بدراسات مختلفة تنحو هذا النحو ، ولكنه عدَّ الرائد بكتـابه « محاضرات في الألسنيـة العـامة » انظر مقدمة الترجمة العربية لهذا الكتاب ص٣ .

(٢) الخصائص ١/٣٣ .

(٣) البيان والتبين ١/٧٩ .

العصـور ، من ذلك مـا أُثِر عن قدمـاء اليـونان كأفلاطون وأرسطو من ملاحظات صوتية متناثرة ، وكذا ما ورد عن قدماء الرومان أمثال بريسكيان وترنتيانوس . أما الهنود فكانوا أكثر اتساعاً وأعمق أثراً في آرائهم الصوتية ، وهم أول من نظر إلى الدراسات الصوتية على أنها فرع مستقل من فروع علم اللغة ؛ واشتهر منهم بانيني بكتابه المسمى Ashtadhyayi[1] .

وجاء العرب المسلمون فخطَوا بهذه الدراسـات الصوتية خطوات واسعة ، وضربوا فيها بسهم وافر ، شهد بذلك نَصَفَةُ الدارسين من الغربيين ، غير أولي الهوى والزيغ ، حتى قال قائلهـم : « لم يسبق الأوربيين في هذا العـلم إلا قومان العرب والهنود »[2] . وقال المستشـرق الألماني شادِه عن الأصـوات عند سيبويه : « فيستحق ما قد وصـل إليـه من غايات علم الأصوات أن نعتبره[3] كما أجمع على تسميته كل من درسه من علماء الشرق والغرب مفخراً من أعظم مفاخر العرب »[4] .

ومع أن علم الأصوات لم يعرف بهذا الاسم عند العرب إلا في مرحلة لاحقة ، فإنه لم يغب عن مصنفات المتقدمين من علماء العربية (نحوها

(١) علـم اللغـة ٨٧–٨٨ ، والبحث اللغـوي عنـد العرب ٣٤٢–٣٤٣ ؛ وفي صوتيات العربية ٤٥ . وبانيني نحوي هندي ، لعله الأقدم في العالم ، كما تقدر دائرة المعارف البريطـانيـة ، إذ يعود إلى القرن الســادس أو الخامس قبل الميلاد . انظر (في الأصوات اللغوية ــ دراسة في أصوات المد العربية) ٦٤ .

(٢) من كلمـة للمستشـرق الألمـاني برغشـتـراسر في كتابه التطور النحوي للغة العربية ، وقريب منها قول فيرث الإنكليزي : « إن علم الأصوات قد نما وشبّ في خدمة لغتين مقدستين هما السنسكريتية والعربية » . البحث اللغوي عند العرب ١٠١ .

(٣) كذا ، والصواب : نعده .

(٤) من محاضرة له بعنوان « علم الأصوات عند سيبويه وعندنا » نقلاً عن مقدمة كتاب ما ذكره الكوفيون عن الإدغام ٣٨ .

وصرفها وعروضها وبلاغتها وموسوعاتها الأدبية) والطب والحكمة والموسيقى والقراءة والتجويد ... ذلك أنه مازج هذه العلوم المختلفة وداخَلها حتى لا تكاد تقع على كتاب فيها يخلو من كلام في علم الأصوات أو أثارةٍ منه . قال أبو نصر الفارابي : « وعلم قوانين الألفاظ المفردة يفحص أولاً في الحروف المعجمة عن عددها ومن أين خرج كل واحد منها في آلات التصويت وعن المصوت منها وغير المصوت وعما يتركب منها في اللسان وعما لا يتركّب »[1] .

ويمكن أن نصنّف العلوم التي أسهمت ولو على نحوٍ ما في علم الأصوات ، في زمرٍ ثلاث :

١ ــ علوم العربية : النحو والصرف والبلاغة والعروض ...

٢ ــ علوم الحكمة والفلسفة والطب والموسيقى .

٣ ــ علوم القراءة والتجويد والرسم والضبط .

ــ ١ ــ

أما الزمرة الأولى فتبدأ بظهور أول معجم في العربية ، وهو كتاب العين المنسوب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) والذي بُني على أساس صوتي ، وصدِّر بمقدمة صوتية تعد أول دراسة صوتية منظمة وصلت إلينا في تاريخ الفكر اللغوي عند العرب[2] . ولا غروَ فصاحبها الخليل مفتاح العلوم ومصرفها ، وصاحب العروض ، ذو الباع الطويل بالموسيقى وغير ذلك مما له مساس بعلم الأصوات ، بل إن حمزة الأصفهاني ينسب إليه

---

(١) إحصاء العلوم ٤٧ــ٤٨ نقلاً عن التفكير اللساني في الحضارة العربية ٢٥٤ .

(٢) يراجع في هذا الباب كتاب التفكير الصوتي عند الخليل للدكتور حلمي خليل ، وفصل الأصوات اللغوية من كتاب الخليل بن أحمد الفراهيدي للدكتور مهدي المخزومي ٥٦ــ١٥٨ .

كتاباً مستقلاً في الأصوات اسمه « تراكيب الأصوات »[١] . وكان الخليل أسبق من ذاق الحروف ليتعرف مخارجها : « وإنما كان ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو : أبْ ، أتْ ، أحْ ، أعْ ، أغْ ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق ، فجعلها أول الكتاب ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم »[٢] .

وتلاه كتاب سيبويه – حاوي علم الخليل – الذي تضمن دراسات صوتية أوفت على الغاية دقةً وأهميةً ، وتنوعت بتنوع مادتها ؛ فكان منها ما يتعلق باللهجات والمقايسة بينها والاستدلال لها[٣] ، ومنها ما يعرض للقراءات[٤] ، ومنها ما يتحدث عن ظواهر صوتية مختلفة كأحكام الهمز من تحقيق وتسهيل وهمزة بين بين[٥] ، والإمالة والفتح وما يتعلق بهما من أحكام[٦] .. والإعلال والإبدال والتعليل الصوتي لهما[٧] ... إلى غير ذلك من مباحث صوتية مبثوثة في طيّات الكتاب بأجزائه الأربعة . ويستأثر الجزء

(١) التنبيه على حدوث التصحيف ١٢٠ ، ولم أقع على ذكرٍ لهذا الكتاب فيما رجعت إليه من تراجم الخليل ، على أن كتب التراجم تذكر له كتباً أخرى تنحو هذا النحو ككتاب النغم وكتاب الإيقاع . انظر معجم الأدباء ١١/٧٤ ، ووفيات الأعيان ٢/٢٤٦ ، والبغية ١/٥٦٠ .

(٢) العين ١/٤٧ .

(٣) انظر على سبيل المثال الكتاب ١/٥٧–٦٦ ، ٧١–٧٢ (١/٢٨–٣٣ ، ٣٦–٣٧ ط. بولاق) و٣/٥٣٠ (٢/١٥٨–١٥٩) .

(٤) انظر على سبيل المثال الكتاب ١/٥٨ ، ٥٩ ، ٧١ (١/٢٨ ، ٢٩ ، ٣٦) و٢/٩١ ، ١٠٨ (١/٢٦٢ ، ٢٧٠) .

(٥) الكتاب ٣/٥٤١–٥٥٦ (٢/١٦٣–١٧١) .

(٦) الكتاب ٤/١١٧–١٣٥ (٢/٢٥٩–٢٦٧) .

(٧) الكتاب ٤/٣٣٤–٤٣١ (٢/٣٥٦–٤٠٤) .

الرابع بأجلّ هذه المباحث وهو باب الإدغام[1] الذي استهله سيبويه بذكر عدد الحروف العربيــة ، ومخارجهــا ، ومهمـوسـهـا ومجهورها ، وأصـولها وفروعها ، وما إلى ذلك مما يدخل في تكوين النظام الصوتي العربي ليغدو أســاســاً ومرجعاً لكـل من صنف في هذا البـاب من النحـاة واللغويين والقراء[2] .

ثم تتابعت كتب النحو واللغة بعد سيبويه تنحو نحوه وتقفو أثره في تخصيص حيّز للدراسـات الصوتية مرددةً تعبيراته ومصطلحاته في كل ما يتعلق بمخارج الحروف وصفاتها[3] – وهو الباب الذي يعنينا هنا – وكان على رأسها ، مما وصلنا ، المقتضب[4] للمبرد (٢٨٥هـ) والأصول في النحو لابن السراج (٣١٦هـ) ورسـالة الاشتقاق[5] له أيضاً ، والجمهرة[6] لابن

(١) الكتاب ٤/٤٣١–٤٨٥ (٢/٤٠٤–٤٣٠) .

(٢) تناول كثير من اللسـانيين المعاصرين مباحث الصوت في الكتاب بالدراسة والتتبع ، أذكر منهم الأستاذ شاده في بحثه علم الأصوات عند سيبويه وعندنا . والدكتور إبراهيم أنيس في الأصوات اللغوية ١١١– ١٣٥ . والدكتور أحمد مختار عمر في البحث اللغوي عند العرب ٩١–١٠٩ . والدكتور تمام حسـان في اللغة العربية معناها ومبناها ٥٠–٦٣ . والدكتور حسـام النعيمي في الدراسـات اللهجيـة والصـوتية عند ابن جني ٥٧–٥٩ . والدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في أطروحته : Linguistique Arabe et Linguistiqe general . ود. شـاهـين في أثر القراءات في الأصـوات ١٨٢–٢١٩ ، والطيب بكوش في مقاله « النظريات الصوتية في كتاب سيبويه » حوليات الجامعة التونسية (١١) ١٩٧٤ .

(٣) الأصوات اللغوية ١٠٥ ، والبحث اللغوي عند العرب ١٠٦ ، وأثر القراءات في الأصوات ١٩٨ .

(٤) المقتضب ١/١٩٢–١٩٦ . (باب مخارج الحروف) وهو المقصود من كل الإحالات التالية .

(٥) الأصول في النحو ٣/٣٩٩–٤٠٤ . ورسالة الاشتقاق ٣٤–٣٨ .

(٦) جمهرة اللغة ١/٦–٩ .

دريد (٣٢١هـ) والجمل[١] للزجاجي (٣٤٠هـ) والتهذيب[٢] للأزهري (٣٧٠هـ) . ومما يدخل في هذا الباب شروح سيبويه المختلفة وفي مقدمتها شرح السيرافي[٣][1] (٣٦٨هـ) والرمّاني[٤] (٣٨٤هـ) والأعلم الشنتمري[٥] (٤٧٦هـ) وشرح أبي علي الفارسي (٣٧٧هـ) المسمى « تعليقة على كتاب سيبويه »[٦][2] ، وغيرها من شروح الكتاب ، ولعل ما لم يصلنا منها أغزر

(١) الجمل في النحو ٤٠٩–٤١٣ .

(٢) تهذيب اللغة ٤٨/١–٥١ .

(٣) لم يطبع من شرحه سوى جزء جاء ضمن كتاب السيرافي النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه للدكتور عبد المنعم فائز . على أن في آخر الشرح رسالتين في الإدغام نشرتا مؤخراً الأولى بعنوان ما ذكره الكوفيون من الإدغام تحقيق د. صبيح التميمي ، والثانية بعنوان إدغام القراء تحقيق د. محمد علي الرديني . وفي كلتيهما مادة صوتية صالحة . كما نشر د. رمضان عبد التواب مؤخراً جزءاً من شرح السيرافي خاصًّا بالضرورة الشعرية ، لكن عنوانه لا يؤذن بكونه قطعة من شرح الكتاب لأنه اقتصر على : « ضرورة الشعر » لأبي سعيد السيرافي . دار النهضة ، بيروت ١٩٨٥ .

(1) ضرورة الشعر لأبي سعيد السيرافي الذي قام بطبعه الدكتور رمضان عبد التواب هو جزء من شرح السيرافي لكتاب سيبويه .

وقد قام الأستاذ الدكتور عوض القوزي بتحقيق هذا القسم من كتاب سيبويه والتعليق عليه ، وأصدره بعنوان : ما يحتمل الشعر من الضرورة (ط١/١٩٨٩م ، ط٢/١٩٩١م) . وقد طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع)/ش . ف .

(٤) مخطوط شرح الرماني ١٥٨/ب – ١٦٢/أ . وللرماني رسالة عنوانها النكت في إعجاز القرآن ضمّنها أحكاماً صوتية في تنافر الحروف وتلاؤمها ٨٧–٨٩ .

(٥) في كتابه النكت في تفسير كتاب سيبويه ١٢٤٢/٢– ١٢٤٨ .

(٦) منها نسخة خطية في مكتبة شهيد علي باسطنبول وقد عاينتها سنة ١٩٨١ مع الزميل الدكتور يحيى ميرعلم ، وجلبنا صورة عنها لأستاذنا العلامة أحمد راتب النفاخ رحمه الله .

(2) ويقوم الأستاذ الدكتور عوض القوزي بتحقيق كتاب التعليقة لأبي علي الفارسي وقد أصدر جزأين منها (الأول ١٩٩٠م ، والثاني ١٩٩٢م) ، وفقه الله لإتمامها / ش . ف .

مادة صوتية مما وصلنا فهي كثيرة أربت على الخمسين شرحاً[١] .

وتلا ذلك كله كتاب المفصل للزمخشري (٥٣٨هـ) الذي نسج على منوال سيبويه أيضاً فختم كتابه بباب الإدغام مستهلاً بذكر حروف العربية ومخارجها وصفاتها[٢] ، وكان بهذا المادةَ الصوتية التي بنى عليها ابنُ يعيش (٦٤٣هـ) شرحَهُ الغنيَّ بالدراسة الصوتية[٣] . ولا يكاد يدانيه في ذلك إلا الرضيُّ الأَسْتَراباذي (٦٨٦هـ) في شرحه للشافية حيث تداخل علم الصوت بعلم الصرف[٤] .

ولا بد من الإشارة إلى أن ثمة كتباً تحمل اسم الأصوات أو ما يشاكلها لم تصل إلينا ، لكن المصادر حفظت أسماءها ، مثل كتاب الأصوات لقطرب النحوي[٥] (٢٠٦هـ) تلميذ سيبويه ، والأصوات للأخفش[٦] (٢١٥هـ) وليعقوب بن السكِّيت[٧] (٢٤٦هـ) ولابن

---

(١) انظر المغني في تصريف الأفعال ٨ ، وتقديم كتاب سيبويه للأستاذ عبد السلام هارون ٣٥-٤١ .

(٢) جاء الإدغام في المفصل تحت عنوان « ومن أصناف المشترك الإدغام » . انظر المفصل ٣٩٣ - ٤٠٥ .

(٣) شرح المفصل ١٠/١٢٢ - ١٣١ حيث بسط ابن يعيش الكلام على مخارج الحروف وصفاتها ثم تابع الكلام على الإدغام حتى آخر الكتاب ١٠/١٣١- ١٥٥ . وانظر الأصوات اللغوية ١٢٨ - ١٣٥ حيث أثبت د. إبراهيم أنيس نص كلام الزمخشري وابن يعيش في جدول إلى جانب نصوص من الكتاب وسر الصناعة والنشر في مخارج الحروف وصفاتها تسهيلاً للموازنة بينها .

(٤) شرح الشافية ٣/٢٢٠-٢٦٤ ، والكلام هنا على مخارج الحروف وصفاتها ، أما ظواهر الإدغام والإعلال والإبدال والإمالة فلكلٍّ منها في الكتاب بابٌ مستقلٌ وحديث متطاول .

(٥) الفهرست ٥٨ ، ومعجم الأدباء ١٩/٥٣ .

(٦) الفهرست ٥٨ ، وإنباه الرواة ٢/٤٢ .

(٧) الفهرست ٧٩ .

أبي الدنيا[١] (٢٨١هـ) . وكتاب الصوت والبَحَّة ليحيى بن ماسَويه[٢] . ومن ذلك أيضاً كتاب الصوت لجالينوس الذي نقله إلى العربية حنين بن إسحاق[٣] . ولعل من أعجب ما ذكر ابن النديم في هذا الباب كتاب آلة مصوتة تسمع على ستين ميلاً لمورطس[٤] .

على أن أول من أفرد المباحث الصوتية بمؤلف مستقل ، ونظر إليها على أنها علم قائم بذاته ابنُ جني (٣٩٢هـ) في كتابه سر صناعة الإعراب الذي بسط فيه الكلام على حروف العربية : مخارجها ، وصفاتها ، وأحوالها ، وما يعرض لها من تغيير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف ، والفرق بين الحرف والحركة ، والحروف الفروع المستحسنة والمستقبحة ، ومزج الحروف وتنافرها .. إلى غير ذلك من مباحث بوّأتْهُ المقامَ الأول في هذا الفن ، فعُدَّ بحقٍّ رائدَ الدراسات الصوتية ، وهو يعني ذلك إذ يقول : « وما علمتُ أن أحداً من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ، ولا أشبعه هذا الإشباع ، ومن وجد قولاً قاله ، والله يعين على الصواب بقدرته »[٥] .

ولا تقتصر جهود ابن جني الصوتية على ما في سر الصناعة وإنما

---

(١) الفهرست ٢٣٧ .

(٢) الفهرست ٣٥٤ .

(٣) الفهرست ٣٤٩ .

(٤) الفهرست ٣٢٩ .

(٥) سر صناعة الإعراب ٦٣/١ . وبعض الباحثين يعدّ ابن جني أول من استعمل مصطلح « علم الأصوات » وذلك بقوله في سرّ الصناعة للدلالة على هذا العلم ١٠/١ : « ولكن هذا القبيل من هذا العلم ، أعني علم الأصوات والحروف ، له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم » انظر البحث اللغوي عند العرب ٩٩ ولا يعد هذا وإن لم نستطع القطع به لما تقدم من ذكر كتب الأصوات التي لم تصلنا .

تتعدّاه إلى كتبه الأخرى ، وفي مقدمتها الخصائص الذي تضمن مادة صوتيةً غنيةً جاء بعضها منثوراً في تضاعيف الكتاب[١] ، وأُفرد بعضها الآخر في أبواب مستقلة مثل باب في كمية الحركات ، وباب في مطل الحركات ، وباب في مطل الحروف[٢] .... الخ .

ويبدو أن موضوع طول الحركات والأصوات قد استبدّ بابن جني إلى حدٍّ جعله يفرد له رسالةً ، لم تصلنا ، سماها « رسالة في مدّ الأصوات ومقادير المدات » ذكر ياقوت أنّه كتبها إلى أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري وأنها في ست عشرة ورقة بخطّ ولده عال[٣] .

هذا وإن من وراء ما ذكرناه من كتب في علوم العربية كتباً أخرى حوت مادة صالحة في الصوت وما إليه ، نذكر منها : كتابَ الجيم حيث عني أبو عمرو الشيباني (٢٠٦ هـ) بلغات القبائل ولهجاتها المختلفة[٤] ، والبيانَ والتبيين حيث تكلم الجاحظ (٢٥٥ هـ) على اللثغة ، والصوت ونسج الكلمة

---

(١) من مثل كلامه على حروف الهمس ١/٥٧-٥٩ ، وكلامه على جرس الحرف وأثره في الدلالة ١/٦٥- ٦٦ ، وكلامه على الإشمام وهمزة بين بين والروم ٢/١٤٤-١٤٥ ... الخ .

(٢) الخصائص ٣/١٢٠- ١٣٣ .

(٣) معجم الأدباء ١٢/١١٣ . هذا وقد كتب الكثيرون عن جهود ابن جني الصوتية مثل هنري فليش : « التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني » مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء ٢٣ سنة ١٩٦٨ . والدكتور حسام النعيمي : « الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني » بغداد ١٩٨٠ . والدكتور محمد حسن باكلا : « ابن جني عالم الصوتيات » لندن ١٩٨٢ .

(٤) لا تكاد صفحة منه تخلو من لغات القبائل ولهجاتها الغريبة ، والمؤلف ينسب كلاً منها إلى أصلها بقوله : قال النميريّ .. وقال العبسيّ .. وقال الطائيّ .. الخ ، انظر على سبيل المثال : ١/٦٤-٦٥ . وانظر الدراسات اللهجية ٥٩- ٦٠ .

العربيـة وتردّدِ الحروف فيهـا[١] ، والزينـةَ حيث تكلّـم أبو حاتم الرازي (٣٢٢هـ) على جرس حروف المدّ[٢] وقـابـل بين العربيـة والفـارسيـة من حيث أصـواتُ كلٍّ منهما مما يدخل تحت علم اللغة التقابلي[٣] ، وإعجازَ القرآن حيث تكلم الباقلاني (٤٠٣هـ) على صفات الحروف وعلاقتها بفواتح السور[٤] ، وسرَّ الفصاحة حيث عقد الخفاجي (٤٦٦هـ) فصلاً مفرداً للأصوات تكلم فيه على ما هيتها وإدراكها ، وفصـــلاً مفرداً للحروف تكلم فيه على حدِّها واختــلافهـا ومخارجهـا وصفـاتها ، ثم تنـاول موضـوع تأليف الحروف وتنـافرها[٥] ، والتفسـيرَ الكبيرَ حيث تكلم الفخر الرازي (٦٠٦هـ) على الأصـوات وتولّدِها وأقســامهـا وعلاقتها بعلم التشريح[٦] . والمباحثَ المشرقية في علم الإلهيات الطبيعيات . له أيضاً حيث تكلم على آلية التصويت كلاماً مُعجِباً يتوافق مع كثير مما جاء به علم الفيزياء الحديث[٧] .

---

(١) البيان والتبيين ١/١٤ ، ٢٢ ، ٣٤ ــ ٤٠ ، ٦٩ ــ ٧٤ ، ٧٩ . وانظر البحث اللغوي عند العرب ٩٧ ــ ٩٨ ، والمعجم العربي دراسة إحصائية صوتية مخبرية ٢٢ ــ ٢٢ .

(٢) الزينة ١/٦٤ و٢/٢٨ نقلاً عن دراسة في أصوات المد العربية ٨٣ ــ ٨٥ ، وانظر التصور اللغوي عند الإسماعيلية/ دراسة في كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي ٢٠٢ــ ٢١٧ .

(٣) أو Constrative Linguistique . انظر التصـور اللغوي عند الإسماعيـلية ٢٠٧ــ ٢٠٨ .

(٤) إعجاز القرآن ٤٤ ــ ٤٦ . وانظر البحث اللغوي عند العرب ٩٥ــ ٩٦ .

(٥) سر الفصاحة ٦ ــ ٢٤ ، ٥٣ ــ ٥٤ ، ٦٠ ــ ٦١ ، ٩١ ــ ٩٤ ، وانظر المعجم العربي دراسة إحصائية صوتية مخبرية ٢/١٣٢ــ ١٣٥ .

(٦) التفسير الكبير ١/١١ ، ١٥ ، ٢٩ ــ ٣١ ، ٤٧ ــ ٤٨ نقلاً عن دراسة في أصوات المد العربية ١٠٠ ــ ١٠٢ .

(٧) المباحث المشرقية للفخر الرازي ، الباب الرابع (في الكيفيات المسموعة) ١/٤١٩ (بيروت ١٩٩٠) .

ولا نكاد نجد بعد هذا في كتب المتأخرين من النحاة واللغويين ما يمكن أن يتّسم بالأصالة في دراسة أصوات اللغة ، سوى تلك المحاولة التي جاءت في كتاب مفتاح العلوم للسكاكي (٦٢٦هـ) من رسم بدائي لأعضاء النطق[١] .

- ٢ -

وأما الزمرة الثانية - زمرة الفلاسفة والأطباء والحكماء - فيقدُمُها فيلسوفُ العرب الكندي (٢٦٠هـ) الذي كانت له عناية متميزة بالأصوات ، تبدّت في أكثر من مصنّف ، وعلى رأس ذلك رسالته في استخراج المعمى حيث تكلم على تردّد حروف العربية ودورانها في الكلام معتمداً على إحصاء صنعه بنفسه ، وتقسيمِها إلى مصوتة وخرس (صامتة) . وذكر قانوناً لغوياً عاماً يسري على كل اللغات وهو كونُ المصوتات أكثر الحروف تردداً . ونبّه على اشتماله المصوتة على المصوتات العظام ، وهي حروف المد ، والمصوتات الصغار ، وهي الحركات[٢] . Les Voyelles longues Les Voyelles breves ثم بسط الكلام على نسج الكلمة العربية باستفاضة إذ أورد ما يقرب من مئة قانون من قوانين ائتلاف الحروف واختلافها أو تنافرها[٣] .

---

(١) مفتاح العلوم ١٣ ، وانظر المدخل إلى علم اللغة ١٨ .

(٢) أحال الكندي عند تنبيهه هذا على كتاب له سماه « في صناعة الشعر » وهو مظنّة التوسع في هذه القضايا . انظر علم التعمية واستخراج المعمى ١/٢٣٧ ، والفهرست ٣١٧ ، والمعجم العربي دراسة إحصائية ٢/٣٠ .

(٣) انظر بيان ذلك في رسالتي للماجستير « المعجم العربي دراسة إحصائية صوتية مخبرية ٢/٢٤ - ٤١ » وقد جمعتُ ثمة جملةً صالحة من النصوص المعنية بنسج الكلمة العربية . وانظر النص الكامل لرسالة الكندي في كتاب علم التعمية واستخراج المعمى ١/٢٠٤- ٢٥٩ .

وللكندي رسالة أخرى ذات مساس بالصوتيات بل بتطبيقٍ دقيق من تطبيقاتها هو ما يدعى اليوم بأمراض النطق Troubles de la parole ، وهي رسالة اللثغة[(١)(3)] ، وقد قدّم لها ببيانٍ وافٍ لآلية النطق ، وعلاقتها بالحروف ، وما تحتاجه كل لغة من اللغات السائدة آنذاك من الحروف ، ثم تكلم على أسباب اللثغة وما يعرض للسان من التشنج أو الاسترخاء ؛ ووصف مخارج حروف العربية وهيئات النطق بها وصفاً تشريحياً فيزيائياً على نحو يختلف عما عهدناه عند سيبويه ومخالفيه . ثم حدّد حروف اللثغة ، وسمّى أعراضها وأنواعها وختم الكلام بعللها[(٢)] .

ومخالفة نهج سيبويه في تتبع مخارج الحروف تفضي بنا إلى ملاحظة هامة تتعلق بطبيعة تناول هؤلاء الحكماء للصوت ، إذ هي تنزع نحو فيزيائية الصوت أو ما أطلق عليه بعض الباحثين اسم علم الصوتيات المَوْجي السمعي[(٣)] Acoustique phonetique ولا غروَ فقد عرض حكماؤنا لمصدر الصوت ، وكيفية انتقاله في الهواء ، والمميزات الخاصة التي يتصف

(١) نشرتُها مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق بتحقيقي في المجلد ٦٠ ج٣/ ٥١٥_٥٣٢ سنة ١٩٨٥ .

(3) وكان الأستاذ شلنتاتو قد نشر الرسالة سنة ١٩٧٩م . انظر مجلة المجمع ، مج٦١ ، ج٢ ، ص ٤٣٠ – ٤٣١/ش . ف .

(٢) للكندي رسائل أخرى مظنة أن تنحو هذا النحو لمّا تجدْ طريقَها إلى النور ، منها رسالته في الأصوات الخمسة ، ورسالته في الإيقاع ، ورسالته في المدخل إلى صناعة الموسيقى . انظر الفهرست ٣١٦– ٣١٧ .

(٣) هو الدكتور يوسف الهليس ، انظر مقاله « علم الصوتيات الموجي والسمعي عند علماء المسلمين القدماء » في المجلة العربية للدراسات اللغوية المجلد الثالث العدد الثاني ١٩٨٥ ص١٠١– ١٢٣ . وقد تعقبه د . سعد مصلوح واقترح مصطلح « علم الأصوات الفيزيقي أو الفيزيائي » انظر العدد نفسه ١١٨ – ١٢٠ .

بها ، وكيفية وصوله إلى الأذن ، وإدراكه ، والتمييز بين الأصوات اللغوية وغير اللغوية ، ووضع المعايير السمعية لتقسيم الأصوات اللغوية ، والنغمة الصوتية ، وشدة الصوت ... الخ[١] .

والفارابي (٣٣٩هـ) المعلم الثاني واحد ممن عُني بهذه الدراسات ، إذ انطوى كتابه الموسيقى الكبير على الكثير منها : من ذلك كلامه على حدوث الصوت والنغم ، وربطه بين المبدأ الطبيعي لحدوث الصوت وكيفية حدوث الكلام ، وعنايته بدرجة الصوت (حدّته وثقله) وإشارته إلى وجوب استعمال الآلات للقيام ببعض القياسات التي يصعب تحديدها بالسمع[٢] .

ومما ينحو هذا النحو رسالة الموسيقى[٣] لإخوان الصفا (القرن الرابع الهجري) وقد اشتملت على عدة فصول أهمها فصل في كيفية إدراك القوة السامعة للأصوات فيه كلام على الأصوات ، وأنواعها ، ومصدرها ، وماهيتها ، ونغماتها[٤] ..

وجاء ابن سينا (٤٢٨هـ) فجمع هذا كله في رسالته الفذّة أسباب حدوث الحروف ، التي عالج فيها أصوات اللغة على نحو فريد لا نكاد نقع عليه عند أحد من المتقدمين ، وهو يتصل بما يسمى علم الأصوات النطقي phonetique articulatoir فقد جاء حديثه فيها حديثَ العالم الفيزيائي حين أشار إلى كنهِ الصوت وأسبابه ، وحديث الطبيب المشرح حين وصف

---

(١) علم الصوتيات الموجي والسمعي ١٠١ .

(٢) في مقال د. هليس السالف نصوص هذه المباحث والإحالات عليها انظر فيه الصفحات ١٠٢-١١٥ .

(٣) وهي الرسالة الخامسة من القسم الرياضي من رسائل إخوان الصفا ١/١٨٣- ٢٤١ .

(٤) رسائل إخوان الصفا ١/١٨٨- ١٩٤ .

الحنجرة واللســان ، وحديثَ اللغوي المجود حين عرض لوصف مخارج الحروف وصفاتها ، وحديثَ عالم الأصوات المقارنة حين تصدى لوصف أصوات ليست من العربية ، وحديثَ فقيهِ اللسان وأسرار الطبيعة حين ربط بين أصـوات الطبيعـة وأصـوات الحروف . وتميّز كلامُهُ في ذلك كله بمصطلحاتٍ لا نحسِب أحداً من علماء العربية يَشْرَكُهُ فيها . من أجل هذا سنخص رسالته بفضل بيان وتفصيل[١] .

قسم ابن سينا رسالته إلى ستة فصول :

– أولها في سبب حدوث الصوت[٢] حيث ردَّ ذلك إلى القلع أو القرع اللذين يلزم عنهما تموّجٌ سريعٌ عنيفٌ في الهواء يُحدِث الصوتَ .

– وثانيها في سبب حدوث الحروف[٣] حيث بيّن أن حال المتموِّج في نفسه من اتصال أجزائه أو تفرقها تفعل الحدة والثقل – وهما يمثلان شدة الصوت[٤] pitch – وأن حاله من جهة الهيئات التي يستفيدها من المخارج والمحابس في مسلكه تفعل الحرف ، ثم يُعرِّف الحرفَ ، ويقسم الحروف إلى مفردة ومركبة موضحاً طبيعة كلٍّ منها .

---

(١) كنت قد حققت هذه الرسالة بروايتيها مع الزميل الدكتور يحيى مير علم ، ونشرها مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٣ .

(٢) أسباب حدوث الحروف ٥٦– ٥٨ .

(٣) أسباب حدوث الحروف ٥٩– ٦٣ .

(٤) من المعلوم في الصوتيات الفيزيائية اليوم أن الصوت الحاد أعلى تردداً من الصوت الثقيل ، فالتردد الأساسي لصوت المرأة ٣٥٠– ٥٠٠ هرتز (هزة بالثانية) في حين ينحصر التردد الأســاسي للرجل بين ١٠٠– ٢٥٠ هرتز ، ويمكن أن نمثل ما قاله ابن سينا هنا بصوت الطبل ، فكلما كان سطحه أملس وأجزاؤه متماسكة كان صوته حاداً ، وكلما كان سطحه متشظياً متشذباً غير متماسك كان صوته ثقيلاً .

– وثالثها في تشريح الحَنجرة واللسان[١] : حيث تبدَّت عبقريّة ابن سينـا الطبيّـة ، فشرَّح الحنجرة مبيّناً غضـاريفَهـا الثلاثة (الدَّرَقي ، والطِّرْجِهاري ، وعديم الاسم) وكيفيّةَ تركّبها وارتباطها بعضها ببعض عن طريق المفاصل والعضلات التي عدّدها وحدّدها تحديداً دقيقاً بعد أن قسمها إلى عضلاتٍ مضيقة للحجرة وأخرى موسّعة ، كما أشار إلى ارتباط بعضها بأنواع معيّنة من العظام (كالعظم الشبيه باللام) . ثم شرَّح اللسان مبيناً عضلاتِه الثماني وارتباطاتها المختلفة .

– ورابعهـا في الأسباب الجزئية لحرف حرف من حرف العربية[٢] وهو بيت القصيد من الرسالة إذ تناول فيه حروف العربية حرفاً حرفاً مبيّناً سببَ حدوثها وما يعتري كلاً منهـا من عمليّات عضوية تتبدّى في دفع الهواء ، وحبســه ، وكيفيـة هذا الحبس ، والوسط الذي يتردّد فيـه الهواء المدفوع من رطوبةٍ أو يُبوسة أو ما إلى ذلك .

ولعلَّ من أهم ما في هذا الفصل تفريقَ ابنِ سينا بين الواو والياء الصامتتين ، والواو والياء المصوتتين ، ثم بيانه العلاقة بين المصوّتات الطويلة والمصوّتات القصيرة ومحاولته تحديد زمن حصول كل منها .

– وخـامسـهـا في الحروف الشبيهـة بهذه الحروف وليست في لغـة العرب[٣] ، حيث عرض لحروف أعجمية (فارسية ويونانية وتركية) تشبه بعض حروف العربية مثل G وV وP والزاء الظائية في مثل (يصدر) . واللام المطبقة في مثل (الصلاة) . وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعضَ هذه

(١) أسباب حدوث الحروف ٦٤ – ٧١ .
(٢) أسباب حدوث الحروف ٧٢ – ٨٥ .
(٣) أسباب حدوث الحروف ٨٦ – ٩٢ .

الحروف موجود في بعض اللهجات العربية والقديمة ، ومن ثَمَّ فقد اشتملت عليه بعض القراءات القرآنية ، كما جاء في قراءة حمزة والكسائي ﴿ حتى يُصْدِرَ الرِّعاءُ وأبونا شيخٌ كبيرٌ ﴾ [القصص : ٢٣] بإشمام الصاد صوت الزاي[١] وكما جاء في قراءة ورش ﴿ ويقيمونَ الصلاةَ ﴾ [البقرة : ٣] بتفخيم اللام[٢] .

– وسادسها في أن هذه الحروف قد تسمع من حركات غير نطقية[٣] . وهو فصل طريف يربط فيه ابن سينا بين أصوات اللغة والأصوات الطبيعية الأخرى محاولاً أن يتلمَّس وجوه الشبه بينهما ، فالخاء عن حك جسم ليّن حكًّا كالقشر بجسم صلب ، والشين عن نشيش الرطوبات وعن نفوذ الرطوبات في خلل أجسام يابسة نفوذاً بقوة ، والطاء عن تصفيق اليدين بحيث لا تنطبق الراحتان بل ينحصر هناك هواء له دوي ، والتاء عن قرع الكف بإصبع قرعاً بقوة .. الخ .

ولا تخلو كتب ابن سينا الأخرى كالقانون والشفاء من إلماعات صوتية تدخل فيما نحن بسبيله[٤] . كما لا يعدم الباحث إسهامات مشابهة في هذا المجال عند خالفي ابن سينا كعبد اللطيف البغدادي (٦٢٩هـ) وهو واحد من فلاسفة الإسلام المكثرين من التصنيف في الحكمة وعلم النفس والطبّ ... ومن رسائله المتصلة بموضوعنا « مقالتان في الحواس » و« النفس

(١) انظر التيسير ٩٧ .

(٢) التيسير ٥٨ .

(٣) أسباب حدوث الحروف ٩٣-.٩٧ .

(٤) انظر على سبيل المثال كلامه على تشريح الحنجرة واللسان في القانون ١/٦٤- ٦٦ ، وكلامه على الصوت وآلته ومادته وباعثها ومؤدّيها في القانون ٣/١١٤٥- ١١٤٩ . وانظر كذلك كلامه على الحدة والثقل في الشفاء ٣/١٠ .

والصوت والكلام » و« اللغات وكيفية تولدها[١] » .

وأما الزمرة الثالثة - زمرة علماء القراءة والتجويد والرسم والضبط - فقد وُسِمَتْ مصنفاتُها بأنها أكثر الكتب احتفاءًا بالمادة الصوتية ؛ وذلك لابتغائها الدقةفي تأدية كلمات القرآن الكريم قراءةً وتدويناً إلى حدٍّ جعل بعض الباحثين يذهبون إلى أن هذه العلوم انفردت بالدرس الصوتي وأغنته[٢] ، على أنها أفادت من علم النحو عامة ومن كتاب سيبويه خاصة ، يقول برغشتراسر : « كان علم الأصوات في بدايته جزءاً من النحو ثم استعاره أهل الأداء والمقرئون ، وزادوا في تفصيلات كثيرة مأخوذة من القرآن الكريم[٣] » .

والحق أن هذه العلوم تمثل الجانب التطبيقي الوظيفي لكل ماسبق ذكره من دراسات صوتية ، وقد ظهرت في مرحلة مبكرة من تاريخ حضارتنا العلمي صدعاً بالأمر الإلهي ﴿ ورتِّلِ القرآنَ ترتيلاً ﴾ ووصولاً إلى الوجه الأمثل لهذه التلاوة ، ووصفاً لأوجه الأداء المختلفة التي تبدّت في القراءات القرآنية وانطوى عليها الرسم العثماني للمصحف . لكنها اقتصرت بادئ الأمر على المشافهة والتلقين دون الكتابة والتدوين ، ثم ظهرت مصنّفات القراءات القرآنيـة التي عنيت ببيان وجوهِ الأداء المختلفة معزوةً إلى ناقليها : ووجوهُ الأداء هذه تشتمـل على الكثـير من الظواهر الصـوتية ؛ كإدغام المتماثلين والمتقاربين وإظهارهما ، ونبر الهمز وتسهيله وإبداله وحذفه ، وإمالة الألف

---

(١) الأعلام ٦١/٤ وانظر مقال الدكتور الهليس السالف الذكر ص١٠٣ ، وبحث الدكتور عبد الكريم شحادة : « أضواء على الطبيب العربي والعالم الموسوعي عبد اللطيف البغدادي » ضمن أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب ٦٩٣- ٧٧٤ .

(٢) الأصوات ووظائفها ٨٨ .

(٣) نقلاً عن كتاب الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه ص١٤٩ .

والفتحة وفتحهما ... إلى غير ذلك مما يدخل تحت ما يدعى اليوم بعلم وظائف الأصوات Phonologie[١] .

ويعزو المؤرخون أول كتاب في القراءات إلى أبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) الذي جعل القرّاء خمسة وعشرين قارئاً[٢] ، أما أول كتاب وصلنا في هذا الفن فهو كتاب السبعة لابن مجاهد (٣٢٤هـ) شيخ الصنعة وأول من سبّع السبعة ، وتواصلت بعده كتب القراءة تترى ، تقفو أثره ، وتنهل من منهله على اختلاف عدد القرّاء في كلٍّ منها[٣] .

أما فنُّ التجويد فأول من صنّف فيه موسى بن عبيد الله بن خاقان (٣٢٥) صاحب القصيدة الخاقانية في التجويد[٤] ، وهي تضم واحداً وخمسين بيتاً في حسن أداء القرآن الكريم[٥] ، وقد شرحها الإمام الداني (٤٤٤هـ) صاحب التصانيف العديدة في القراءات والتجويد ، ولعل من أهمها في هذا الباب رسالته « التحديد في الإتقان والتجويد[٦] » . التي

(١) علم اللغة العام ـ الأصوات ٢٨ـ ٢٩ ، وعلم الأصوات العام ٧ ، ١٧٦ .

(٢) النشر ٣٤/١ ، وكشف الظنون ١٣١٧/٢ .

(٣) يراجع فيها النشر ٣٤/١ ـ ٣٥ ، وكشف الظنون ١٣١٧/٢ ـ ١٣٢٢ ، وتاريخ التراث العربي ١٧/١ـ٣٦ .

(٤) كشف الظنون ٣٥٤/١ ، وأبجد العلوم ١٨٨/٢ .

(٥) حققها الدكتور علي حسين البواب مع مقتطفات من شرحها للداني في مجلة المورد العراقية مج ١٤ عدد١ سنة ١٩٨٥ . وانظر في نسخ هذه القصيدة ونسخ شرحها تاريخ الأدب العربي (المترجم) ٥/٤ وتاريخ التراث العربي ٢٩/١ـ٣٠ .

(٦) كذا ورد اسمها في المصادر ؛ كشف الظنون ٣٥٥/١ ، وغاية النهاية ٥٠٣/١ ، وغيرهما ، على أني أحتفظ بمصورة عنها أثبت عليها عنوان مغاير نصه : « كتاب تجويد التلاوة وتحقيق القراءة » وأصل هذه المصورة تحتفظ به مكتبة جار الله باصطنبول تحت رقم ٢٣ . هذا وقد أعلمني أستاذنا الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنها نشرت مؤخراً .

ضمّنها باباً في ذكر مخارج الحروف وآخر في أصنافها وصفاتها ، ثم أتى على ذكر أحوال النون الساكنة والتنوين عند جميع حروف المعجم ، وأفرد باباً لذكر الحروف التي يلزم استعمال تجويدها وتعمّل بيانها وتخليصها لتنفصل بذلك من مشبهها على مخارجها[١] .

ومن أقدم ما وصلنا بعد القصيدة الخاقانية رسالة « التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي » لأبي الحسن علي بن جعفر السعيدي المقرئ (٤٦١هـ) وهي ذات موضوع طريف يتعلق بنطق الأصوات العربية ، ويكشف عن الانحرافات النطقية الخفية التي يمكن أن يقع فيها المتكلم لا سيما قارئ القرآن الكريم حيث يتطلب الأمر عناية خاصة بأداء الأصوات[٢] .

ومما ينحو نحوَها كتابُ « بيان العيوب التي يجب أن يتجنبها القراء وإيضاح الأدوات التي بني عليها الإقراء » لابن البناء (٤٧١هـ) وهو لا يقتصر على بيان الانحرافات النطقية في الأصوات والعجز عن أدائها وبيان كيفية علاجها ، إنما يتجاوز ذلك إلى معالجة موضوعات أخرى تتعلق بكيفيات الأداء ، وبيان العادات الذميمة المتعلقة بالهيئات والجوارح مع

---

(١) تجويد التلاوة للداني ورقة ٩٨/أ .

(٢) نشرت هذه الرسالة بتحقيق د. غانم قدوري حمد في مجلة المجمع العراقي سنة ١٩٨٥ مج٣٦ ج٢/٢٤٠ - ٢٨٧ . والجدير بالذكر أن مؤلفها استخدم فيها مصطلحات صوتية تستأهل العناية والتتبع ، من ذلك ما جاء في قوله : « واللحن الخفي لا يعرفه إلا المقرئ المتقن الضابط الذي قد تلقّن من ألفاظ الأستاذين ، المؤدي عنهم ، المعطي كل حرف حقه غير زائد فيه ولا ناقص منه ، المتجنب عن الإفراط في الفتحات والضمات والكسرات والهمزات ، وتشديد المشددات وتخفيف المخففات ، وتسكين المسكنات ، وتطنين النونات ، وتفريط المدات وترعيدها ، وتغليظ الراءات وتكريرها ، وتسمين اللامات وتشريبها الغنة ، وتشديد الهمزات وتلكيزها .. » ص٢٦٠ .

توضيح معايب النطق الخاصة ببعض الأصوات ، مما يدخل في بابي أمراض الكلام والأصول الواجب مراعاتها عند القراءة[١] .

على أن أوسع ما وصلنا في علم التجويد كتاب الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق التلاوة[٢] للإمام المقرئ أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) صاحب التصانيف الجليلة في علوم القرآن والعربية وقد جمع فيه صاحبه فأوعى ، ثم زاد فأربى على كل من تقدمه ، وفي ذلك يقول : « وما علمت أن أحداً من المتقدمين سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب ولا إلى جمع مثل ما جمعت فيه من صفات الحروف وألقابها ومعانيها ، ولا إلى ما أتبعت فيه كل حرف منها من ألفاظ كتاب الله تعالى ، والتنبيه على تجويد لفظه ، والتحفظ به عند تلاوته[٣] » .

وحسبنا أن نشير ، تدليلاً على هذا ، أنه ذكر لحروف العربية أربعةً وأربعين لقباً ، بيّنها وشرحها ، « وكل واحد من هذه الألقاب يدل على معنى وفائدة في الحرف ليسا في غيره مما ليس له ذلك اللقب[٤] » .

وتتابعت بعد ذلك رسائل التجويد تقفو أثر مال تقدم ، ولا نكاد نجد فيها جديداً يذكر . ولعل أبرزها ما وضعه الإمام ابن الجزري (٨٣٣هـ)

(١) عرّف الكتاب وحقق نصه د. غانم قدوري حمد في مجلة معهد المخطوطات العربية سنة ١٩٨٧ . مج ٣١ ج١/٧–٥٨ . وتجدر الإشارة إلى أن ثمة مصنفات أخرى على هذه الشاكلة أشار إليها ابن البناء في كتابه وصرح بنقله عن واحدة منها لأبي الحسين المنادي (٣٣٦هـ) . انظر المرجع نفسه ٣٣ ، ٤٨ .

(٢) حققه د. أحمد حسن فرحات سنة ١٩٧٣ بدمشق ونشرته دار الكتب العربية ، ولأستاذنا المرحوم العلامة أحمد راتب النفاخ نقدات وملاحظ عليه ، كان قد أذن لي بنقلها إلى نسختي يرحمه الله .

(٣) الرعاية ٤٢ .

(٤) الرعاية ١١٣ . وانظر فيه باب صفات الحروف وألقابها وعللها ٩١–١١٨ .

المقرئ المشهور ، وله في هذا الباب أكثر من أثر ؛ من ذلك كتابه التمهيد في علم التجويد[١] وقد تناول فيه كل مسائل التجويد وضم إليها باباً في الوقف والابتداء ، وآخر في معرفة الظاء وتمييزها من الضاد[٢] . ومن ذلك أيضاً قصيدته المعروفة بالمقدمة الجزرية وهي أرجوزة في ثمانية ومئة بيت في التجويد والرسم والوقف والابتداء .. وقد تداولها خالفوه بشروح عديدة[٣] ؛ أذكر منهـا الحواشـي المفهمـة في شـرح المقدمة لأحمد بن الجزري (٨٢٧هـ) ابن النـاظم ، والدقائق المحكمـة في شـرح المقدمة الجزرية لزكريا بن محمد الأنصاري (٩٢٦هـ)[٤] .

---

(١) حققه د. علي حسين البواب ، ونشرته مكتبة المعارف بالرياض ١٩٨٥ .

(٢) التمهيد في علم التجويد ١٦٥ ، ٢٠٩ .

(٣) ذكرها صاحب كشف الظنون ٢/١٧٩٩– ١٨٠٠ .

(٤) حققه د. نسب نشاوي ونشره بدمشق ١٩٨٠ .

ثبت المراجع

- أبجد العلوم ، صديق بن حسن القنوجي (١٣٠٧هـ) . أعده للطبع عبد الجبار زكار ، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، دمشق ، ١٩٨٨ .
- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، د . عبد الصبور شاهين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط١ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧ .
- أسباب حدوث الحروف ، الحسين بن عبد الله بن سينا (٤٢٨هـ) ، تحقيق محمد حسان الطيان ويحيى مير علم ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ط١ ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣م .
- الاشتقاق ، ابن السرّاج (٣١٦هـ) ، تحقيق محمد علي درويش ومصطفى الحدري ، دار مجلة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٣م .
- الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ط٥ ، ١٩٧٥م .
- الأصوات ووظائفها ، محمد منصف القماطي ، منشورات جامعة الفاتح ١٩٨٦م .
- الأصول في النحو ، أبو بكر السراج (٣١٦هـ) ، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .
- أضواء على الطبيب العربي والعالم الموسوعي عبد اللطيف البغدادي ، د. عبد الكريم شحادة ، أبحاث الندوة الأولى لتاريخ العلوم عند العرب ، جامعة حلب ١٩٧٧م .
- إعجاز القرآن ، أبو بكر الباقلاني (٤٠٣هـ) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٥ ١٩٨١م .
- الأعلام ، خير الدين الزركلي (١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٥ ١٩٨٠م .
- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، علي بن يوسف القفطي (٦٤٦هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط١ ١٦٣٩هـ ـ ١٩٥٠م .
- البحث اللغوي عند العرب ، د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٤ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

(٩١١هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

- بيان العيوب التي يجب أن يتجنبها القراء وإيضاح الأدوات التي بني عليها الإقراء ، لابن البناء (٤٧١هـ) ، تحقيق د. غانم قدوري حمد ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج٣١/ج١ ، الكويت ، ١٩٨٧ .
- البيان والتبيين ، الجاحظ (٢٥٥هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٥ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، ترجمة د. عبد الحليم النجار وزملائه ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ١٩٧٧م .
- تاريخ التراث العرب ، د. فؤاد سزكين ، ترجمة د. محمود حجازي و د. فهمي أبو الفضل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧م .
- تجويد التلاوة وتحقيق القراءة ، أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ) ، مصورة عن نسخة مكتبة جار الله باسطنبول رقم (٢٣) .
- التصور اللغوي عند الإسماعيلية - دراسة في كتاب الزينة للرازي (٣٢٢هـ) ، د. محمد رياض العشيري ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ١٩٨٥م .
- التفكير الصوتي عند الخليل ، د. حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط١ ١٩٨٨م .
- التفكير اللساني في الحضارة العربية ، د. عبد السلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، ليبية - تونس ١٩٨١م .
- التمهيد في علم التجويد ، محمد بن الجزري (٨٣٣هـ) ، تحقيق د. علي حسين البواب ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- التنبيه على حدوث التصحيف ، حمزة الأصفهاني (٣٦٠هـ) ، تحقيق محمد أسعد طلس ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .
- التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي ، لأبي الحسن علي بن جعفر السعيدي (٤٦١هـ) ، تحقيق د. غانم قدوري حمد ، مجلة المجمع العراقي ، مج٣٦/ج٢ ، بغداد ، ١٩٨٥ .
- تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الازهري (٣٧٠هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون وزملائه ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

- التيسير في القراءات السبع ، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (٤٤٤هـ) ، بعناية أوتوبرتزل ، مصورة دار الكتاب العربي بيروت ، ط٣ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م .
- الجمل في النحو ، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (٣٣٧هـ) ، تحقيق علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ودار الأمل ـ إربد ، ط٢ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م .
- جمهرة اللغة ، ابن دريد (٣٢١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، مصورة عن الطبعة الهندية ١٣٥١هـ .
- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ) ، تحقيق محمد علي النجار ، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ط٢ .
- الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه ، د. مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط٢ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، د. حسام سعيد النعيمي ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، ١٩٨٠م .
- الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد ، زكريا بن محمد الأنصاري (٩٢٦هـ) ، تحقيق د. نسب نشاوي ، دمشق ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .
- رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ، المجلد الأول ـ القسم الرياضي ، مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، ١٤٠٥هـ .
- رسالة يعقوب الكندي في اللثغة ، تحقيق محمد حسان الطيان ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج٦٠/ج٣ ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) ، تحقيق د. أحمد حسن فرحات ، دار الكتب العربية ، دمشق ، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م .
- سر الفصاحة ، عبد الله بن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ) ، تحقيق علي فوده ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣٢م .
- سر صناعة الإعراب ، عثمان بن جني (٣٩٢هـ) ، تحقيق مصطفى السقا وزملائه ، الجزء الأول ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط١ ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م . نسخة ثانية دراسة وتحقيق د. حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .
- شرح شافية ابن الحاجب ، رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي ، تحقيق محمد نور الحسن والزفزاف وعبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .

- شرح كتاب سيبويه ، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٤هـ) ، مصورة عن نسخة مكتبة فيض الله باصطنبول رقم (١٩٨٧) .
- شرح المفصل ، ابن يعيش النحوي (٦٤٣هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .
- علم الأصوات العام – أصوات اللغة العربية ، د. بسام بركة ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، ١٩٨٨م .
- علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب ، د. محمد مراياتي ، محمد حسان الطيان ، يحيى مير علم ، مطبوعات مجموع اللغة العربية بدمشق ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
- علم الصوتيات الموجي والسمعي عند علماء المسلمين القدماء ، د. يوسف الهليس ، المجلة العربية للدراسات اللغوية ، مج٣/العدد٢ ، الخرطوم ، ١٩٨٥ .
- علم اللغة العام – الأصوات ، د. كمال محمد بشر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥م .
- علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي ، د. محمود السعران ، دار النهضة العربية ، بيروت .
- غاية النهاية في طبقات القراء ، ابن الجزري (٨٣٣هـ) ، بعناية ج ، برجستراسر ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .
- الفهرست ، ابن النديم (٣٨٥هـ) ، تحقيق رضا–تجدّد ، طهران ، ١٣٩١هـ – ١٩٧١ .
- في الأصوات اللغوية – دراسة في أصوات المد العربية ، د. غالب فاضل المطلبي ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، ١٩٨٤م .
- في صوتيات العربية ، د. محيي الدين رمضان ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، ١٩٧٩م .
- القانون في الطب ، الحسين بن سينا (٤٢٨هـ) ، تحقيق د. إدوار القش ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م .
- كتاب الجيم ، أبو عمرو الشيباني (٢١٣هـ) ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، مجمع اللغة العربية ، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م .
- كتاب سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٦م .
- كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) ، تحقيق د. مهدي المخزومي – د. إبراهيم السامرائي ، دار الهجرة ، إيران – قم ، ط١ ١٤٠٥هـ .
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى بن عبد الله الرومي المعروف

لحاجي خليفة (١٠١٧هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .
ـ اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان . الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ط٢ ١٩٧٩م .
ـ ما ذكره الكوفيون من الإدغام ، أبو سعيد السيرافي (٣٦٨هـ) ، تحقيق د. صبيح التميمي ، دار الشباب ـ باتنة ـ الجزائر .
ـ محاضرات في الألسنية العامة ، فرديناند ده سوسُّر ، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر ، دار نعمان للثقافة ، لبنان ، ١٩٨٤م .
ـ مدخل إلى الألسنية ، د. يوسف غازي ، منشورات العالم العربية الجامعية ، دمشق ، ط١ ١٩٨٥م .
ـ معجم الأدباء ، ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
ـ المعجم العربي دراسة إحصائية صوتية مخبرية ، محمد حسان الطيان ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق ـ ١٩٨٤م .
ـ المغني في تصريف الأفعال ، د. عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث ، القاهرة ، ط٣ ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م .
ـ مفتاح العلوم ، يوسف بن محمد السكاكي (٦٢٦هـ) ، ضبطه وشرحه الأستاذ نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .
ـ المفصل في علم العربية ، الزمخشري (٥٣٨هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ط٢ .
ـ المقتضب ، أبو العباس المبرد (٢٨٥هـ) ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، مصورة عن نسخة القاهرة ١٩٦٣ .
ـ النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري (٨٣٣هـ) ، تصحيح علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ النكت في إعجاز القرآن ، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (٣٨٤هـ) ، تحقيق محمد خلف الله أحمد ـ د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦م .
ـ النكت في تفسير كتاب سيبويه ، الأعلم الشنتمري (٤٧٦هـ) ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، معهد المخطوطات العربية ، الكويت ، ط١ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .
ـ وفيات الأعيان ، ابن خلكان (٦٨١هـ) ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

(التعريف والنقد)

من كلام العرب قولهم

« أمَّا أنت منطلقاً انطلقت »

وجولة مع الدكتور رمضان عبد التواب فيه

الدكتور محمد أحمد الدالي

« أمَّا أنت منطلقاً انطلقت » من عبارات العربية التي كثر دورها على ألسنتهم ، واجترؤوا عليها بالحذف طلباً للخفّة ، وهم مّما يفعلون ذلك فيما كثر استعمالهم إياه[1].

قال سيبويه[2] في « باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره في غير الأمر والنهي » : « ومن ذلك قول العرب : **أمَّا أنت منطلقاً انطلقتُ معك** ، وأمَّا زيدٌ ذاهباً ذهبتُ معه ، وقال الشاعر (العباس بن مرداس) :

أبَا خُرَاشَةَ أمَّا أنت ذا نَفَرٍ ... فإنَّ قوميَ لم تأكلهم الضَّبُعُ

فإنما هي « أنْ » ضُمَّت إليها « ما » ، وهي « ما » التوكيد ، ولزمت كراهية أن يجحفوا بها ، لتكون عوضاً عن ذهاب الفعل ....
حتى صار كأنهم قالوا : إذْ صرتَ منطلقاً فأنا أنطلق معك ، لأنها في معنى

---

(١) من ذلك قولهم « هل لك في كذا وكذا » . وقد بسطنا الكلام على هذه العبارة في مقالة أفردناها لها نشرتها مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج٦٢ جـ٢/٣٧٦ – ٣٨٣ .

(٢) في الكتاب ١/١٤٧ – ١٤٨ .

« إذْ » في هذا الموضع ، و« إذْ » في معناها أيضاً في ذا الموضع ، إلا أنَّ « إذْ » لا يحذف معها الفعل ، و« أمَّا » **لا يذكر بعدها الفعل لأنه من المضمر المتروك إظهاره** حتى صار ساقطاً ...... **فإن أظهرت الفعل قلت** : إمّا كنت منطلقاً انطلقت ، إنما تريد ، إن كنت منطلقاً انطلقت . فحَذْفُ الفعل لا يجوز ههنا كما لم يجز ثَمَّ إضماره ، لأنَ « أمَّا » **كثرت في كلامهم** واستعملت حتى صارت كالمثل المستعمل ...... » اهـ . وقال في موضع آخر[٣] : « .... وكما قلت : أمَّا أنت منطلقاً انطلقتُ معك ، حين لم يجز أن تبتدئ الكلام بعد « أمّا » فاضطررت في هذا الموضع إلى أن تحمل الكلام على الفعل » اهـ . وقال في موضع آخر[٤] قبل هذا الكلام : « وسألتُه[٥] عن قوله : أمَّا أنت منطلقاً أنطلقُ معك ، فرفع ، وهو قول أبي عمرو ، وحدثنا به يونس . وذلك لأنه لا يجازى بـ « أنْ » ، **كأنه قال : لأن صرتَ منطلقاً أنطلقُ معك** » اهـ .

وقال أبو سعيد السيرافي في « شرح كتاب سيبويه » ، فيما نقله منه ملخصاً مَن وقف على طبعة بولاق من كتاب سيبويه[٦] ، عند قول سيبويه : « ومن ذلك قول العرب : أمّا أنت منطلقاً انطلقت معك .... إلخ » = قال : « اتفق الكوفيون والبصريون على وجوب حذف الفعل في هذا ونحوه ، واختلفوا في المعنى : فالكوفيون يقولون : هو بمعنى « أنْ » ، وإنَّ « أن » المفتوحة فيها معنى « إن » التي للمجازاة ، ويحملون قوله تعالى ﴿ أن

---

(٣) الكتاب ٤٧٤/١ .

(٤) الكتاب ٤٥٣/١ . وانظر المسائل المنثورة ١٥٨ ، وارتشاف الضرب ٩٩/٢ - ١٠٠ .

(٥) يعني شيخه الخليل بن أحمد الفراهيدي .

(٦) حاشية الكتاب ١٤٨/١ .

تضل إحداهما ﴾ الآية [سورة البقرة : ٢٨٢] عليه . والبصريون يقولون : إنه على معنى التعليل ، أي لأن كنت منطلقاً أنطلق معك ، وشبهوها بـ « إذْ » ؛ ولأجل أنّ الثاني استحق بالأول جاز دخول الفاء في الجواب » اهـ .

فقول العرب « أَمَّا أنت منطلقاً انطلقت » وما كان على مثاله قد رواه البصريون والكوفيون ، و« أَمَّا » مفتوحة الهمزة عند الفريقين ، والفعل « كان » أو « صار » بعدها محذوف عندهما جميعاً للتعويض عنه بـ « ما » ، وأصلها « أنْ ما » . ثم اختلفوا في جهة تفسيرها : فأهل الكوفة يجعلون « أنْ » بمعنى « إن » الشرطية ، وذهبوا في قول الشاعر :

أبا خراشة أَمّا أنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع

إلى أنّ الفاء في « فإنّ » هي فاء الجزاء . وذهب البصريون إلى أن التقدير : « لأنْ كنت » فحذف الفعل وحذفت اللام ، وحذفُها قبل « أنْ » قياس[٧] .

وأما قولهم « أمّا أنت منطلقاً أنطلقُ معك » فالذي رواه الخليل وأبو عمرو ويونس عن العرب أنهم يرفعون « أنطلقُ » لأنه لا يجازى بـ « أنْ » . وحكى الجرميّ[٨] المجازاة بـ « أَمّا » هذه ، وهو مذهب الكوفيين في جواز المجازاة بـ « أَن » .

وقولُ الشاعر :

أبا خراشة أَمّا أنت ذا نفر فإنّ قومي لم تأكلهم الضبع

(٧) انظر مقالتنا « عبارة هل لك في كذا وكذا » ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج٦٢ جـ٢/٣٨٢ – ٣٨٣ .

(٨) انظر المسائل المنثورة ١٥٨ ، وارتشاف الضرب ٢/٩٩ – ١٠٠ .

الذي استُشهد به في هذه المسألة عزي في مطبوعة الكتاب ١/١٤٨ (بولاق) إلى العباس بن مرداس السُّلَمي ، وليست النسبة من سيبويه نفسه . وإلى العباس عزي في شرح اللمع لابن برهان ٢٤٣ ، وأمالي ابن الشجري ١/٣٤ ، ٣٥٣ و٢/٣٥٠ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٢/٩٩ ، وشذور الذهب ٢٤٢ ، وتخليص الشواهد ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، والمقاصد النحوية ٢/٥٥ ، والخزانة ٢/٨٠ و٤/٤٢١ ، وشرح أبيات مغني اللبيب ١/١٧٣ . ولم يرد في أصل ديوانه فزاده ناشره فيه ص١٢٨ .

ونسب إلى بعض هذيل في المفصل ٧٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٢/٩٨ ، والانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب ص٥٨ .

ونسب إلى مالك بن ربيعة العامري في اللسان (ض ب ع) .

وعزي ضلة إلى خفاف بن ندبة السلمي ، انظر ديوانه ص ١٣٢ .

وهو بلا نسبة في الخصائص ٢/٣٨١ ، والمنصف ٣/١١٦ ، والفصول لابن الدهان ٤٢ ، والإفصاح للفارقي ٢٨٨ ، وشرح المفصل ٨/١٣٢ ، وسفر السعادة ٧١٩ ، والإنصاف ٧١ ، ورصف المباني ٩٩ ، ٢٠١ ، وأمالي ابن الحاجب ٢/١٢٣ ، ١٤٥ ، وشرح الكافية ١/٢٥٣ ، والأزهية ١٤٧ ، والجنى الداني ٥٢٨ ، وأوضح المسالك ١/١٦٥ ، وشرح التصريح ١/١٩٥ ، وحاشية الخضري على ابن عقيل ١/١١٨ ، وحاشية الصبان على الأشموني ١/٢٤٤ و٤/٢٤٩ ، وهمع الهوامع ٢/١٠٦ ، وغيرها .

وقد روي « إمَّا كنتَ ذا نفر » ، وعلى هذه الرواية لا شاهد في البيت على المسألة .

ولمّا وقف الدكتور رمضان عبد التواب على هذه الرواية « إمّا كنت

ذا نفر » علق عليها بقوله في كتابه « بحوث ومقالات في اللغة »[٩] في الفصل الثاني منه « حاجة تراثنا اللغوي إلى التهذيب والتنقية » : « إنه ليلاحظ في هذا التراث النحوي أنّ فيه متابعة تكاد تكون كاملة ، لكثير مما جاء به سيبويه في كتابه ، دون تمحيص أو تدقيق ، على ما في بعض مسائله أحياناً من الخطأ المبني على تحريف في الرواية أو تغيير في الشواهد العربية . وهذا مثال واحد ، من أمثلة كثيرة ، يدل على صدق ما نذهب إليه .

يرى النحاة العرب ، منذ أيام سيبويه ، أنّ (كان) الناسخة تحذف وحدها أحياناً ، وذلك بعد أن المصدرية ، في مثل قولك : « أمّا أنت منطلقاً انطلقت » ...... ويستشهدون على ذلك بقول العباس بن مرداس السلمي :

أبا خراشة أمّا أنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع

وقول الشاعر :

أما[١٠] أقمت وأما أنت مرتحلاً فالله يكلأ ما تأتي وما تذر

ويبدو أن هذه المسألة مبنية على تحريف وقع في بيت العباس بن مرداس السلمي ، وهو البيت الوحيد الصحيح النسبة ، بين شاهدَي هذه المسألة ، لأن البيت الثاني يروى بلا نسبة ، كما أنه يحتوي على عبارات إسلامية ظاهرة ، مما يدل على أنه مصنوع بعد وضع القاعدة وعلى ضوئها .

وهذا يعني أن المسألة لا وجود لها في اللغة العربية أصلاً ، وأنّ النحاة

---

(٩) ص١٥٥ ـ ١٥٧ منه .

(١٠) كذا وقع ، وصوابه « إمّا أقمت وأمّا » الأولى منهما مكسورة ، والبيت في تهذيب اللغة ٣٢١/٦ و٦٢٩/١٥ ، وشرح أبيات المغني ١٧٩/١ ، وأمالي ابن الحاجب ١٢٣/٢ ، ١٢٤ ، وارتشاف الضرب ٩٩/٢ ، وشرح المفصل ٩٨/٢ .

وعلى رأسهم سيبويه أو شيوخه ، قد وقعوا في التحريف في بيت العباس بن مرداس ، وقاسوا عليه أمثلتهم الأخرى ، وأنّ صواب رواية البيت :

أبا خراشة إمّا كنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع

هكذا : « إمّا كنت » بدلاً من « أما أنت » التي يزعم النحاة منذ أيام سيبويه أن البيت يروى بها . و« إمّا » هذه هي « إن » الشرطية المؤكدة بما الزائدة ......

ولعل الدليل على صحة ما نقول ، أن بيت العباس بن مرداس ، يروى كثيراً في غير كتب النحو (التي ينقل بعضها عن بعض) ، بالرواية الصحيحة ، وهي « إما كنت » . ويكفي أن تراجع ذلك في كتاب العين للخليل بن أحمد ٣٣١/١ وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ١١٠/٢ ، وتهذيب الألفاظ لابن السكيت ٢٦ وحماسة الخالديين ٨٩/١ . وجمهرة اللغة لابن دريد ٣٠٢/١ ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤٣/١ ، ولسان العرب (خرش) ١٤٣/٨ ، والاشتقاق لابن دريد ٣١٣ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٣٤١/١ ، وشرح ديوان جرير لمحمد بن حبيب ٣٤٩/١ ، والحيوان للجاحظ ٢٤/٥ ؛ ٤٤٦/٦ وغير ذلك » اهـ .

هذا كلامه . وفيما يأتي تعقيب على مواضع من كلامه :

١ - قوله « ويبدو أن هذه المسألة مبنية على تحريف وقع في بيت العباس بن مرداس السلمي ، وهو البيت الوحيد الصحيح النسبة ، بين شاهدَي هذه المسألة » فيه أنّ المسألة مبنية على هذين البيتين ، وليس الأمر كذلك . بل المسألة مبنية على ما أطبق أئمة البصريين والكوفيين على روايته عن العرب في كلامهم نحو « أما أنت منطلقاً انطلقت معك » . والبيتان مما يستشهد به من الشعر على المسألة ، ولم تبنَ المسألة عليهما .

وفيه أيضاً القطع بأن روايته « أما أنت » تحريف وأن من رواها كذلك محرِّف للرواية . والدكتور لم يذكر ما دعاه إلى اتهام هذه الرواية لا من جهة رواتها ولا من معناها . وهذا منه تحكّم واطمئنان إلى رأي رآه بغير دليل .

وفيه أيضاً أن البيت الذي اختلف في نسبته لا يستشهد به !! وهذا شيء غريب لا يقوله من كان له عناية بشواهد العربية ومعرفة بقواعد الاحتجاج بها . وشواهد العربية التي هي دلائل على مسائلها : القرآن الكريم وقراءاته ، والحديث الشريف المروي عن النبي عليه السلام بلفظه أو بلفظ من يحتج به ، وكلام من يحتج به شعراً ونثراً .

وقوله في بيت العباس : « وهو البيت الوحيد الصحيح النسبة » غير صحيح ، فقد عزي البيت إلى غيره ، وليس ذلك بضارِّه شيئاً .

٢ – وقوله : « لأنّ البيت الثاني يروى بلا نسبة ، كما أنه يحتوي على عبارات إسلامية ظاهرة ، مما يدل على أنه مصنوع بعد وضع القاعدة وعلى ضوئها » غريب من كل وجه . فالعباس بن مرداس شاعر إسلامي ، وهو محتج بكلامه المشتمل على معان إسلامية والخالي منها . وقد أطبق العلماء على الاحتجاج بشعر أهل الجاهلية وأهل الإسلام إلى نحو سنة ١٥٠هـ . ولو ذهب ذاهب مع الدكتور فأسقط ما كان فيه عبارات إسلامية أو كان قائله إسلامياً لأسقط قدراً عظيماً مما يحتج به في كل علم من العلوم .

وقد استشهد سيبويه[١١] وغيره بشعر الشعراء الإسلاميين ، وآخرهم إبراهيم بن هرمة ، ومنهم جرير ، والفرزدق ، والأخطل ، والحطيئة ، والراعي ، ورؤبة ، والعجاج ، وابن قيس الرقيات ، والعباس بن مرداس ،

---

(١١) انظر « شواهد الشعر في كتاب سيبويه » ٢٦٨ – ٣٠٣ (شعراء سيبويه) .

وحسان بن ثابت ، وابنه عبد الرحمن ، وهدبة بن خشرم العذري ، والطرماح ، وغيرهم .

٣- وقوله « وهذا يعني أن المسألة لا وجود لها في اللغة العربية أصلاً ، وأن النحاة وعلى رأسهم سيبويه أو شيوخه ، قد وقعوا في التحريف في بيت العباس بن مرداس وقاسوا عليه أمثلتهم الأخرى ، وأنَّ .... » دعوى بغير دليل ، وطعن صريح في جلة من علماء العربية الذين رووا ما سمعوا من العرب ومنهم الخليل وأبو عمرو ويونس وسيبويه وأهل الكوفة ، وما منهم إلا ثقة ثبت إمام ، أدّوا ما سمعوه من العرب ، واختلفوا في تفسير أشياء منه .

وقوله « لا وجود لها في اللغة أصلاً » أغرب ما في كلامه ولا يكاد يقضى منه العجب . فمن مضى من الأئمة الأثبات جميعاً حكوا أن العرب يقولون « أمَّا أنت منطلقاً انطلقت » ونحوه ، وهم قد علموا ذلك وفسروه ، والدكتور رمضان يقول : « لا وجود لها في اللغة العربية أصلاً » !! وأنى له أن يدعي هذا ؟! وللدكتور – بلا ريب – أن يوافقهم أو يخالفهم في تفسير ما رووه عن العرب .

ومدار الأمر وملاكُه في شواهد العربية – وإن عرف قائلوها أو جهلوا أو تعدّدت الرواية فيها أو اختلف في نسبتها – على مخارج روايتها وصدق رواتها والثقة بهم[١٢] . قال أبو سعيد السيرافي في شرح كتاب سيبويه[١٣] ، في إنكار أبي العباس المبرد « لولاي » وخطأ الشعر الوارد فيه ، وهو قول يزيد بن الحكم الثقفي :

وكم موطنٍ لولاي طِحْتَ كما هوى   بأَجْرامِه من قُلَّةِ النِّيقِ مُنْهَوِي

(١٢) انظر كلام ابن جني في الخصائص ٣/٣٠٩ – ٣١٣ في الباب الذي عقده لصدق النقلة وثقة الرواة والحملة .

(١٣) انظر حاشية الكتاب ١/٣٨٨ .

« ما كان لأبي العباس أن يسقط الاستشهاد بشعر رجل من العرب قد روى قصيدته النحويون وغيرهم ولا أن ينكر ما أجمع الجماعة على روايته عن العرب ... » اهـ . وقال ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه[١٤] : « فلا ينبغي أن يذهب إنسان له علم وتحصيل إلى أن سيبويه غلط في الإنشاد ، وإن وقع شيء مما استشهد به في الدواوين على خلاف ما ذكر = فإنما ذلك سمع إنشاده ممن يستشهد بقوله على وجه ، فأنشد ما سمع ، لأن الذي رواه قوله حجة ، فصار بمنزلة شعر يروى على وجهين » اهـ . وقال[١٥] أيضاً : « واعلم أن اختلاف الإنشاد إذا وقع في مثل ذا الموقع لا ينبغي أن ينسبه أحد إلى اضطراب سيبويه ، وإنما الرواية تختلف في الإنشاد ، ويسمعه سيبويه ينشد على بعض الروايات التي له فيها حجة ، فينشده على ما سمعه ، ويرويه راو آخر على وجه آخر لا حجة فيه ، والرواة المختلفون إنما أخذوه من أفواه العرب الذين يحفظون الأشعار ، فالتغيير واقع من جهتهم . والشواهد في كل رواية صحيحة لأن العربي الذي غيَّر الشعر وأنشده على وجه دون وجه قولُه حجة ، ولو كان الشعر له لكان يحتج به . ألا ترى أن الحطيئة راوية زهير وكثيِّراً راوية جميل ، والراوي والمروي عنه كلاهما حجة » اهـ . وهذا كلام نفيس في بابه جامع بيِّن .

هذا كلام ابن السيرافي في موضعين من كتابه « شرح أبيات سيبويه » ، وقد كان تحقيقه موضوع رسالة دكتوراه بإشراف الدكتور رمضان .

فقول العرب إذاً « أمَّا أنت منطلقاً انطلقت » ونحوه من الأمثلة التي

---

(١٤) شرح أبيات سيبويه ١/٣٠٣ .

(١٥) المصدر نفسه ٢/١١٨ . وانظر الشعر والروايات المتعددة في « شواهد الشعر في كتاب سيبويه » ٣٠٧ – ٣٨٨ .

وقفنا عليها في الشعر والنثر والتي لم نقف عليها مما كثر في كلامهم.
وأصله : لأنْ كنت منطلقاً ، والمصدر المؤول من أن وما بعدها في محل جرّ باللام المتعلقة بالعامل المؤخر « انطلقت » ؛ فحذفت اللام قبل أن ، وحذفها في ذا الموضع حسن كثير ، فصار : أن كنت منطلقاً ، ثم حذفت « كان » فانفصل الضمير ، وعوضوا بـ « ما » عن كان المحذوفة وأدغمت النون من أن في ما ، فصار « أما أنت منطلقاً » .[١٦]

والفعل المحذوف بعد « أن » المصدرية والمعوض عنه بـ « ما » من الأفعال المضمرة المتروك إظهارها عند جمهور البصريين ، وأجاز المبرد إظهاره ، وعنده هو ومن وافقه أن « ما » زائدة لا عوض . وذهب جماعة من البصريين منهم أبو علي الفارسي وابن جني[١٧] إلى أن « ما » المعوض بها عن « كان » هي العاملة في الاسم والخبر لا « كان » .

وعند الكوفيين ومن وافقهم[١٨] أنّ « أنْ » في ذا الموضع شرطية بمعنى « إنْ » . والفاء التي في نحو قوله :

أبا خراشة أمّا أنت ذا نفر فإنّ قومي لم تأكلهم الضبع

عندهم فاء الجزاء ، وهي زائدة عند البصريين .

والكوفيون يقولون « أمّا أنت منطلقاً أنطلقْ معك » بالجزم ، ويجوزون رفعه لكون الشرط محذوفاً حذفاً لازماً ، والبصريون يرفعونه ولا يجيزون جزمه .

(١٦) انظر تعليق محقق المقتضب ٣٤/٤ ح٤ ، والأزهية ١٤٨ ، وشرح الكافية ٢٥٣/١ ، وحاشية الخضري على ابن عقيل ١١٨/١ ، وهمع الهوامع ١٠٦/٢ .

(١٧) انظر الخصائص ٣٨١/٢ ، والمغني ٥٧٢ .

(١٨) منهم ابن هشام في بعض كلامه ، انظر المغني ٥٤ . وقال الرضي في شرح الكافية ٢٥٣/١ : « ولا أرى قولهم بعيداً من الصواب » .

المصادر والمراجع

ارتشاف الضرب ، لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق الدكتور مصطفى النماس ، مطبعة المدني بالقاهرة ١٩٨٩ .

الأزهية في علم الحروف ، للهروي ، تحقيق عبد المعين الملوحي ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٢ .

الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب ، للفارقي ، تحقيق سعيد الأفغاني ، جامعة بنغازي ، ط٢ ، ١٩٧٤ .

أمالي ابن الحاجب (الأمالي النحوية ، لابن الحاجب) تحقيق هادي حمودي ، مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب بيروت ١٩٨٥ .

الأمالي الشجرية ، لابن الشجري ، حيدر آباد ١٣٤٩هـ .

الإنصاف في مسائل الخلاف ، لأبي البركات بن الأنباري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية بمصر ، ط٤ ، ١٩٦١ .

الانتخاب لكشف الأبيات المشكلة الإعراب ، لابن عدلان ، تحقيق الدكتور حاتم الضامن ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٨ .

أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لابن هشام ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ، ط٥ ، ١٩٦٧ .

بحوث ومقالات في اللغة ، للدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض ، ١٩٨٢ .

تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد ، لابن هشام ، تحقيق الدكتور عباس الصالحي ، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٦ .

تهذيب اللغة ، للأزهري ، تحقيق عبد السلام هارون ومحمد علي النجار وآخرين . الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤ – ١٩٦٧ .

الجنى الداني في حروف المعاني ، للمرادي ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، المكتبة العربية بحلب ١٩٧٣ .

حاشية الخضري على ابن عقيل ، دار إحياء الكتب العربية بمصر .
حاشية الصبان على الأشموني ، دار إحياء الكتب العربية بمصر .
خزانة الأدب ، للبغدادي ، بولاق ١٢٩٩هـ .
الخصائص ، لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ١٩٥٢ .
ديوان العباس بن مرداس ، جمعه وحققه الدكتور يحيى الجبوري ، دار الجمهورية ببغداد ١٩٦٨ .
رصف المباني في شرح حروف المعاني ، للمالقي ، تحقيق أحمد الخراط ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٥ .
سفر السعادة وسفير الإفادة ، للسخاوي ، تحقيق محمد أحمد الدالي ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٣ .
شرح أبيات سيبويه ، لابن السيرافي ، تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٣ .
شرح أبيات مغني اللبيب ، للبغدادي ، تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق ، دار المأمون للتراث بدمشق ١٩٧٣ .
شرح التصريح على التوضيح ، للشيخ خالد الأزهري ، دار إحياء الكتب العربية .
شرح شذور الذهب ، لابن هشام ، رتبه وعلق عليه عبد الغني الدقر ، دار الكتب العربية بدمشق ودار الكتاب .
شرح الكافية ، لرضي الدين الأستراباذي ، الشركة الصحافية العثمانية ١٣١٠هـ .
شرح اللمع ، لابن برهان ، تحقيق الدكتور فائز فارس ، الكويت ١٩٨٤ .
شرح المفصل ، لابن يعيش ، المطبعة المنيرية .
شواهد الشعر في كتاب سيبويه ، للدكتور خالد عبد الكريم جمعة ، مكتبة دار العروبة بالكويت ١٩٨٠ .
الفصول في العربية ، لابن الدهان ، تحقيق الدكتور فائز فارس ، مؤسسة الرسالة ودار الأمل ، بيروت ١٩٨٨ .
الكتاب ، لسيبويه ، بولاق ١٢٩٩هـ .
لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر ببيروت .
مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج٦٢ جـ٢ .
المسائل المنثورة ، لأبي علي الفارسي ، تحقيق مصطفى الحدري ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٦ .

مغني اللبيب ، لابن هشام ، تحقيق الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ببيروت ، ط٥ ، ١٩٧٩ .
المفصل ، للزمخشري (مع شرح شواهده للنعساني الحلبي) ، طبعة مصورة ، دار الجيل ببيروت .
المقاصد النحوية ، للعيني ، (بهامش خزانة الأدب – ط بولاق) .
المقتضب ، للمبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة . القاهرة ١٩٦٣ .
المنصف ، لابن جني ، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٥٤ .
همع الهوامع ، للسيوطي ، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ١٩٧٥ .

(آراء وأنباء)

مؤتة للبحوث والدراسات

مأمون الصاغرجي

وصل إلى خزانة المجمع مؤخراً مجلة « مؤتة للبحوث والدراسات » من سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تصدر عن عمادة البحث العلمي والدراسات العليا في جامعة مؤتة -الأردن ، (المجلد الثامن/ العدد الثاني/ أيلول ١٩٩٣) وكان موضوع هذا العدد اللغة العربية .

افتتح العدد بمقال عنوانه « عوف بن محلم الخزاعي » حياته وشعره ، كتبه رشدي حسن (ص ١١- ٦٧) . استهل الكاتب مقاله بمقدمة بيَّن فيها الأسباب الداعية إلى كتابته ، ولخص فيها مضمون بحثه ، ثم تناول بالتفصيل حياة الشاعر وعلاقاته الاجتماعية ، وألمَّ بالأغراض الشعرية التي تناولها في شعره ، وتكلم في الخصائص الفنية التي تميز بها ، ثم ذكر المصادر التي استخرجه منها والمنهج الذي اتبعه في جمع شعره ، وكان قد جعله في قسمين : الأول ما صحت نسبته إلى الشاعر ، والثاني ما ينسب إليه وإلى غيره من الشعراء .

وقام الكاتب بضبط النص وتخريجه من المصادر ، وأثبت اختلافات الروايات ، وشرح ما احتاج إلى شرح ، وهو جهد يشكر له ، ولكن يبدو أن الأخطاء الطباعية شوَّهته وأحالت ألفاظه ومعانيه إلى الالتواء ، فمثلاً في البيت الثالث من المقطّعة الأولى ص٣٠ جاء ضبطه هكذا « وأبصِر ما يُرِيُّهُمُ » والصواب « وأبصِرْ ما يَرِيُهُمُ » وفي البيت الثالث من المقطعة١٢ ص٤٦ : « نوح حملة » والصواب « نوح حمامة » . وفي البيت

الخامس من المقطعة١٣ ص٥١ : «أمالكِ رحمةً » والصواب « رحمةٌ » بالرفع .

ولو رحنا نستعرض جميع الأخطاء لما خلت منها مقطعة أو بيت .

وثمة ملاحظات تؤخذ على الكاتب في عمله ، ففي المقطعة الثامنة ص٣٨ في البيت الأول :

أنشـــــدني رَوْحٌ مـــديحـــاً له فقـلت : شعرٌ ؟ قال لي : فايْش

ثم علق الكاتب على البيت بقوله : فيش : لعلها منحوتة من « فأي شيء هو » وفي معاجم اللغة : فاش الرجل فيشاً : افتخر وتكبر ورأى ما ليس عنده ، فايشه مفايشةً : فاخره . وفايش الرجل : أكثر الوعيد في القتال ثم لم يفعل . (انظر تاج العروس ج١٧ ص٣١٩ وما بعدها ، مادة فيش) والمعنى الأول هو المقصود اهـ .

قلت : الصواب أنها منحوته من قولهم : « أي شيء هو » كما جاء في معجم متن اللغة (أيش) ، والفاء للاستئناف ، إذ لا صلة للفظ (الشيء) بمادة (فيش) ، وربما أوقع الكاتبَ في اللَّبْس ضرورة الوزن التي ألجأت الشاعر إلى تحويل همزة القطع من قوله « فأيش » إلى جعلها همزة وصل « فايش » ليستقم وزن البيت من السريع .

وضبط الكاتب البيت الخامس من المقطعة التاسعة ص٣٩ هكذا :

ركبتُ بــه الأهـوال حتى تركتــه بمنزلِ ضنكٍ لا يكدّ ولا يَمضي

والصـواب أن يكون « بمنزلِ » على أنه مضــاف إلى « ضنكٍ » ليستقيم وزن البيت من الطويل .

وجاء في المقطعة (١١) البيت الخامس ص٤١ هكذا :

وقــاربت مـني خُطىً لم تكـنْ مقـــاربـــاتٍ وثنت من عنـــانْ

فخطيٌ جمع خطوة ، والصواب في كتابتها هكذا « خُطاً » لأن أصلها واوي .

ومن مقالات هذا العدد « الغربة في شعر أسامة بن منقذ (٤٨٨هـ/١٠٩٥م – ٥٨٤هـ/١١٨٨م) (ص٦٩– ١١٨) كتبه حلمي إبراهيم عبد الفتاح الكيلاني ، بدأه بمقدمة بيَّن فيها مفهوم الغربة والاغتراب في اللغة وعلم النفس ، وأشار إلى هدف دراسته هذه أنها التحدث عن الغربة المكانية أو غربة النفي قهراً في حياة أسامة وشعره . وأتبع المقدمة بمدخل تمهيداً لفهم الحياة السياسية في عصر أسامة وأسرته والاضطرابات التي عاشتها في زمن الاحتلال الصليبي ، وما تعرضتْ له من اضطهاد وتغريب ، ثم تحدث بشيء من التفصيل عن غربته واغترابه عن موطنه ، فكانت غربته الأولى من سنة ٥٢٥ – ٥٣٢هـ من جراء تخوف عمه سلطان بن علي حاكم شيزر منه ، إذ كان دائم الافتخار ببطولته وشجاعته ، وربما كان ولعه باصطياد الأسود وجز رؤوسها ما نفَّر قلب عمه منه ، وأدى إلى تخوفه على سلطانه ، ففي منتصف إحدى الليالي يأمره عمه بالخروج معه إلى موقع سماه خارج شيزر ، وفيه صارحه ببغضه ، وأبدى له تخوفه منه على سلطانه ، وطلب إليه ألا يساكنه شيزر ؛ فامتثل لأمره وودَّعه .

وينتظم أسامة في جيوش عماد الدين زنكي ، ولا يني في الفخر بشجاعته وبلائه في المعارك التي خاضها معه ضد الصليبيين ، ويجد في عمله هذا عزاءً عن فقد أهله ووطنه .

وحين يهاجم الروم والفرنج قلعة شيزر يهبُّ للدفاع عنها ناسياً ما كان بينه وبين عمه سلطان ، آملاً أن يستقرَّ في وطنه من جديد ، إلا أن عمه لم يستطع التخلص من حقده ، فنفاه مرةً ثانية مع أسرته وأخوته سنة ٥٣٢ ، فذهب بهم إلى دمشق ، ثم انتقل منها إلى مصر سنة ٥٤٠ ومكث بها إلى سنة ٥٤٩ حيث عاد إلى دمشق ، وبقي فيها إلى أن حدث زلزال مروِّع في

شيزر عام ٥٥٢ . ثم ينتقل بعد ذلك مع ولده سنة٥٥٨ إلى حصن كيفا – جنوب شرق تركيا قرب حدودها مع العراق اليوم – إلى أن استدعاه صلاح الدين الأيوبي الذي أعجب به وبنظمه إلى دمشق ، وكان قد جاوز الثمانين من عمره .

ويصور لنا الكاتب شدة وطء الزمن على أسامة ، وتقلبه في البلاد غريباً يحن إلى وطنه وأهله حتى يقول فيا يقول :

أهكذا أنا باقي العمر مغترب ... ناء عن الأهل والأوطان والسكن
لا تستقرُّ جيادي في معرَّسها ... حتى أروعها بالشدّ والظعن

وقد عاش أسامة عمراً مديداً ستة وتسعين عاماً كان له تجارب طويلة مع الحياة والناس أنطقته بالحكمة من مثل قوله :

الق الخطوب إذا طرقـ ... ـن بقلب محتسب صبور
فسينقضي زمن الهمو ... م كما انقضى زمن السرور
فمن المحال دوام حا ... ل في مدى العمر القصير

ثم يتناول الكاتب مظاهر الغربة في شعره ، منها الشعور بالوحدة والحنين إلى الأهل والأوطان وفقد الأحبة ، ومنها أيضاً تأكيد ذاته بما يحمله بين جنبيه من ماض مجيد في الشجاعة والفروسية ، وفي آخر المطاف بعد عمره الطويل يجد الملجأ والملاذ في الزهد بالدنيا وما فيها من مغريات .

ويختم الكاتب بحثه بنتائج توصل إليها من دراسته شعر أسامة بيَّن فيها أسباب الأغراض التي تناولها وأثر الأحداث في حياته وشعره .

وقد بذل الكاتب جهداً مشكوراً في تبيان هذا الجانب من شعر أسامة فأحسن وأجاد ، وعمله مع ذلك لم يكن يخلو من هنات ، من ذلك مثلاً قول أسامة ص٩٠ :

اذا عنَّ ذكراكم عرتني سكرة ... كأنّي سقاني البابليّة خمّارُ(٩٠)

وعلّق الكاتب على البيت بقوله ص١١٤ حاشية٩٠ : الخمّار : بقية السُّكر . اهـ .

وما شرحه الكاتب هو (الخُمَار) – بضم الخاء المعجمة وتخفيف الميم المفتوحة – وليس مراداً ، والمراد حسَبَ ضبطه لـ (خمّار) – بفتح الخاء المعجمة وتشديد الميم المفتوحة – في البيت فهو : بائع الخمر .

وجاء في ص٨٦ قوله :

انظر بعيشك هل ترى أحداً يدوم على المودّة

لترى أخلاء الرّخاء عدا إذا نابتك شدّة

ففيه أولاً : القافية هي الدَّال ، والهاء للوصل ، فتكتب من غير نقط هكذا « المودَّهْ ... شدَّهْ » .

ثانياً : قوله (عدا) بمعنى الأعداء ، الصواب أن يكتب « عِدَى » بالياء وإن كان واويًّا لكسرة أوله ، انظر التاج (عدو) وشرح شافية ابن الحاجب ١٢٣/٢ .

وجاء في الصفحة نفسها(٨٦) قوله :

وقد ساءني أن الليالي غيّرت أخلاي حتى ما يدومُ خليلُ

والصواب في تقطيعه ، أن تكون كلمة « أخلاي » في أول الشطر الثاني ليستقيم الوزن .

يضاف إلى ذلك الأخطاء الطباعية التي شوهت جمال شعر أسامة ، من ذلك قوله ص٧٥ .

أطاع ما قله الواشي وما هرقا فعاد ينكر منا كل ما عرفا

والصواب : « ما قاله... وما هرفا »

وقوله ص٨٩ :

مـــا أنت أول أرض مسّ تـرابهـا   جسمي ولا فيك أوطاني وأوطاري

فالشطر الأول مختل الوزن ، ويستقيم بقوله « تربتها » .

ومن المقالات التي ضمها هذا العدد « شعر الرثاء في حروب الردة : دراسة موضوعية وفنية » (ص ١١٩ - ١١٦) كتبه علي ارشيد الخماسنة ، تناول فيه شعر الرثاء الذي قيل في حروب الردة ، وقسم فيه بحثه إلى قسمين :

الأول تحدث فيه عن القضايا الموضوعية في شعر رثاء المسلمين ، منهم رسل أبي بكر ودعاته الذين حاولوا ردع المرتدين وإرجاعهم إلى الصواب ودين الحق ، فقتلوهم لموقفهم هذا ، كعبد الله بن يزيد بن قيس السكوني ؛ ومنهم شهداء سقطوا في المعارك التي خاضها المسلمون كعبد الله بن المنذر التيمي ونافع بن غيلان وغيرهما .

وتعرض الكاتب أيضاً للشعر الذي قيل في رثاء المرتدين وعلى رأسهم مالك بن نويرة الذي كان لشعر متمم أخيه النصيب الأوفى من البحث ، إذ تنوعت فيه المراثي بين ندب وتأبين وتعزية .

أما القسم الثاني من البحث فتناول فيه الكاتب قضايا فنية متعددة ، منها شكل القصيدة والعاطفة والموسيقى ، بيد أنه لاحظ أن المقطعات خاصة تكاد تخلو من هذه الجوانب الفنية ، فهي أقرب إلى التاريخ منها إلى الفن ، وقد ارتبطت موضوعاتها بأحداث التاريخ . لذا ركز الدراسة الفنية في هذا القسم على شعر متمم دون سواه لشموله على قضايا التي دار البحث حولها في هذا القسم .

وفي هذاالمقال ما في سالفيه من أخطاء طباعية وعروضية كنا نتمنى لو خلا العدد منها .

الكتب والمجلات المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الثالث من عام ١٩٩٤م

أ ـ الكتب العربية

خير الله الشريف

آثار محمد البشير الإبراهيمي /الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، ١٩٨٧ (ج٣) – ١٩٨٥ (ج٤) .

آلاف السنين من الطاقة /تأليف : فلاديمير كارتسيف ، بيوتر خازانوفسكي ؛ ترجمة : محمد غياث الزيات .ـ الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٩٤ .ـ (سلسلة : عالم المعرفة رقم ١٨٧) .

أبو العيناء : دراسة في حياته وشعره ونثره /د. أنور أبو سويلم .ـ ط١ .ـ عمان : دار عمار ، ١٩٩٠ .

الاتجاه القومي في الرواية /د. مصطفى عبد الغني .ـ ط١ .ـ الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٩٤ .ـ (سلسلة : عالم المعرفة رقم ١٨٨) .

إدارة أنظمة المعلومات الحكومية /دائرة التعاون الفني للتنمية بالأمم المتحدة .ـ نيويورك : المنظمة العربية للتنمية الإدارية ، ١٩٨٩ .

استخدام النباتات الطبية كعقاقير علاجية : المؤتمر العربي الأول /وزارة التعليم العالي .ـ دمشق : وزارة التعليم العالي ، ١٩٩٤ .

الاشتقاق اللغوي /د. عبد المنعم عبد الله حسن .— ط١ .— القاهرة : المؤلف ، ١٩٩٣ .

أصول الإيقاعات الشرقية /عمر عبد الرحمن الحمصي .— دمشق : [د .ن] ، ١٩٩٢

أضواء وظلال /سعد صائب .— دمشق : الإدارة السياسية ، ١٩٩٢ .

أعلام الفكر في دمشق بين القرنين الأول والثاني عشر للهجرة/إحسان بنت سعيد خلوصي .— دمشق : دار يعرب ، ١٩٩٤ .

ألفاظ الحياة الاجتماعية في أدب الجاحظ /د. رشيدة اللقاني .— الرياض : جامعة الملك سعود – عمادة شؤون المكتبات ، ١٩٩٣ .

أمام ألسنة اللهب /تأليف : غرغري أورفلي ، ترجمة : هنري مطر .— عمان : مركز الكتب الأردني ، ١٩٨٩ .

الأندلس الذاهبة /تأليف : ضيا باشا ؛ تعريب : عبد الرحمن ارشيدات ؛ راجعه وحققه : صلاح ارشيدات .— ط١ .— عمان : وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٩ .— ٣ج .

بحوث ودراسات مهداة إلى عبد الكريم غرايبة بمناسبة بلوغه الخامسة والستين /تحرير : ناظم كلاس .— عمان : [د.ن] ، ١٩٨٩ .

الببليوغرافيا الجزائرية /المكتبة الوطنية الجزائرية .— الجزائر : المكتبة الوطنية ، ١٩٩٣ .

التخطيط والرقابة المالية /نضال رشيد صبري .— عمان : المنظمة العربية للتنمية الإدارية ، ١٩٩٤ .

التدريس من أجل الكفاية /تأليف : هوارد سلفان ، نورمان هجنز ؛ ترجمة : محمد عيد ديراني ، د. مصطفى محمد متولي .— الرياض : جامعة الملك سعود – عمادة شؤون المكتبات ، ١٩٩٣ .

تشعيع الغذاء /ترجمة : د.نجم الدين شرابي .ـ دمشق : هيئة الطاقة الذرية ، ١٩٩٢ .

التصوير الضوئي في التعليم والتدريب /د. مصطفى بن محمد عيسى فلاتة .ـ الرياض : جامعة الملك سعود ـ عمادة شؤون المكتبات ، ١٩٩٣ .

التعريفات /الجرجاني ، ضبطه وفهرسه : محمد القاضي .ـ ط١ .ـ القاهرة : دار الكتاب المصري ؛ بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٩١ .

تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات : شرح شواهد الكشاف /تأليف : محب الدين أفندي ؛ أخرجه وقدم له : عبد الله بن محمد بن خميس .ـ الرياض : دار الخضرمة ، ١٩٩٤ .

حادي الأظعان النجدية إلى البلاد الشامية /تأليف : محب الدين الحموي ؛ تحقيق محمد عدنان البخيت .ـ عمان : جامعة مؤتة ، ١٩٩٣ .

الحركة العياشية /عبد اللطيف الشاذلي .ـ الدار البيضاء : مطبعة النجاح الجديدة ، ١٩٨٢ .

حقائق حول تشعيع الغذاء /ترجمة : د. نزار حمد .ـ دمشق : هيئة الطاقة الذرية ، ١٩٩٤ .

حياة الأمير عبد القادر /تأليف : شارل هنري تشرشل ؛ ترجمة : د. أبو القاسم سعد الله .ـ الجزائر : الشركة الوطنية ، ١٩٨٢ .ـ (سلسلة : أعلام المغرب) .

دائرة المخطوطات والوثائق /وزارة التراث القومي والثقافة .ـ سلطنة عمان : مطبعة مزون ، ١٩٩٤ .

دراسـات طبيـة ميسـرة /د. صبيحـة الدباغ .ـ بغداد : وزارة الثقـافة والإعلام ، ١٩٨٦ .ـ (سلسلة : الموسوعة الصغيرة ١٩٩) .
دور التعريب في تطوير اللغة العربية : ترقية العربية في تونس /ملتقى ابن منظور .ـ ط١ .ـ تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ .
الدولة الصنهـاجيـة /تأليف : الهادي روجي إدريس ؛ ترجمة : حمادي الساحلي .ـ ط١ .ـ بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٢ .ـ ٢ ج .
ديوان ابن الأبـار /تعـليق : د. عبـد السـلام الهراس .ـ تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٥ .
ديوان امرئ القيس بشرح الحضرمي /تحقيق : د. أنور أبو سويلم ، د. علي الهروط ، د. علي الشـوملي .ـ ط١ .ـ عمـان : دار عمـار ، ١٩٩١ .ـ (سلسلة : مشكل إعراب أشعار الستة الجاهلية ١) .
ديوان الجزائر /سليمان العيسى .ـ الجزائر : المركز الوطني لتوثيق الصحافة والإعلام ، ١٩٩٣ .
ديوان الخنسـاء بشرح ثعلب /تحقيق : د. أنور أبو سويلم .ـ ط١ .ـ عمان : دار عمار ، ١٩٨٨ .
ديوان النـابغـة الذبيـاني بشـرح الحضرمي/تحقيق : د. علي الهروط .ـ ط١ .ـ الكرك : جامعة مؤتة ، ١٩٩٢ .ـ (سلسلة : مشكل إعراب أشعار الستة الجاهلية ٣) .
رجل الصنـاعتـين/عبد الله بن سـليم الرشيد .ـ الرياض : مكتبة التوبة ، ١٩٩٤ .
الروض المعطـار في خبر الأقطـار : معجم جغرافي /تأليف : الحميري ؛ تحقيق : د. إحسان عباس .ـ بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٧٥ .

زمن الترهات في ثلاث مسرحيات /د. محمد رشاد الحمزاوي .ــ تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٨ .

شرح مقامات جلال الدين السيوطي /تحقيق : سمير محمود الدروبي .ــ ط١ .ــ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٩ .ــ ٢ج .

شعر ابن جبير /تحقيق : فوزي الخطبا .ــ ط١ .ــ عمان : دار الينابيع ، ١٩٩١ .

علم النفس الاجتماعي التجريبي /تأليف : أ. أنسكو ، ح .سكوبلر ؛ ترجمة : د. عبد الحميد صفوت إبراهيم .ــ الرياض : جامعة الملك سعود – عمادة شؤون المكتبات ، ١٩٩٣ .

فارس الأحلام القديمة /د. وليد قصاب .ــ الدوحة : دار الثقافة ، ١٩٩٠ .

فن الإملاء في العربية /د. عبد الفتاح الحموز .ــ ط١ .ــ عمان : دار عمار ، ١٩٩٣ .ــ ٢ج .

قاموس حتي الطبي : انكليزي عربي /د. يوسف حتي .ــ ط٤ .ــ بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٠ .

قضية البنيوية : دراسة ونماذج /د. عبد السلام المسدي .ــ ط١ .ــ تونس : دار أمية ، ١٩٩١ .

قوانين ومبادئ المقاطعة العربية لإسرائيل /د. محمد عبد الحميد أبو زيد عبد الغني .ــ الرياض : جامعة الملك سعود – عمادة شؤون المكتبات ، ١٩٩٣ .

القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة /د. رشاد عبد الله الشامي .ــ ط١ .ــ الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٩٤ .ــ (سلسلة : عالم المعرفة ١٨٦) .

كان شـاعراً/ د. أمجد الطرابلسي .ـ ط١ .ـ الرباط : المجلس القومي للثقافة العربية ، ١٩٩٣ .ـ (سلسلة : إبداع 7) .

الكتابات في المساجد العمانية القديمة / إعداد : إيروس بلديسيرا . ـ ط ١ .ـ سلطنة عمان : دار جريدة عمان ، ١٩٩٤ .

الكليات/ تأليف : الكفوي ؛ قابله : د. عدنان درويش ، محمد المصري . ـ ط١ .ـ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٢ .

مأساة كشمير المسلمة/ د. إحسان حقي . ـ ط١ .ـ دمشق : إبراهيم حقي ، ١٩٩٤ .

المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر/ أحمد التوفيق . ـ الدار البيضاء : دار النشر المغربية ، ١٩٧٨ .ـ ج١ .

مسند الإمام أحمد بن حنبل/ المشرف العام : د. عبد الله عبد المحسن التركي ؛ تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرين . ـ ط١ .ـ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣ . ـ ج١ ـ ٥ .ـ (سلسلة : الموسوعة الحديثية ١) .

المصطلحات وأساليب التعبير في الرياضة البدنية قديماً وحديثاً/ عبد الحميد سلامة .ـ تونس : المؤلف ، ١٩٩١ .

المصطلح الصوتي/ د. عبد القادر مرعي خليل . ـ ط١ .ـ عمان : جامعة مؤتة ، ١٩٩٣ .

معاني القرآن/ تأليف : الفراء ؛ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . ـ بيروت : عالم الكتب ، ١٩٨٠ .ـ ٣ج .

معجم إسباني عربي وعربي إسباني/ فرناندو بلديراما مرتينيث . ـ مدريد : المعهد الإسباني العربي للثقافة ، ١٩٨٠ .

المعجم الموحد/ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . ـ تونس :

المنظمة ، ١٩٨٩ – ١٩٩٣ .– ج١ – ٨ .

المعجم الوافي في النحو العربي/ د. علي توفيق الحمد ، يوسف جميل الزعبي . – عمان : دائرة الثقافة والفنون ، ١٩٨٤ .

من أعلام الحضارة الإسلامية/ حمد بن ناصر الدخيل . – الرياض : المؤلف ، ١٩٩٣ .

من سلة الأخبار العلمية/ د. صلاح يحياوي . – ط١ .– بيروت : دار النفائس ، ١٩٨٥ .

من لا يحضره الطبيب/ تأليف : الرازي ؛ تحقيق : د. محمود الحاج قاسم محمد . – بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩١ .

منهج أبي علي المرزوقي في شرح الشعر/ طاهر الأخضر حمروني . – تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤ .

نثر الدر/ تأليف : الآبي ؛ تحقيق : د. عثمان بوغانمي . – تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٣ .

ندوة النحو والصرف/ المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية . – دمشق : المجلس ١٩٩٤ .

نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس للهجرة/ تأليف : د. أمجد الطرابلسي ؛ ترجمة : إدريس بلمليح . – ط١ – الدار البيضاء : دار توبقال ، ١٩٩٣ .

ب ـ المجلات العربية المهداة

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الآداب الأجنبية	٧٧ ـ ٧٨	١٩٩٤	سورية
الأسبوع الأدبي	٤١١ ، من ٤١٤ ـ ٤٢٥	١٩٩٤	سورية
التراث العربي	٥٥ ـ ٥٦	١٩٩٤	سورية
الثقافة	أيار ، حزيران ، تموز	١٩٩٤	سورية
الحياة التشكيلية	٥١ ـ ٥٢	١٩٩٣	سورية
الحياة الموسيقية	٥	١٩٩٤	سورية
صوت فلسطين	من ٣١٧ ـ ٣١٩	١٩٩٤	سورية
الضاد	من ٢ ـ ٧	١٩٩٤	سورية
عالم الذرة	٢٩ ، ٣٠	١٩٩٤	سورية
مجلة بحوث جامعة حلب	١٦ (إنسانية)	١٩٨٩	سورية
	١٩ (إنسانية)	١٩٩٠	سورية
	٢٣ (إنسانية)	١٩٩٣	سورية
	١٤ (اقتصادية)	١٩٩١	سورية
المجلة البطريركية	١٣٥ ـ ١٣٦	١٩٩٤	سورية
مجلة جامعة البعث	١٢	١٩٩٣	سورية
مجلة جامعة دمشق	٢٩ ـ ٣٠ (مجلد ٨/ أساسية)	١٩٩٢	سورية
	٢٩ ـ ٣٠ (مجلد ٨/ إنسانية)	١٩٩٢	
المعرفة	من ٣٦٩ ـ ٣٧١	١٩٩٤	سورية
الموقف الأدبي	٢٧٦ ، ٢٧٧	١٩٩٤	سورية
الأنباء	٥٢٣ ، ٥٢٥ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٤	١٩٩٤	الأردن
الجديد في عالم الكتب والمكتبات	١	١٩٩٤	الأردن

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
دراسات	٥ (مجلد ٢٠/سلسلة ب)	١٩٩٣	الأردن
	١، ٢، ٣ (مجلد ٢١/ سلسلة ب)	١٩٩٤	
راية مؤتة	٢ (مجلد ٢)	١٩٩٣	الأردن
مؤتة للبحوث والدراسات	٥، ٦ (مجلد ٨/ سلسلة أ)	١٩٩٣	الأردن
	٤، ٥، ٦ (مجلد ٨/ سلسلة ب)	١٩٩٣	
مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية	٨	١٩٩٤	الإمارات المتحدة
الكراسات التونسية	١٥٩ - ١٦٠	١٩٩٢	تونس
الثقافة	٨٧	١٩٨٥	الجزائر
الدارة	٢	١٤١٥هـ	السعودية
عالم الكتب	٣	١٩٩٤	السعودية
القافلة	١ - ١٢ (مجلد ٤١)	١٤١٣هـ	السعودية
	١ - ١٢ (مجلد ٤٢)	١٤١٤هـ	
حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية	١٦	١٩٩٣	قطر
أخبار التراث الإسلامي	٣٣، ٣٤	١٩٩٣	الكويت
الثقافة العالمية	٦٤، ٦٥	١٩٩٤	الكويت
حديث الدار	نشرة دورية	١٩٩٣	الكويت
علوم وتكنولوجيا	١١، ١٢	١٩٩٤	الكويت
الأبحاث	–	١٩٩٣	لبنان
الدراسات الفلسطينية	١٧، ١٨	١٩٩٤	لبنان
الشراع	٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣٢، من ٦٣٥ -٦٤١	١٩٩٤	لبنان
الفكر العربي	٧٧	١٩٩٤	لبنان
أخبار التراث العربي	٥٥ - ٥٩	١٩٩١-١٩٩٢	مصر
اللسان العربي	٣٧	١٩٩٣	المغرب (المنظمة العربية)

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الوحدة	١٠٣ ــ ١٠٤	١٩٩٣	المغرب
عالم الطباعة	٩	١٩٩٤	انكلتره
الثقافة الإسلامية	٥٤	١٩٩٤	إيران
الدراسات الإسلامية	٢	١٩٩٣	باكستان
النشرة الإخبارية لمنظمة المؤتمر الإسلامي	٣٣	١٩٩٤	تركيا
جمهورية كوريا الديمقراطية	٤٨ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣	١٩٩٤	كوريا
صوت الأمة	٨	١٩٩٤	الهند

فهرس الجزء الرابع من المجلد التاسع والستين

الفهارس العامة للمجلد التاسع والستين

أ ـ فهرس أسماء كتاب المقالات

منسوقة على حروف المعجم

(م)

(و)

(ي)

ب ـ فهرس المقالات

منسوقة على حروف المعجم

(أ)

(ك)

(م)

(ن)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٧٧

ـــ فهارس مجلة المقتبس ، وضع رياض عبد الحميد مراد .
ـــ إعراب الحديث النبوي ، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ، تحقيق عبد الإله نبهان .
ـــ شرح أبيات سيبويه ، ليوسف بن أبي سعيد السيرافي ، (ج٢) ، تحقيق د. محمد علي سلطاني .
ـــ معجم المصطلحات الحديثية ، للدكتور نور الدين العتر .
ـــ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عاصم ـــ عائذ) تحقيق د. شكري فيصل .
ـــ محمد كرد علي مؤسس المجمع (الكلمات التي ألقيت في الاحتفال بمرور مئة عام على مولده) .
ـــ نص مستدرك من كتاب العبر ، تحقيق رياض مراد .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٧٨

ـــ فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج١ ، وضع محمد رياض مراد .
ـــ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عبد الله بن عمران ـــ عبد الله بن قيس) ، طبعة مصورة عن مخطوطة .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٧٩

ـــ تصنيف العلوم والمعارف ، وضع الدكتور يوسف العش ، مراجعة سماء المحاسني .
ـــ تاريخ الخلفاء لمحمد بن يزيد ، تحقيق محمد مطيع الحافظ .
ـــ عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام ، لمحمد خليل المرادي ، تحقيق محمد مطيع الحافظ ورياض مراد .
ـــ محمد أسعد الحكيم ، للدكتور عدنان الخطيب .
ـــ قاموس الأطبا وناموس الألبا ج١ ، لمدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري (مصورة عن مخطوطة الظاهرية) .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٠

ـــ فهرس مخطوطات الظاهرية (العلوم والفنون المختلفة) ، وضع مصطفى سعيد الصباغ .
ـــ فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج٢ ، وضع محمد رياض المالح .
ـــ فهرس مخطوطات الظاهرية (الفقه الحنفي) ج١ ، وضع محمد مطيع الحافظ .
ـــ قاموس الأطبا وناموس الألبا ج٢ ، لمدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري ، (مصورة عن مخطوطة الظاهرية) .
ـــ شعر أبي هلال العسكري ، جمع وتحقيق الدكتور جورج قنازع .

ـــ تاريخ أبي زرعة الدمشقي (١ ـــ ٢) ، تحقيق نعمة الله القوجاني .
ـــ تفسير أرجوزة أبي نواس لابن جني (طبعة ثانية) ، تحقيق محمد بهجة الأثري .
ـــ المعاصرون للأستاذ محمد كرد علي ، تعليق محمد المصري .
ـــ القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لابن طولون ج١ ، تحقيق محمد أحمد دهمان .
ـــ القدس الشريف في تاريخ العرب والإسلام ، لعبد اللطيف الطيباوي .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨١

ـــ فهرس مخطوطات الظاهرية (الفقه الحنفي) ج٢ ، وضع محمد مطيع الحافظ .
ـــ شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف للحسن العسكري (القسم الأول) ،
تحقيق د. محمد يوسف . مراجعة الأستاذ أحمد راتب النفاخ .
ـــ شعر منصور النمري ، جمع وتحقيق الطيب العشاش .
ـــ فهرس مخطوطات الظاهرية (الطب والصيدلة) ج٢ ، وضع صلاح الخيمي .
ـــ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عبد الله بن جابر ـــ عبد الله بن زيد) ،
تحقيق د. شكري فيصل ، شهابي ، طرابيشي .
ـــ القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لابن طولون ج٢ ، تحقيق محمد أحمد دهمان .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٢

ـــ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عبادة بن أوفى ـــ عبد الله بن ثوب)
تحقيق د. فيصل ، نحاس ، مراد .
ـــ كتاب الأزهية في علم الحروف للهروي (ط٢) ، تحقيق عبد المعين الملوحي .
ـــ التاريخ المنصوري ، تأليف محمد بن علي بن نظيف الحموي ،
تحقيق د. أبو العيد دودو ، مراجعة د. عدنان درويش .
ـــ شعر ابن ميادة ، جمع وتحقيق د. حنا حداد ، مراجعة قدري الحكيم .
ـــ كتاب الأفضليات ، تأليف أبي القاسم علي بن منجب المعروف بابن الصيرفي ،
تحقيق د. وليد قصاب ، د. عبد العزيز المانع .
ـــ فهرس مخطوطات الظاهرية (قسم الأدب) ج١ ، وضع رياض مراد وياسين السواس .
ـــ زجر النابح (مقتطفات) لأبي العلاء المعري ، جمع وتحقيق د. أمجد الطرابلسي (ط٢) .

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٣

ـ مشيخة ابن طهمان	تح د. محمد طاهر ملك
ـ سفر السعادة وسفير الإفادة ج١	تح محمد أحمد الدالي
ـ شعر دعبل بن علي الخزاعي (ط٢)	صنعة د. عبد الكريم الأشتر
ـ الثقافة الإسلامية في الهند (ط٢)	لعبد الحي الحسني
ـ شرح الكافية البديعية لصفي الدين الحلي	تح د. نسيب النشاوي
ـ رسالة أسباب حدوث الحروف لابن سينا	تح د. طيان وميرعلم
ـ نظرات في ديوان بشار بن برد	للدكتور شاكر الفحام
ـ التوفيق للتلفيق للثعالبي	تح إبراهيم صالح
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (التصوف) ج٣	وضع محمد رياض المالح
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (الأدب) ج٢	وضع مراد وسواس
ـ نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات	الدكتور حسني سبح
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج١	وضع صلاح الخيمي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٤

ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق١	وضع ياسين السواس
ـ سفر السعادة وسفير الإفادة ، ج٢ ، ٣	تح محمد أحمد الدالي
ـ نوح العندليب	لشفيق جبري
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن الكريم) ج٢ ، ٣	وضع صلاح الخيمي
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (السيرة النبوية) ق١	تح نشاط غزاوي
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (أحمد بن عتبة ـ أحمد بن محمد)	تح عبد الغني الدقر
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (عثمان بن عفان)	تح سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٥

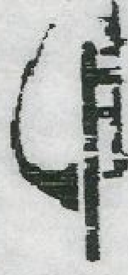
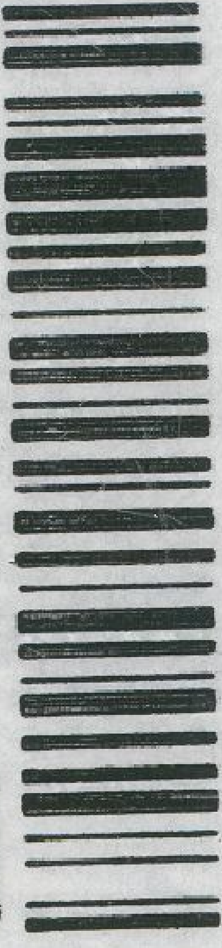
ـ شعر عمرو بن معدي كرب	جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي
ـ معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج١	تح محمد كامل القصار
ـ معرفة الرجال ليحيى بن معين ، ج٢	تح حافظ وبدير
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج١	تح عبد الإله نبهان

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٦

ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، ج ٣٤	تح مطاع الطرابيشي
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، ج ٣٩	تح سكينة الشهابي
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ، ج٢	تح غازي طليمات
ـ المسائل المنثورة في النحو لأبي علي الفارسي	تح مصطفى الحدري
ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (المجاميع) ق٢	وضع ياسين السواس
ـ المبسوط في القراءات العشر لأبي بكر الأصبهاني	تح سبيع الحاكمي
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج٣	تح إبراهيم عبد الله
ـ المستدرك على فهرس (الشعر)	إعداد رياض مراد
ـ تاريخ دنيسر للطبيب أبي حفص عمر بن اللمش	تح إبراهيم صالح
ـ الدكتور شكري فيصل وصداقة خمسين عاماً	للدكتور عدنان الخطيب
ـ الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا	للدكتور أحمد عروة

مطبوعات المجمع في عام ١٩٨٧

ـ المحب والمحبوب للسري الرفاء ج ١ ـ ٤	تح غلاونجي والذهبي
ـ شعر خداش بن زهير العامري	صنعه د. يحيى الجبوري
ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، ج٣٨ ، ٤٠	تح سكينة الشهابي
ـ إعراب الحديث النبوي للعكبري (ط٢)	تح عبد الإله نبهان
ـ فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٦	وضع غزوة بدير
ـ الفهرس العام لمخطوطات دار الكتب الظاهرية	وضع الخيمي والحافظ
ـ الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ، ج٤	تح أحمد مختار الشريف
ـ علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب	دراسة وتحقيق د. مراياتي وطيان ومير علم
ـ فهرس مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٥	وضع محمد خير محمد

Bibliotheca Alexandrina
0652657